ديوجينيس اللائرتى

حياة مشاهير الفلاسفة

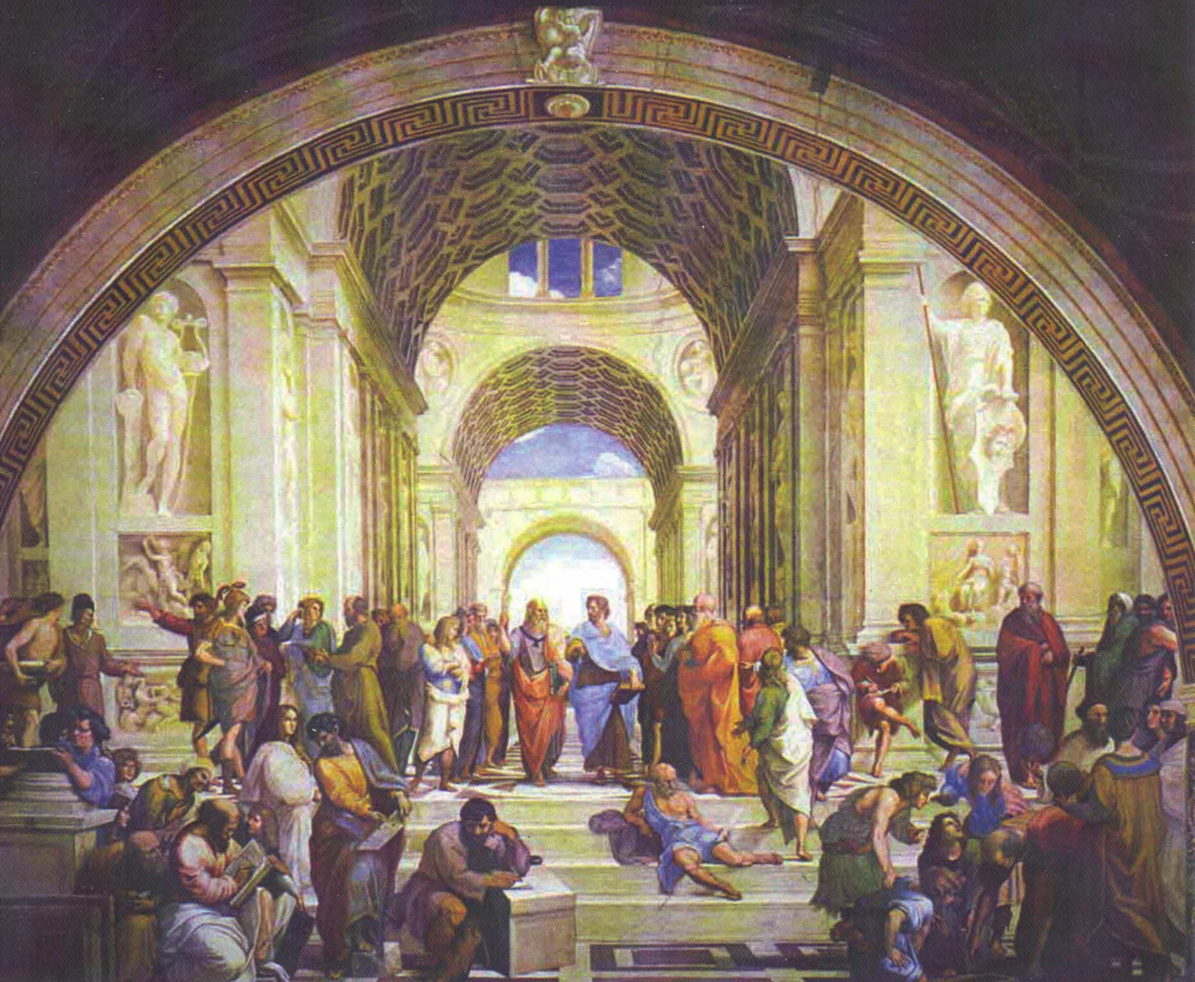
(المجلد الثالث)

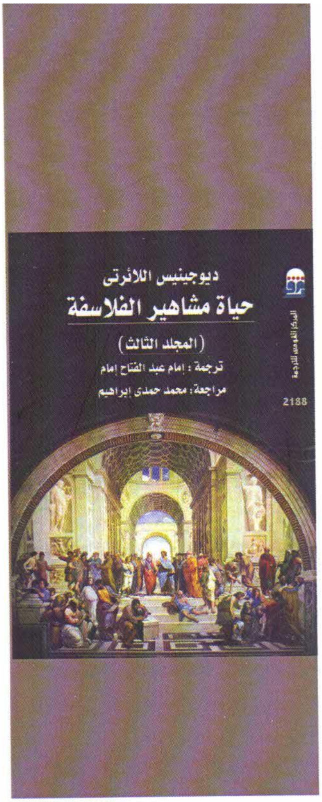
ترجمة : إمام عبد الفتاح إمام

مراجعة: محمد حمدى إبراهيم

المركز القومى للترجمة

2188





يعرض كتاب " حياة مشاهير الفلاسفة " للفكر الفلسفي في العالم القديم بوجه عام، فهو يبدأ باستعراض الفكر الفلسفي عند الشعوب الشرقية؛ كما هو متمثل في حضاراتها العظيمة، وإن كان ذلك يتم باختصار بالغ. ولكنه، بعد ذلك، يفرد المساحة الأكبر لتتبع تاريخ المدارس الفلسفية الإغريقية، منذ جيل الرواد في القرنين السابع والسادس ق.م إلى أن يصل بنا في خاتمة رحلته إلى المدرسة الأبيقورية التي يبدو أنه من أتباعها. ولذا فهو كتاب موسوعي شامل يتضمن سير حياة الفلاسفة ونظرياتهم الفلسفية ومؤلفاتهم وأشهر أعمالهم في آن واحد.

تصميم الغلاف: عبدالحكيم صالح

حياة مشاهير الفلاسفة

(المجلد الثالث)

المركز القومى للترجمة
تأسس فى أكتوبر 2006 تحت إشراف: جابر عصفور
مدير المركز: رشا إسماعيل

- العدد: 2188
- حياة مشاهير الفلاسفة (مج3)
- ديوجينيس اللائرتى
- إمام عبد الفتاح إمام
- محمد حمدى إبراهيم
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2014

هذه ترجمة كتاب:

Lives of Eminent Philosophers
By: Diogenes Laertius

شارع الجبلاية بالأوبرا – الجزيرة – القاهرة. ت: 27354524 فاكس: 27354554
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

حياة مشاهير الفلاسفة

(المجلد الثالث)

تـــــأليف: ديـوجينيس اللائرتـى

ترجمـــــــة: إمـام عبـد الفتـاح إمـام

مراجعـــــة : محمد حمدى ابراهيم

2014

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اللائرتى، ديو جينيس
حياة مشاهير الفلاسفة - (المجلد الثالث)
تأليف: ديو جينيس اللائرتى، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام؛
مراجعة: محمد حمدى إبراهيم
ط ١ - القاهرة: المركز القومى للترجمة، ٢٠١٤
٣٤٠ ص، ٢٤ سم
١ - الفلاسفة
(أ) إمام، إمام عبد الفتاح (مترجم)
(ب) إبراهيم، محمد حمدى (مراجع)
(جـ) العنوان ٩٢١

رقم الإيداع: ٨٦٣٦/ ٢٠١٢
الترقيم الدولى: I.S.B.N - 978 - 977 -216- 073 - 0
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم، ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز.

المحتويات

الجزء الثامن

الجزء التاسع

الجزء العاشر

الجـــــزء الثـــامـــن

الفصل الأول

بيثاجوراس (فيثاغورث) Pythagoras

(من نحو عام ٥٨٢ - ٥٠٠ ق.م.)

(فقرة ١)

حيث إننا قد أكملنا حديثنا عن الفلسفة الإيونية التي بدأت (ب الفيلسوف) **طاليس** *"Thalês"*، وكذا عن ممثليها من الرجال ذوي القدر الرفيع والجدارة؛ فدعنا نمضي الآن قدمًا في الحديث عن (الفلسفة) الإيطالية التي تبدأ **بفيثاغورث بن منيسارخوس** *Mnêsarchos*[١]، الصائغ الذي كان ينقش الأحجار الكريمة، والذي كان من جزيرة ساموس- كما يخبرنا **هيرميبوس** - أو الذي كان تيرينيًا "Tyrrênos"، من إحدى الجزر التي استولى عليها الأثينيون بعد أن طردوا سكانها التيرينيين، على نحو ما يذكره **أريسطوكسينوس**. بينما يخبرنا بعض بأنه انحدر من نسل **مارماكوس بن هيبّاسوس بن يوثيفرون بن كليوينموس**، الذي كان منفيًا

---

(١) قارن كليميس السكندري، الطبقات Stromata، الجزء الأول، فصل ٦٢:
"كان **فيثاغورث بن منيسارخوس** من جزيرة ساموس، كما يخبرنا **هيبّوبوتوس**، ولكن طبقًا لما يذكره **أريسطوكسنيوس** في كتابه "**حياة فيثاغورث**"، وكذا **أريسطارخوس** و**ثيوبومبوس**، فإنه كان تيرينيا (أي من صور) - كما يخبرنا **نيانثيس** - من جزيرة سيروس أو من صور Tyros؛ ومن ثم فإنه طبقًا لمعظم الرواة فإن **فيثاغورث** كان أجنبي المولد". ويناصر **بورفيريوس** (حياة فيثاغورث، الجزء الأول) فكرة ربط مولد **فيثاغورث** بفينيقيا، حيث يذهب إلى القول بأنه في صباه تعلم هناك على يد الكلدانيين قبل أن يرحل إلى جزيرة ساموس. ويذكر أيضًا أن **فيثاغورث** تعلم على يد **فيريكيديس** السوري وعلى يد **هيرموداماس** من ساموس. [المراجع]

من مدينة فليوس[١]؛ ثم إن هؤلاء بعض يقولون أيضًا إن **مارماكوس** كـــان يعيش فـــى جزيـــرة ســـاموس، ومـــن هنـــا كـــان فيثـــاغورث يلقـــب بالسامى "Samios"- (أى مواطن جزيرة ساموس).

(فقرة ٢)

ويقال إنه سافر إلى جزيرة ليسبوس "Lesbos" بتوصية موجهة إلـــى **فيريكيديس** "*Pherekydês*" من عمه (المدعو) **زويلوس** "*Zôïlos*". وكانـــت لديه (حينئذ) ثلاثة كئوس مصنوعة من الفضة، حملها معه كهدية ليقـــدمها إلى كل كاهن على حدة فى مصر. وكان **لفيثاغورث** أشقاء، وكان أكبرهم سنا يدعى **يونوموس**، وأوسطهم فى العمر يدعى **تيرّينوس** (أى الذى هـــو من مدينة صور)؛ كما كان له عبد يدعى **زامولكسيس** "*Zamolxis*"[٢]، كان يتعبد له الجيتاى "Getai" - كما يخبرنا **هيرودوتوس**[٣] - معتقـــدين أنـــه الإله كرونوس. وكان **فيثاغورث** تلميذًا- كما سبق القول- **لفيريكيديس** من جزيرة سيروس[٤]. وبعد وفاة معلمه هذا رحل إلى جزيرة ساموس ليتتلمذ على يد **هيرموداماس**، المنحدر من ســـلالة **كريوفيلـــوس** "*Kreôphylos*"؛ وكان **هيرموداماس** هذا أكبر سنًا من أستاذه الأول. وعندما كان **فيثاغورث** فى سن الشباب الغضة، كان تواقًا إلى العلم والدراسة، ولـــذا ســـافر مـــن

(١) فليوس "*Phlius*" مدينة تقع فى شمال شبه جزيرة البيلوبونيس. (المترجم)

(٢) كان **زامولكسيس** "*Zamolixis*" عبدًا **لفيثاغورث** ثم أعتق ونال حريته وأصبح غنيًا، وعـــاد إلى مسقط رأسه حيث اقتنى قاعة ضخمة كان يدعو إليها جيرانه ويذيع فيهم عقيـــدة الخلـــود والنعيم. وكى يؤثر فيهم اختفى عن الأنظار ثلاث سنوات فى حجرة تحت الأرض وظنوا أنه مات، وحزن الناس عليه حزنا شديدًا، وإذا به يعود فـــى الـــسنة الرابعـــة. راجـــع الـــدكتور الأهوانى، فجر الفلسفة، ص ٧٧. (المترجم)

(٣) أنظر: تاريخ هيرودوتوس، الجزء الثاني، فقرة ٩٣ وما بعدها. [المراجع]

(٤) جزيرة سيروس "*Syros*"، إحدى جزر بحر إيجه. (المترجم)

موطنه ليتمرس بجميع طقوس الأسرار الدينية، سواء كانت يونانية أم أجنبية.

(فقرة ٣)

وعندما استقر به المقام فى مصر، أرسل إليه فى تلك الأثناء بوليقراطيس (حاكم ساموس)، رسالة توصية كى يقدمها إلى أماسيس (ملك مصر). ولقد اتقن **فيثاغورث** تعلم لغة المصريين - كما يخبرنا **أنطيفون** "*Antiphon*" فى كتابه المسمى "**عن الأشخاص الذين تفوقوا فى الجدارة والاستحقاق**" - فضلاً عن أن **فيثاغورث** قد زار أيضًا بلاد الكلدانيين والمجوس "Magoi". وعندما كان فى جزيرة كريت هبط إلى كهف إيدا، وكان برفقته **إبيمينيديس**، كما ولج داخل المعابد المصرية[١] أيضًا، وتعلم من كهنتها الأسرار المقدسة الخاصة بالآلهة التى كان محرمًا التفوه بها. ثم من بعد ذلك قفل عائدًا أدراجه إلى جزيرة ساموس، فوجد أن بلاده قد أصبحت تحت حكم الطاغية **بوليقراطيس**"*Polykratês*"، ولذا فإنه أبحر إلى كروتون التى تقع فى إيطاليا. ومن هناك استمد قوانينا للإيطاليين (الأغارقة)، نال بسببها المجد والشهرة هو وتلاميذه الذين بلغ عددهم ما يقرب من ثلاثمئة، ولقد اضطلعوا بإدارة دفة الشئون السياسية هناك على أفضل صورة، حتى إنهم جعلوا دستورها دستورًا شبه أرستقراطى.

(١) قارن: كليميس السكندري، الطبقات، الجزء الأول، فقرة ٦٦:
"**قال طاليس... إنه تقابل مع رجال الدين المصريين والكهان - على غرار ما فعله فيثاغورث معهم، وإنهم قاموا بختانه على الطريقة المصرية، حتى يتسنى له أن يدخل قاعة الأسرار الدينية التى تقع فى المعابد المصرية، وقد تعلم فلسفتهم**". قارن أيضًا: **يامبليخوس** "Iamblichos"، حياة فيثاغورث، فصل ١٨ وما بعده. [المراجع].

(فقرة ٤)

هذا هو ما أخبرنا به **هيراقليديس** البونطى عنه، وهو ما اعتاد أن يقوله عن نفسه، حيث زعم **فيثاغورث** أنه كان فيما مضى **أيثاليديس** "*Aithalidês*"[١]، الذى ساد اعتقاد أنه هو ابن الإله هيرميس، وأن هيرميس قد أخبره – تبعًا لذلك – بأن فى مقدوره أن يختار أى هبة يشاء فيما عدا الخلود "*athanasia*". وتبعًا لذلك فإن **أيثاليديس** قد التمس منه أن يظل محتفظًا سواء فى حياته أو بعد مماته، بذكرى جميع تجاربه وخبراته التى حدثت له. ومن ثم فقد وهبه الإله القدرة على تذكر كل شيء حدث له فى حياته، وبعد أن قضى نحبه وهبه القدرة على الاحتفاظ بكل ذكرياته كما هى (دون نقصان). وبعد مرور حقبة من الزمن حلت روح **أيثاليديس** فى جسد **يوفوربوس** "*Euphorbos*"[٢]، ومن ثم أصيب بجرح على يد **منيلاؤوس**. أما **يوفوربوس**، فقد اعتاد أن يقول (منذ ذلك الحين) إنه كان فيما مضى (أيضًا) **أيثاليديس**، وأنه اكتسب موهبته هذه من الإله هيرميس، ثم طفق يتحدث عن الجولات التى قامت بها روحه، وكيف أنها حلت، فى أثناء تجوالها، فى كثير من النباتات والحيوانات. كما قص أيضًا قصة ما كابدته روحه فى هاديس (العالم السفلى)، وقصة ما عانته باقى الأرواح هناك واحتملته.

(١) **أيثاليديس**: رامى سهام ممتاز، اشترك فى حملة بحارة السفينة ارجو حيث كان بشيرًا ونذيرًا، وقد ورث عن والده **هيرميس** ذاكرة جيدة غير عادية، وبعد موته عاد ليعيش مع الناس فترات متقطعة. (المترجم)

(٢) **يورفوربوس** طروادى قتل ملك ثساليا الذى كان أول يونانى قتل فى حرب طروادة، فضلاً عن أنه كان أول يونانى هبط على شواطئ طروادة. (المترجم)

(فقرة ٥)

وعندما توفي **يوفوربوس** حلت روحه في جسد **هيرموتيموس**، الذي أراد أن يكسب القصة مصداقية، فذهب إلى معبد الإله أبولون في برانخيداي "*Branchidai*"، حيث أظهر الترس الذي أهداه **منيلاؤوس** كنذر إلى الإله أبولون، (كذلك قال إنه أهدى هذا الترس إلى الإله أبولون أثناء إبحاره في رحلة عودته من طروادة). وأوضح أن الصدأ قد أصبح يكسو الآن هذا الترس، حيث لم يعد باقيًا منه سوى مقبضه العاجي. وعندما قضى **هيرموتيموس** نحبه حلت روحه في جسد صياد سمك من جزيرة ديلوس يدعى **بيرّوس** "*Pyrrhos*". ومرة أخرى تذكر **بيروّس** كل شيء (مر بحياته الماضية)، تذكر كيف أنه كان فيما مضى **أيثاليديس**، ثم **يوفوربوس**، ثم **هيرموتيموس**، ثم **بيروّس**. وعندما أصبح **بيروس فيثاغورث** (أي حلت روحه في جسد الأخير)، ظل متذكرًا لكل تلك الأحداث الماضية التي سبق ذكرها(١).

(فقرة ٦)

وهناك نفر من الرواة يصرون على القول بأن **فيثاغورث** لم يترك كتابًا من تأليفه على الإطلاق، ولا شك أنهم يمزحون بهذا القول. وأيًا كان الأمر، فإن **هيراقليتوس** "*Hêrakleitos*" عالم الطبيعة كان يرفع تقريبًا عقيرته بالصياح في مقولته(٢):

---

(١) كان **فيثاغورث** يؤمن بتناسخ الأرواح. ويحدثنا **أكسينوفانيس** الذي كان معاصرًا له – في بعض أشعاره – أن **فيثاغورث** أوقف ذات مرة شخصًا عن ضرب كلب يعوي، لأنه عرف في عواء الكلب صوت أحد أصدقائه. راجع د. أحمد فؤاد الأهواني. فجر الفلسفة قبل سقراط، ط ١، عام ١٩٥٤، عيسى البابي الحلبي، ص ٧٨. (المترجم)

(٢) أنظر: شذرة رقم 129D ، 17B. [المراجع]

"إن **فيثاغورث بن منيسارخوس** قد مارس البحث أكثر من جميع الناس، ثم انتقى من بين ما ألفه من هذه الكتب كل الحكمة التي اختص بها نفسه؛ ولقد كان غزير المعرفة ولكن فنه كان رديئا"(١).

وكانت المناسبة التى ذكرت فيها هذه العبارة، هى المقدمة التى استهل بها **فيثاغورث** مبحثه الفيزيقي؛ حيث قال: "كلا! قسمًا بالهواء الذى أتنفسه! كلا! قسمًا بالماء الذى أشربه؛ إننى لن أضمر حقدًا البتة ولن ألجأ إلى القدح بخصوص هذا العمل!". وفى الحق إن **فيثاغورث** قد دون ثلاثة كتب: "عن التربية والتعليم"، "عن السياسة"، "عن الفيزيقا".

(فقرة ٧)

غير أن الكتاب الذى تواترت الروايات على أنه من تأليف **فيثاغورث**، هو ذلك الكتاب الذى نشره **ليسيس** "*Lysis*" من تارنتوم "*Tarantinos*"، وهو (فيلسوف) فيثاغورى فر إلى مدينة طيبة حيث أصبح أستاذا للقائد العسكري **إبامينونداس** "*Epameinondas*"(٢).

ويخبرنا **هيراقليديس بن سارابيون** "*Sarapiôn*" – فى كتابه المسمى "ملخص عن سوتيون"– بأن **فيثاغورث** قد كتب أيضًا قصيدة بعنوان "عن الكون"، ثم أتبعها بقصيدة ثانية تسمى "القصيدة المقدسة" يقول فى مطلعها:

---

(١) راجع: فجر الفلسفة اليونانية للدكتور الأهواني، ص ١٠٤. (المترجم)

(٢) قارن الفقرتين ٦ – ٧ أعلاه. ونلاحظ أن **هيسيخيوس** فى معجم سودا (أو سويداس)– وهو مؤلف أقدم فى تاريخه من الحواشى التفسيرية التى وردت على محاورات **أفلاطون** – يثبت أن هذه الفقرة عبارة عن كل متجانس، وأن الشذرة المنسوبة إلى **هيراقليتوس** صحيحة وأصيلة بالتأكيد. وتشير العبارة المحتوية على كلمة "*historiên*" إلى قيام **فيثاغورث** بدراسة القياس والأبعاد فى مصر. [المراجع]

"أيها الشبان، هل لكم أن تقدموا آيات التوقير بخشوع وهدوء إلى ما يلى من كلمات!"

كما يقول إنه كتب كتابًا ثالثًا يسمى "عن النفس"، ورابعًا بعنوان "عن التقوى"، وخامسًا بعنوان "هيلوثاليس Hêlothalês، والد **إبيخارموس** من جزيرة قوص"، وسادسًا بعنوان "كروتون Krotôn"، وكتبًا أخرى غيرها. ثم إنه يخبرنا، أيضًا بأن، القصيدة المسماة "**الأسرار المقدسة** *to Mystikon Logon*" من تأليف **هيباسوس**، وأن الأخير قد نظمها لتشويه سمعة **فيثاغورث** والافتراء عليه كذبًا. كما يؤكد لنا أن هناك مؤلفات أخرى كثيرة من تأليف **آسطون** "*Astôn*" من كروتون قد نُسبت إلى **فيثاغورث**.

(فقرة ٨)

أما **أريسطوقسينوس** "*Aristoxenos*"؛ فيقول إن **فيثاغورث** قد استقى معظم نظرياته الأخلاقية من كاهنة دلفى المسماة **ثيميسطوقليا** *Themistokleia*. ويروى لنا **إيون** من جزيرة خيوس – فى كتابه المسمى "**ترياجموى**" "*Triagmoi*" – أن (الفيلسوف **فيثاغورث**) قد نسب بعض القصائد التى قام هو بنظمها إلى (المنشد الأسطوري) **أورفيوس** "*Orpheus*"[1]. وهم يزعمون أيضًا أن **فيثاغورث** هو مؤلف الكتاب المعروف باسم **سكوبياديس** "*Skopiades*"، وهو الكتاب الذى يقول فى مطلعه: "لا تخجل قط ... أمام أى إنسان!".

---

(١) أنظر كتاب "شذرات المؤرخين الإغريق"، شذرة رقم ١٢، الجزء الثانى، ص ٤٩. وتوجد هذه الشذرة ذاتها عند كليميس السكندرى، الطبقات، الجزء الأول، فصل ١٣١: "ويروى لنا إيون من جزيرة خيوس أن فيثاغورث قد نسب عملاً من تأليفه إلى (المنشد) أورفيوس". وهناك تطابق فى الألفاظ بين الشذرتين فيما عدا عبارة واحدة هى "tina historei" التى وردت عند كليميس السكندرى. [المراجع]

ويخبرنا **سوسيقراطيس** فى كتابه "تعاقب الفلاسفة"، بأنه حينما سأله **ليون** "*Leôn*"، طاغية مدينة فليوس، عمن يكون، أجابه **(فيثاغورث)** بقوله: "أنا فيلسوف!"[١]، ثم إنه من بعد ذلك شبه الحياة بالاحتفال أو المهرجان *panêgyris*، الذى يذهب إليه فريق من الناس للتنافس على الجائزة، وفريق آخر للتجارة، وفريق ثالث وهو الأفضل ليكون بمثابة مشاهد. ثم قال: "**وبالمثل، فهناك فى الحياة طائفة من البشر مثل العبيد فى طبيعتهم، لديهم ولع للشهرة ونهم لحب الكسب، أما الفلاسفة فمرامهم البحث عن الحقيقة**". كان هذا هو ما يتعلق بهذا الموضوع.

(فقرة ٩)

ويمكن القول بصفة عامة بأن محتويات المباحث الثلاثة التى سبق ذكرها والتى ألفها **فيثاغورث** على النحو التالى:

* إن (الفيلسوف لا يسمح لنا بأن نصلى من أجل أنفسنا، نظرًا لأننا لا نعرف ما هو صالحنا. وهو يسمى السُكْر "*methê*" – (بسبب تناول الخمر) بكلمة واحدة لا سواها هى الضرر (المحقق)، كما أنه يستهجن جميع أنواع الإفراط، قائلاً (فى هذا الصدد): إنه ينبغى على المرء ألا يتخطى خط الاعتدال فى الشراب ولا فى الطعام. أما عن الانغماس فى الشهوات الجنسية، فهو يقول ما يلى: "**مارس اللذات الجنسية فى فصل الشتاء واجتنبها فى فصل الصيف؛ وهذه اللذات أقل ضررًا فى فصلى الخريف والربيع، ولكنها ثقيلة الوطأة فى كل وقت وتؤذى الصحة". وعندما سئل عن متى ينبغى للرجل أن يضاجع المرأة، قال: "عندما تروم أن تصير قوتك إلى ضعف محقق**".

---

(١) قارن: الجزء الأول، فقرة ١٢، وهو منشور فى المجلد الأول الذى نشر بالمشروع القومى للترجمة تحت رقم (١٠٣٣). ومن هنا يتبين لنا أن **سوسيقراطيس** قد اعتمد على **هيراقليديس** من بونطوس كمصدر لمعلوماته عن هذه الطرفة. [المراجع].

(فقرة ١٠)

* وهو يقسم حياة الإنسان على النحو التالي: "عشرون عاما صبيًا "***pais***"، وعشرون عامًا شابًا "***neaniskos***"، وعشرون عامًا فتى "***neanias***"، وعشرون عامًا شيخًا "***gerôn***"؛ وهذه الفترات الأربع من العمر موازية للفصول الأربعة، فالصبى يناظر الربيع "***ear***"، والشاب يناظر الصيف "***theros***"، والفتى يناظر الخريف "***phthinopôros***"، والشيخ يناظر الشتاء "***cheimôn***".

* والشاب "***neaniskos***" بالنسبة إلى **فيثاغورث** يعنى الغلام "***meirakion***"، أما الفتى "***neanias***" فيعنى الرجل "***anêr***" – (الناضج). وكان (**فيثاغورث**) هو أول من قال– على نحو ما يخبرنا **تيمايوس** "***Timaios***" – إن كل شيء مشاع ومشترك بين الأصدقاء، وأن الصداقة تعنى المساواة. وفى الحق، إن تلاميذه قد أودعوا كل ممتلكاتهم فى مستودع واحد [شيدوه معًا]. ولقد ظل (هؤلاء التلاميذ) مدة خمس سنوات صامتين، لا يفعلون شيئًا سوى الاستماع إلى محاضرات (أستاذهم) دون أن تقع أبصارهم على (شخص) **فيثاغورث**[1]، إلى أن اجتازوا الاختبار؛ ومن ثم سُمح لهم من بعد ذلك بدخول منزله، وأبيحت لهم مشاهدته أو رؤيته بأعينهم. وكان محظورًا عليهم أن يستخدموا توابيت من خشب أشجار السرو، نظرًا لأن صولجان (كبير الآلهة) زيوس كان مصنوعًا من هذا الخشب. وهذا هو ما ذكره لنا **هيرميبوس** فى الجزء الثانى من كتابه "**عن فيثاغورث**".

---

(١) وكان السبب فى ذلك هو أن **فيثاغورث** كان يحاضر تلاميذه ليلا. أنظر الفقرة رقم (١٥) أدناه، حيث ترد فيها عبارة "*nykterinê akrousis*" بمعنى "المحاضرة الليلية". [المراجع]

(فقرة ١١)

ويقال إن سلوك **فيثاغورث** كان فى غاية المهابة والوقار، وإن تلاميذه كانوا يعتقدون أنه (الإله) أبولّون الذى وفد إليهم من أقصى شمال العالم. وهناك قصة تروى عنه مفادها أنه تجرد ذات مرة من ثيابه فاتضح للناظرين إليه أن فخذه مصنوع من الذهب. وهناك رواية أخرى مفادها أنه حينما كان يعبر نهر نيسّوس "Nessos"، زعم عدد كبير من الناس أنهم سمعوا (النهر) يحادثه مرحبًا به. ويخبرنا **طيمايوس** فى الجزء العاشر من كتابه "التاريخ" بأن **فيثاغورث** قد قال إن قرينات الرجال كن يحملن أسماء هى للأرباب، ذلك أنهن كن يلقبن بالألقاب التالية: "*Korai*" (الفتيات العذارى)، *Nymphai* (العرائس)، ثم "*Mêteres*" (الأمهات أو الوالدات)(١).

وكان **فيثاغورث** هو الذى وصل بالهندسة إلى حد الكمال، فى حين أن **مويريس** "*Moiris*" كان أول من اكتشف بدايات عناصرها، وفقًا لما يخبرنا به **أنطيقليديس** "*Antikleidês*" فى الجزء الثانى من كتابه "عن الإسكندر"(٢).

(فقرة ١٢)

كذلك كان **فيثاغورث** هو الذى أمضى جل وقته فى دراسة الطابع الحسابى للهندسة؛ ولقد اكتشف كذلك قانون (الفواصل الموسيقية) الناتجة عن الوتر الواحد فى الآلة الموسيقية، فضلاً عن أنه لم يهمل أو يقصر حتى فى

---

(١) كانت الربة برسيفونى ابنة الربة ديميتر تسمى أحيانا *Korê* (أى العذراء)، وكانت عرائس البحر يعرفن باسم *Nymphai* (أى الحوريات)، أما الربة ديميتر (ربة المحاصيل وغلال الأرض)، فكانت تسمى بالربة الوالدة أو الأم "*Mêtêr*". وهذا هو ما يقصده **فيثاغورث** من أن الزوجات كن يحملن أسماء الربات. [المراجع]

(٢) وجاء ذلك فى كتابه المسمى "عن الإسكندر"؛ والشذرة المذكورة أعلاه وردت فى صفحة ١٤٧. [المراجع]

دراسة الطب. ولقد أخبرنا **أبولودوروس**، الخبير فى الحساب الرياضى، أن **فيثاغورث** قد قدم للأرباب أضحية مكونة من مئة ثور "***hekatombê***"، عندما اكتشف أن المربع المقام على وتر المثلث قائم الزاوية يساوى مجموع المربعين المقامين على الضلعين الآخرين المحتويين على الزاوية القائمة للمثلث ذاته. وها هى إبجرامة تقول عنه ما يلى[(١)]:

"عندما اكتشف فيثاغورث هذا الكشف (الهندسي) المشهور، قدم (للأرباب) تلك الأضحية الشهيرة من الثيران عرفانًا بهذا الفضل".

ولقد روى كذلك أنه كان أول من درب اللاعبين الرياضيين على اتباع نظام غذائى فيما يخص تناول اللحوم، مجربًا إياه فى البداية على اللاعب الرياضى **يوريمينيس** "*Eurymenês*"[(٢)] – وفقًا لما يخبرنا به **فابورينوس** فى الجزء الثالث من كتابه المسمى **"المذكرات أو التعليقات** "*Apomnemoneumata*" – فى حين أن هؤلاء اللاعبين كانوا قبل ذلك يقتاتون على التين الجاف والزبد[(٣)]، وكذا على حبوب القمح، وفقًا لما يخبرنا به **فابورينوس** نفسه فى الجزء الثامن من كتابه المسمى "أمشاج من التاريخ".

(فقرة ١٣)

ويقول بعض إن من كان يدربهم على هذا النظام الغذائى هو مدرب آخر يدعى **فيثاغورث**[(٤)]، وهو شخص آخر خلاف **فيثاغورث** (الفيلسوف

---

(١) انظر: كتاب المختارات البالاتينية، الجزء السابع، إبجرامة رقم ١١٩. [المراجع]

(٢) كانت قصة **يورريمينيس** معروفة جيدًا **لبورفيريوس**. انظر: حياة فيثاغورث، فصل ١٨. [المراجع]

(٣) حرفيًا: "**الجبن السائل** *hygroi tyroi*". انظر: الجزء الأول، فقرة ٧ (منشور بالمجلد الأول). [المراجع]

(٤) قارن: **يامبليخوس**، حياة فيثاغورث، فقرة ٢٥؛ وقارن أيضًا: بورفيريوس، عن الصوم، الجزء الأول، فقرة ٢٦. [المراجع]

الذى نتحدث عنه)، نظرًا لأن (الفيلسوف) كان يحرم قتل الحيوانات – ناهيك عن أكل لحومها – التى تشترك معنا فى أنها ذات روح خاصة بها(١).

ولقد كان هذا هو المبرر الذى سيق فيما بعد (تفسيرًا لهذا الاعتقاد)، أما السبب الحقيقى الذى جعل (**فيثاغورث**) يحرم الحيوانات، فهو العمل على تدريب الناس وتعويدهم على البساطة في الحياة، وذلك حتى يصبح بوسعهم أن يقتاتوا على أغذية يسهل الحصول عليها، وأن يقدموا على موائدهم طعامًا غير مطهو، وأن يقتصروا فى شربهم على الماء القراح؛ لأن هذا هو السبيل إلى اكتساب صحة الجسم وحدة الذهن. وكان المذبح الوحيد الذى كان **فيثاغورث** يقدم علي – بطبيعة الحال – قرابينه وصلواته هو مذبح الإله أبولّون واهب الحياة "*Geneteros*" فى جزيرة ديلوس، وهو المذبح الذى يوجد خلف مذبح القرون "*keratinos*". وكان العابدون (فى مذبح أبولّون يقدمون عليه قرابين مكونة من القمح والشعير ومن الفطائر المصنوعة من دقيقيهما فقط بدون أن تخبز على النار. ولم تكن هناك أى أضاحٍ من لحوم الحيوانات تقدم على هذا المذبح، وفقًا لما يخبرنا به **أرسطو** فى كتابه المسمى "دستور أهل ديلوس".

(فقرة ١٤)

ثم إنهم يقولون إن **فيثاغورث** كان أول من صرح بأن الروح – التى ترتبط طورًا بأحد الكائنات الحية وطورًا بكائن حى آخر – تنتقل من مسار

---

(١) يذهب **أريسطوكسينوس** إلى أن **فيثاغورث** لم يمتنع عن أكل اللحم على الإطلاق، بل اقتصر على لحم الثور الذى يقوم بحرث الأرض، وكذلك الكبش. ويبدو أن تحريم ذبح الحيوان وأكله يتصل اتصالا وثيقا بعقيدة تناسخ الأرواح، إذ يمكن أن توجد روح إنسان فى بدن الحيوان الذى ذبح. راجع: د. أحمد فؤاد الأهوانى، فجر الفلسفة اليونانية، ص ٧٦. (المترجم)

دائرى تفرضه الحتمية. كذلك كان **فيثاغورث** هو أول من أدخل المقاييس "*metra*" والأوزان "*stathma*" إلى بلاد اليونان وجعلها معروفة للإغريق، على نحو ما يخبرنا به **أريسطوكسينوس** الموسيقار. فضلاً عن أنه كان أول من قال بأن نجمة المساء "*Hesperos*" هي ذاتها نجمة الصباح "*Phosphoros*"، وفقاً لما يخبرنا به **بارمينيديس** "*Parmenidês*"[١].

ولقد حظى **فيثاغورث** بإعجاب لا مزيد عليه، لدرجة أن تلاميذه ومريديه كانوا يقولون عنه إنه عبارة عن أصوات نبوءة تنطق بوحى من الإله. ثم إنه كان هو نفسه يقول فى عمل من مؤلفاته إنه: "**عاد إلى عالم البشر (الأحياء) بعد أن أمضى فى هاديس** (عالم الموتي) **سبعة أعوام ومئتين**". ومن أجل هذا السبب ظل أتباعه وأصفياؤه مخلصين له، وكان الدارسون يفدون للاستماع إلى محاضراته (من بقاع قاصية)، وكان من بينهم مواطنون لوكانيون "Leukanoi"[٢]، ومواطنون بيوكيتيون "Peuketioi"[٣]، وميسابيون "Messapioi"[٤]، ورومان.

(فقرة ١٥)

وحتى حلول عصر **فيلولاؤوس** "*Philolaos*"؛ كان من المتعذر معرفة أية نظرية من نظريات **فيثاغورث**. وكان **فيلولاؤوس** هو الوحيد الذى اقتنى الكتب الثلاثة ذات الصيت الذائع، التى أرسل **أفلاطون** مبلغ مائة مينا

---

(١) انظر أدناه، الجزء التاسع، فقرة ٢٣. [المراجع]

(٢) **اللوكانيون**: هم سكان إقليم لوكانيا "*Loucania*"، وهو إقليم فى الجزء الجنوبى من إيطاليا خضع لسيطرة الإغريق قبل أن يسيطر عليه اللوكانيون. (المترجم)

(٣) **البيوكتيون**: سكان منطقة قديمة فى إيطاليا كانت تسمى بيوكتيون. (المترجم)

(٤) **المسابيون** *Messapioi*: هم سكان مقاطعة مسابيا "Messapia" القديمة فى جنوب إيطاليا. (المترجم)

(١٠٠٠٠ دراخمة) كى يشتريها(١). ولقد ذهب ما لا يقل عن ستمئة شخص لسماع محاضرته الليلية "*nykterinê akroasis*". أما هؤلاء الذين حظوا بشرف مشاهدته، فقد كتبوا إلى أصدقائهم ومعارفهم عن الحظ الوافر الذى نالوه. وفضلاً عن ذلك فإن المواطنين الميتابونتيين "Metapontinoi"(٢) قد أطلقوا على منزل **فيثاغورث** اسم "معبد الربة **ديميتر**"، كما اسموا رواق المنزل باسم الموسيون (معبد ربات الفنون)، وفقًا لما يخبرنا به **فابورينوس** فى كتابه "أمشاج من التاريخ"(٣). ولقد اعتاد باقى الفيثاغورثيين على أن يقولوا إن جميع النظريات التى قال بها لم يكن ميسورًا فهمها للناس كافة، على نحو ما يخبرنا به "**أريسطوكسينوس**" فى الجزء العاشر من كتابه **قوانين التربية والتعليم** "*Paideutikoi Nomoi*".

(فقرة ١٦)

ويخبرنا **أريسطوكسينوس**– فى الكتاب ذاته– أنه عندما سأل شخص (فيلسوفا) فيثاغورثيًا يدعى **إكسينوفيلوس** "*Xenophilos*"عن كيف يربى ابنه أفضل تربية، رد عليه (الفيلسوف) بقوله إنه سيحقق ذلك لو أنه جعله مواطنًا فى مدينة تحظى بحكم صالح. ولقد نجح **فيثاغورث** فى أن ينشئ فى ربوع إيطاليا رجالاً نبلاء فاضلين من أمثال المشرعين **زاليوكوس** و**خاروندداس**. فلقد كان **فيثاغورث** يحظى بمقدرة فائقة على عقد أواصر الصداقة، وبوجه

---

(١) يقول **يامبليخوس** إن **أفلاطون** أرسل إلى ديون "Diôn" حاكم صقلية لشرائها وأنه أرسل له ثلاث رسائل بهذا الشأن، وأرسل معها منتين من المينات. (المترجم)

(٢) **الميتابونتيون**: هم سكان إحدى مدن بلاد اليونان الكبرى "agna Graecia" (المترجم)

(٣) أنظر: **بورفيريوس**، حياة فيثاغورث، ٤؛ حيث ينسب هذه المقولة إلى **طيمايوس** المؤرخ الصقلى (انظر: شذرات كتاب التاريخ الإغريق، الجزء الأول، ص٢١١، شذرة رقم ٧٨). وربما لم يعتمد **فابورينوس** على كتاب **طيمايوس** المؤرخ فى إيراده لهذه المعلومة المذكورة فى المتن. [المراجع]

خاص حينما يعرف أن شخصًا قد فهم رموزه السرية "*symbola*" وشاركه فى تبينها، فعندئذ كان يقربه إليه فى التو ويتخذ منه رفيقًا ويجعله خليلاً له.

(فقرة ١٧)

وهاكم قسطا من رموزه السرية "*symbola*":

* لا تحرك النار بالسكين – لا تتخطى دعامة الميزان – لا تجلس فوق مكيال الخوينيكس "*choinix*" (البوشل)[١] – لا تأكل قلبك – لا تحمل حملاً نيابة عن شخص، بل ساعده فقط فى إنزاله – واظب على ترتيب فراش نومك – لا تنقش صورة الإله على خاتمك – لا تترك آثار القدر على الرماد – لا تمسح المقعد بالشعلة – لا تتبول وأنت مواجه للشمس – لا تمش فى الطرق العامة – لا تصافح بيدك اليمنى أحدًا بحرارة – لا تحتفظ بالعصافير تحت سقف منزلك – لا تربى طيورًا ذات مخالب معقوفة – لا تتبول على أظافرك ولا على خصلات شعرك التى قصصتها ولا تقف فوقها – ابعد عنك نصل السكين الحاد – لا تعد أدراجك إلى الحدود عندما تكون مسافرًا إلى الخارج.

(فقرة ١٨)

وهاكم ما كان (**فيثاغورث**) يقصده (بهذه الرموز السرية):

- "لا تحرك النار بالسكين" : أى لا تثر غضب أو حفيظة علية القوم أو تطعنهم فى كبريائهم.

---

(١) الخوينيكس: مكيال إغريقى قديم للحبوب الجافة (البوشل)، وكان مقداره ربع جالون تقريبًا. [المراجع]

- "لا تتخطى (دعامة) الميزان" : أى لا تتجاوز حدود القول والإنصاف.
- "لا تجلس فوق (مكيال) الخوينيكس": أى اهتم بالحاضر قدر اهتمامك بالمستقبل، حيث إن (مكيال) الخوينيكس هو حصة المرء من الغذاء اليومي.
- "لا تأكل قلبك" : أى لا تضيع حياتك أو تجعل نفسك تذهب حسرات على المتاعب والهموم.
- "لا تعد أدراجك إلى الحدود عندما تكون مسافرًا" : هى عبارة عن نصيحة يوجهها الفيلسوف إلى أولئك الذين هم على أهبة الرحيل عن دنيانا، مفادها ألا يجعلوا الرغبة فى الحياة هى المسيطرة عليهم، وألا يجعلوا لذات الدنيا (الفانية) هى التى تقودهم. أما فيما يتعلق بالرموز الباقية فإنها تسير على الوتيرة ذاتها، ولذا فإننا نفضل غض النظر عنها حتى لا ننساق فى الاستطراد أطول مما ينبغى.

(فقرة ١٩)

وفوق ذلك كله، فقد دأب (فيثاغورث) على تحريم تناول السمك الأحمر "*erythinos*"، والسمك ذى الذيل الأسود "*melanouros*"، وكان يمتنع عن أكل قلوب (الحيوانات) وعن أكل الفول. ويخبرنا أرسطو بأنه كان يمتنع- فى بعض الأحيان- عن تناول الحوايا (الأحشاء)(١)، وعن أكل سمك المرجان (الأحمر). ويقول بعض: إنه كان يكتفى بتناول العسل فقط، أو بتناول

---

(١) حرفيا: "يمتنع عن تناول الرحم *mêtra*"، أى الغشاء المحيط بالبطن من الداخل. [المراجع]

قرص العسل أو الخبز، وأنه لم يذق طعم الخمر طوال نهـــاره؛ وأنـــه كـــان يقتصر فى طعامه على قدر وفير من الخضروات المسلوقة والنيئة، وأيـــضًا على الأسماك ولكن بصفة نادرة. وكـــان رداؤه أبيـــض اللون ونظيفًا، أمـــا دثـــار سريره فكان من الصوف الأبيض، نظرًا لأن التيل (المـــصنوع مـــن الكتان) لم يكن قد عُرف آنذاك فى تلك المناطق. ولم يعرف عنه قط أنه قـــد أفرط فى تناول الطعـــام أو فى الشهوات الحسية أو فى شرب الخمر حتـــى درجة السكر.

(فقرة ٢٠)

وكان **فيثاغورث** يجتنب الضحك بصوت مرتفع، كما كان يربأ بنفـــسه عن كل مظهر مرامه إرضاء الأذواق الهابطة، مثل : التلفظ بالـــدعابات أو الضحكات السمجة أو رواية القصص الغثة الممجوجة. ولم يقدم أبـــدًا علـــى معاقبة عبد ولا إنسان حر وهو فى حالة غضب. وكان من دأبـــه أن يطلـــق على "النصح" كلمة "*pedartan*" (أى: لفت النظـــر). وكـــان معتـــادًا علـــى ممارسة التنبؤ أو العرافة "*mantikê*" من خلال أصوات البـــشر وأصـــوات الطيور، وليس على الإطلاق عن طريق المُحْرَقـــات "*empyra*" (القـــرابين المحروقة) فيما خلا البخور. وكانت القرابين التى يقدمها على (المـــذابح) لا تحتوى أبدًا على كائنات حية أو بها حياة. وإن كان بعض يخبرنا بأنه كـــان يقدم فقط أضاحى من الديكة "*alektores*" ومن العنـــزات الرضـــع أو مـــن الخنازير الرضع "*hapaliai*" كما كانت تسمى، ولكنه لم يقدم علـــى الإطـــلاق أضاحى من الحملان.

غير أن **أريسطوكسينوس** يذهب إلى القول بأنّ **فيثاغورث** قـــد وافـــق على أكل لحوم الحيوانات الأخرى كافة، ولكنه امتنع فقط عن أكـــل (لحـــم) الثور الذى يجر المحراث وكذا لحم الجدى.

(فقرة ٢١)

ويخبرنا المؤلف نفسه **أريسطوكسينوس** – كما سبق القول – بأن **فيثاغورث** قد تلقى نظرياته أو عقائده من كاهنة فى دلفى تدعى **ثيموسطوقليا**(١). وإن كان **هيرونيموس** "*Hierônymos*" يقول إنّ: **فيثاغورث**– حينما هبط إلى هاديس (العالم السفلي) – شاهد روح (الشاعر) **هيسيودوس** موثقة بإحكام فى عمود نحاسي وهى تئن وتهذى، وإنه شاهد أيضًا روح (الشاعر) **هوميروس** معلقة فى شجرة والثعابين ملتفة حولها، وذلك بسبب ما تقولا به (كذبًا) عن الآلهة. فضلاً عن أنه شاهد الرجال (الأزواج) الذين كانوا غير مخلصين فى معاشرتهم لزوجاتهم، وهم ينالون العقاب أيضًا على فعلتهم؛ وأن هذا بوجه خاص هو السبب الذى نال **فيثاغورث** من أجله التكريم على يد مواطنى مدينة كروتون. ويخبرنا **أريسطيبوس** القوريناني فى كتابه "عن علماء الطبيعة" بأن **فيثاغورث** قد سمى باسمه هذا، لأنه نطق بالحق تمامًا مثل نبوءة الإله (أبولّون) البيثية(٢).

(فقرة ٢٢)

ويقال إن **فيثاغورث** كان من دأبه أن ينصح تلاميذه فى كل مرة بأن يقولوا العبارة التالية عند دخولهم من أبواب منازلهم:

---

(١) يعتقد سويداس فى معجمه أنها شقيقة **فيثاغورث**، وأنها كانت تعمل كاهنة للإله أبولّون فى معبد دلفي. (المترجم)

(٢) ويقول ويل ديورانت فى هذا المعني: "إن معنى كلمة **فيثاغورث** "*Pythagoras*" هو "الناطق البيثى"، أى الناطق بلسان مهبط الوحى فى دلفي. وكان كثير من أتباعه يقولون إنه هو أبولّون نفسه". راجع قصة الحضارة، ترجمة: محمد بدران، المجلد السادس، ص٩٩٢. (المترجم)

° وكلمة "*Pythagoras*" تفهم أحيانًا عند الإغريق على أنها مشتقة من لفظين، أحدهما "*Pythios*" بمعنى "البيثى" أي: "الأبولّونى"، والثانى "*agoreuein*" وهو مصدر لفعل يعنى "ينطق" أو "يتكلم". وكأن اسم الفيلسوف يعنى "الناطق باسم أبولّون البيثى". [المراجع]

"ترى فيم تجاوزتُ الصواب؟ وماذا قدمتُ (من حسنات)؟ وما الواجبات التى أهملتُها وكان لزامًا على أن أُنجزَها؟".

وكان ينهاهم عن ذبح الأضاحى وتقديمها للآلهة، ويوصيهم بأن يتعبدوا فقط أمام المذبح الذى لم يدنس بدماء (الأضاحى)، وألا يقسموا بالأرباب أو يأخذوهم شهودًا، لأن من واجب المرء أن يناضل من أجل جعل كلماته جديرة بالمصداقية وموثوقًا فيها. وكان يوصيهم بتوقير الكبار، على أساس أن الأسبقية فى السن تمنح الأولوية فى الاحترام والتوقير؛ فبمثل ما أن الشروق يسبق الغروب فى العالم، فكذلك تسبق البداية النهاية فى دنيانا، ويسبق الميلاد الممات فى حياتنا (البشرية).

(فقرة ٢٣)

وكان يوصى بتقوى الآلهة بقدر أكبر من تقوى أنصاف الآلهة "*Daimones*"، وبتفضيل الأبطال على البشر (العاديين)، وكان يختص الأبوين من بنى البشر بأوفى قدر من الاحترام. كما كان يوصى بلطف المعشر بين الناس وبعضهم، حتى لا نجعل الأصدقاء أعداء لنا، فالأحرى بنا أن نحول الأعداء إلى أصدقاء. كما كان يوصى (تلاميذه) بألا يُعلُّوا من قدر أنفسهم، وبأن يكونوا خير عون للقانون، وأن يشنوا حربًا شعواء على مبدأ الخروج عن القانون. كما كان يوصيهم بألا يهلكوا النبات الوديع المسالم، أو يلحقوا الضرر بحيوان لا يؤذى الإنسان. كما كان يوصى بأن الحرص على الاحتشام يوجب عدم الانخراط فى الضحك وعدم الاستسلام للعبوس أو التجهم. كما كان ينصح بعدم الإفراط فى السمنة، وبالبعد عن كل من التراخى والإرهاق فى السفر. وكان يوصى بتدريب الذاكرة، وبعدم استخدام اللسان أو اليد فى حالة الغضب، وكذا باحترام كل أنواع النبوءات.

(فقرة ٢٤)

وكان يوصى كذلك بالغناء على أنغام القيثارة، وإظهار الامتنان وإغداق الثناء على الأرباب والبشر عن طريق ترتيل الأناشيد. كما كان ينصح (تلاميذه) بالامتناع عن أكل الفول لأنه يسبب انتفاخ البطن، فضلاً عن أنه يستهلك معظم الأنفاس التى تمنحها الحياة. ومن ناحية أخرى، كان **(فيثاغورث)** يرى أن من الأوفق للمعدة عدم تناول (الفول)، نظرًا لأن عدم تناول (الفول) يجعل أحلامنا لطيفة ونومنا هادئًا خاليًا من الاضطراب.

ويخبرنا الإسكندر فى كتابه المسمى "تعاقب الفلاسفة" بأنه عثر فى مذكرات "*hypemnêmata*" **فيثاغورث** أيضًا على المعتقدات التالية(١):

(فقرة ٢٥)

* المبدأ الذى ينادى بأن الموناد "*monas*" (الواحد) هو أساس جميع الموجودات، وينشأ عن هذا الموناد ثنائى "*dyas*" غير محدد "*aoristos*" من شأنه أن يكون مادة تشكل أساسا لهذا الموناد وتكون سببًا له. ومن الموناد

---

(١) عن العقائد والنظريات الفيثاغورثية انظر: الفقرات ٢٥ – ٣٥ أدناه من هذا الفصل. حيث كان الإسكندر المذكور أعلاه هو مصدر المعلومات التى أوردها **ديوجينيس لانيرتيوس** عنه فى هذا الفصل. ومن المعروف أن هذا الباحث (الإسكندر) – الذى يتمتع بهمة لا تعرف الكلل وبمعلومات غزيرة – قد ألف كتابًا خاصا عن نهج المدرسة الفيثاغورثية. وربما لم يكن **ديوجينيس لانيرتيوس** يمتلك شخصيا هذا الكتاب الذى ألفه الإسكندر، ولكنه بالقطع رجع إليه فى إحدى المكتبات العامة آنذاك. ومن المعروف أن هناك تراثًا مستفيضًا ومتزايدًا من المعلومات عن المدرسة الفيثاغورثية الجديدة، ظل يتراكم منذ عصر **الإسكندر بوليسطور** "*Polyistōr*"، الذى عاش خلال القرن الأول ق. م. حتى القرن الثالث الميلادى الذى عاش فيه **ديوجينيس لانيرتيوس**. ولا ريب أن تراث هذه المدرسة كان يشتمل على الخصائص الصوفية للأرقام، وعلى نظرية الأخلاق المؤسسة على الثيونوجيا (اللاهوت). وسوف نلاحظ أن **ديوجينيس لانيرتيوس** يتجاهل كل هذا التراث الذى يعود الفضل فيه إلى المؤلفات التى دونها علماء العصر الهيلنستي، ولكنها اختفت أو تعرضت للنسيان تدريجيا. [المراجع]

ومن الثنائي غير المحدد تنشأ الأعداد "*arithmoi*"، ومن الأعداد تنشأ النقط "*sêmeia*"، ومن النقط تنشأ الخطوط "*grammai*"، ومن الخطوط تنشأ السطوح *epipeda schêmata*، ومن السطوح تنشأ الأحجام "*sterea schemata*"، ومن الأحجام تنشأ جميع الأجسام الحسية "*aisthêta sômata*"، ومن الأجسام الحسية تنشأ العناصر "*stoicheia*" التي هي أربعة: النار "*pyr*"، الماء "*hydôr*"، التراب "*gê*"، والهواء "*aêr*". وتتغير هذه (العناصر) وتتحول فيما بينها بطريقة كاملة لتخلق عالم الأحياء الذي يتصف بالذكاء "*noeros*" وبأنه كروي الشكل "*sphairoeidês*"، حيث تكون الأرض في وسطه؛ والأرض نفسها كروية الشكل وهي مأهولة بالسكان المنتشرين فوق سطحها.

(فقرة٢٦)

* وهناك جهتان متقابلتان "*antipodes*" لسطح الكرة الأرضية، حيث يكون ما هو متجه إلى أسفل عندنا متجها إلى أعلى عندهم. كما أن النور "*phôs*" والظلمة "*skotos*" ليما قدر متساوٍ "*isomoiron*"[(١)] في الكون، ومن ثم فهناك حرارة "*thermon*" وهناك برودة "*psychron*"، وهناك جفاف "*xêron*" وهناك رطوبة "*hygron*". فعند سيادة الحرارة وانتشارها يوجد الصيف "*thêros*"، وعند سيادة البرودة وسيطرتها يوجد الشتاء "*cheimôn*"، وعند سيادة الجفاف يوجد الربيع "*ear*"، وعند سيادة الرطوبة يوجد الخريف "*phthinopôros*"[(٢)]. ولكن إذا كان هناك توازن فإننا نحظى بأفضل فترة من

---

(١) قارن: مسرحية إلكترا "*Elektra*" للشاعر سوفوكليس، بيت رقم ٨٧، حيث نجد عبارة: "*gês isomoir' aêr*" ومعناها: "الهواء الذي له قدر متساوٍ مع الأرض". [المراجع]

(٢) عرض أفلاطون لفكرة مماثلة في محاورة المنتدى (المأدبة) على لسان الطبيب أريكسيماخوس حيث رتب فصول السنة حسب تأثير الحب بنوعيه: الحب النبيل يتغلب على=

فترات السنة، حيث تشكل نضارة الربيع الفصل الصحى، أما إذا حل بوار الخريف وفساده كان (الفصل) حاملاً للمرض وغير صحي. وكذلك الحال بالنسبة إلى اليوم؛ فالنضارة تنتمى إلى فترة الصباح، أما العفن والفساد فينتميان إلى فترة المساء التى هى جالبة للمرض وغير صحية. أما الهواء المحيط بالأرض فهو راكد وضار بالصحة وكل ما فيه مهلك ومميت. وأما الهواء الذى يوجد فى الطبقات الأعلى فهو فى حالة حركة دائمة وهو نقى وصحى وكل ما فيه خالد، ومن ثم فهو مقدس.

(فقرة٢٧)

* ويرى **فيثاغورث** أن الشمس "*hêlios*" والقمر "*selênê*" والنجوم "*asters*" الأخرى عبارة عن آلهة، نظرًا لأن هناك حرارة سائدة داخلها، والحرارة هى سبب الحياة، وأن القمر يستمد نوره من الشمس. ويعتقد أيضًا أن هناك صلة وثيقة من القرابة تجمع بين البشر والأرباب، من حيث إن الإنسان يحظى بمقدار من الحرارة يتشارك فيه (مع غيره من البشر). ومن هنا، فإن الله يرعانا (بوصفنا بشرًا) ويعتنى بنا. (وكل شىء فى الحياة) خاضع للقدر "*heimarmenê*"، لأن القدر هو سبب النظام فى الموجودات، سواء ككل أو منفصلة. وأشعة الشمس تنفذ من خلال الأثير "*aithêr*"، سواء كان باردًا أو كثيفًا "*pachys*". وهم يُسَمّون الهواء باسم الأثير البارد، بينما يسمون البحر والرطوبة بالأثير الكثيف. وهذه الأشعة تهبط إلى الأعماق "*benthê*" (عند نفاذها من خلال الأثير)، ومن ثم فإنها تبعث الحيوية والنشاط فى كل الموجودات.

= العناصر المتنافرة فينمو الإنسان ويزدهر النبات؛ والحب الدنىء الذى حينما يسيطر على الفصول يعم القحط ويسود الجدب...إلخ. راجع: المحاورة، فقرة ١٨٨ أ ، ب. (المترجم)

(فقرة ٢٨)

* وكل الموجودات الحية تتشارك فى الحرارة، وهذا هو السبب فى أن النباتات تعتبر كائنات حية، وإن كانت جميع الموجودات ليست لها روح "*psyche*"، حيث إن الروح جزء انفصل عن الأثير الذى هو طور حار وطور بارد، نظرًا لأن الروح تشارك فى الأثير البارد ولها نصيب منه أيضًا.

* وهناك فرق بين الروح وبين الحياة، حيث إن الروح خالدة، ما دام ذلك الذى انفصلت عنه خالد. وتتوالد الكائنات الحية بعضها من بعض عن طريق النطف (المنوية) "*spermata*" أو الإنبات أو التلاقح، فمن المستحيل أن يوجد هناك توالد تلقائى من الأرض[1]. ذلك أن النطفة "*sperma*" هى عبارة عن تجلط (حرفيًا: قطرة "*stagôn*") فى المخ يحتوى بداخله على بخار "*atmos*" حار. وعندما تصل هذه النطفة إلى الرحم "*mêtra*" تقذف من المخ المُهلَ والسائلَ والدمَ (الذى تكون فيها)، ومن هذه يكون اللحم والأوردة والشرايين والعظام والشعر والجسم بأسره؛ أما الروح والإحساس فيتكونان من البخار[2].

(فقرة ٢٩)

* وهذه النطفة تتجلط، فى البداية، فى غضون أربعين يومًا، وتكتسب شكلها أو صورتها – تبعًا للنسب الخاصة بالتوافق والانسجام – فى سبعة

---

(١) فى محاورة "المنتدى (المأدبة)" لأفلاطون يتحدث أرستوفانيس عن الأسطورة التى تقول إن الإنسان – رجلاً وامرأة – كان كائنًا واحدًا فى البداية، ولم يكن هناك اتصال جنسى بين الذكر والأنثى، بل كان التناسل يتم بالقذف على الأرض كما يفعل الجراد. ولكن بعد انفصال الجنسين أمكن أن يتم التناسل عن طريق اتصال الذكر بالأنثى كما هى الحال الآن. (المأدبة، فقرة ١٩١ أ ، ب). (المترجم)

(٢) فى هذه الحالة لا تلعب الأنثى سوى دور الوعاء، ولقد سبق أن رأينا فى كتاب سابق فكرة مماثلة عند الرواقية عن عقم البويضة عند الأنثى. (المترجم)

أشهر أو تسعة أو عشرة أشهر على الأكثر، حيث يخرج الجنين "*brephos*" المكتمل من الرحم ويولد. وهذا الطفل يحظى بجميع الوسائل التى تكفل له الحياة، وهذه تشكل بدورها سلسلة متواصلة تتآلف معًا لنسب الانسجام، وكل منها تظهر إلى الوجود على فترات منتظمة. أما الإحساس بوجه عام وكذا الإبصار على وجه الخصوص، فكلاهما بخار ساخن لدرجة الإفراط. ومن أجل هذا يقال إن الرؤية تتم سواء من خلال الهواء أو من خلال الماء، نظرًا لأن (الأثير) الحار يلغى مقاومة (الأثير) البارد. إذ لو كان البخار الموجود فى العينين باردًا لتشتت وتبدد عندما يتاح له أن يلتقى بالهواء المشابه له. وكما هى الحال، فإن **هوميروس** يسمى العينين فى أبيات معينة باسم بوابات الشمس. ويصدق الأمر ذاته على كل من السمع والحواس الأخرى.

(فقرة ٣٠)

* ويعتقد **فيثاغورث** أن نفس الإنسان تنقسم إلى ثلاثة أقسام، هى: الذكاء "*nous*"، والعقل "*phrên*"، والانفعال "*thymos*". ويوجد كل من الذكاء والانفعال أيضًا عند الحيوانات الأخرى، أما العقل فيوجد فقط عند الإنسان (وحده). ويمتد مقر النفس من القلب حتى المخ؛ والجزء الموجود من النفس فى القلب هو الانفعال، أما الأجزاء الموجودة فى المخ فهى العقل والذكاء؛ وأما الحواس "*aisthêseis*" فهى قطرات من هذه الأجزاء كلها. والعقل خالد، أما الأجزاء الأخرى ففانية؛ وتستمد النفس غذاءها من الدم. وملكات النفس(١) عبارة عن نسمات هواء "*anemoi*"، نظرًا لأن هذه الملكات غير قابلة للرؤية مثلها فى ذلك مثل الأثير الذى لا يمكن رؤيته.

---

(١) تسمى الملكات هنا *logous* (باللاتينية *ratios*)، أى النسب والمعايير. أما كلمة النسمات *anemoi* فهى ذات علاقة بتيارات الهواء التى ورد ذكرها فى الفلسفة الرواقية آنفا. [المراجع]

(فقرة ٣١)

* أما الأوردة "*phlebes*" والشرايين "*artêriai*" والأعصاب "*neurai*"، فهى القيود "*desma*" التى تربط النفس؛ ولكنها عندما تغدو قوية وتستقر بهدوء فى ذاتها تصبح الحجج المنطقية والأفعال هى الروابط. وعندما يقدر لها أن تطرح على الأرض؛ فإنها تجوس أو تهيم فى الهواء مثلها فى ذلك مثل البدن.

* أما **هيرميس**[١]، فهو المشرف على الأرواح؛ ومن أجل هذا السبب، فإنه يسمى (**هيرميس**) المرافق، و**هيرميس** حارس البوابة، و**هيرميس** (المختص) بالعالم السفلى "*chthonios*"، حيث إنه هو الذى يجلب الأرواح من الأبدان عن طريق كل من الأرض والبحر. أما (الأرواح) الطاهرة فترفع إلى أعلى عليين (فى السماء)، وأما الأرواح المدنسة فلا يسمح لها بالاقتراب من تلك الأرواح (الطاهرة) أو حتى بعضها من بعض آخر، وذلك لأنها مغلولة من قبل الإيرينيات[٢] بأغلال لا يمكن فك وثاقها.

---

(١) **هيرميس** *Hermês*: ابن كبير الآلهة زيوس فى الأساطير اليونانية، واسمه يعنى الرسول، ولذا كان رسول الآلية لا سيما أبيه. وهو يقود أرواح الموتى إلى هاديس (العالم السفلى). راجع كتابنا: "معجم ديانات وأساطير العالم"، المجلد الثاني، ص ١٣٦ وما بعدها. (المترجم)

(٢) **الإيرينيات** *Erinyes*: باللاتينية Furiac ولقبهن هو Dirac (أى المُعذبات)، هن ربات العذاب اللاتى كن يعاقبن مرتكب الآثام الكبيرة مثل قتل الأب أو الأم أو الابن؛ وكن يصورن على شكل ربات ثلاث ذوى رءوس عليها ثعابين، كما جاء فى ثلاثية الأوريستيا للشاعر التراجيدى أيسخيلوس. واتقاء لشرهن. كن يعرفن باسم مخفف على سبيل التلطف "*euphemismos*"، هو المحسنات "Eumenides". [المراجع]

(فقرة ٣٢)

* ويزخر الهواء كله بالأرواح التى يطلق عليها اسم الجن "*Daimones*"[(١)] أو أرواح الأبطال "*Hêrôes*". وهؤلاء (الجن) هم الذين يبعثون إلى البشر بالأحلام وأعراض "*sêmeia*" المرض والصحة؛ وهم لا يفعلون ذلك مع البشر وحدهم بل ويفعلونه أيضًا مع الأغنام "*probata*" والأنعام "*ktênes*" الأخرى. وإلى هؤلاء (الجن) ترجع كل أنواع النقاء "*katharmoi*" والتطهر "*apotropaismos*" والعرافة "*mantikê*" والنذر "*klêdônes*" (ذات الفأل الطيب أو المشئوم) وأمثالها. وأعظم الأمور خطورة – كما يقول – فى حياة البشر وأفعالهم هو اجتذاب النفس نحو الخير أو نحو الشر. فالسعداء من البشر هم الذين يظفرون بروح خيرة، (أما لو كان الأمر على خلاف ذلك) فلن يقدر لهم أبدًا أن ينعموا بالسكينة، ولن يتيسر لهم أن يحافظوا على المسيرة ذاتها (إلا لفترة زمنية محدودة جدًا).

(فقرة ٣٣)

* وللحق القوة ذاتها التى هى للقَسَم، ولهذا فإن زيوس يسمى "هوركيوس "*Horkios*"، أى "رب القسم". وأما الفضيلة فهى الهارمونية (التوافق والانسجام) "*harmonia*"، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالصحة "*hygeia*" والخير بأسره "*agathon hapan*"، وكذا الإله (نفسه)؛ ومن هنا

---

(١) **الجن** *Daimones*: عبارة عن أرواح ربما تمثل قوى الإنسان الفطرية، وهى تشبه القرين عندنا لأنها تولد فى اللحظة ذاتها التى يولد فيها الشخص المرتبط بها. وكان **سقراط** يقول إن هناك صوتا أو جنيًا "*daimôn*" كان يوحى إليه بقول فكرة ما أو رفضها، وإنه كان يطيعه، لا سيما حينما نصحه الجنى بعدم رفض فكرة الموت بعد محاكمته. ويسمى الرومان هؤلاء باسم "genii"، ومفردها "genius"؛ والجذع "-gen" مرتبط بالميلاد والتجسد، وهو مشابه لكلمة الجن فى العربية التى تعنى المختفى أو ما لا يمكننا مشاهدته. [المراجع]

فإن الموجودات كلها قد تألفت وتكونت وفقًا لقـــانون التوافـــق والانـــسجام. ومحبة الأصدقاء (الــصداقة) "philia" هــى المعـــادل المـــساوى للتوافــق والانسجام. وحرى بنا ألا نؤمن بالآلهة بطريقة مساوية لتلك التى نؤمن فيها بالأبطال. بل ينبغى علينا أن نؤمن بالأرباب دائمًا مـــع الالتـــزام بالــصمت والخشوع، ومع ارتداء الأردية البيضاء والتحلى بالطهارة؛ أما التقرب إلـــى الأبطال فيجب أن نشرع فيه ابتداءً من منتـــصف النهـــار فـــصاعدًا. وأمـــا التطهر "hagneia"، فيتم عن طريـــق النظافـــة، والاغتـــسال، ورش المـــاء المقدس، وكذا عن طريق التمسك بالنظافة والبقاء بعيدًا عن الموتى والمواليد وعن شتى أنواع الدنس، والامتناع عن تناول لحوم الحيوانات النافقة، وأكــل اللحوم وأسماك البورى والطريفلا، وأكل البيض والحيوانات التى فقست عن البيض، وكذا الفول وسائر أنواع المأكولات التى صدر الأمر بتحريمها عند ممارسة الطقوس والشعائر الدينية فى المعابد.

(فقرة ٣٤)

* ويقول أرســـطو فـــى كتابـــه "عـــن الفيثـــاغورثيين *"Peri tôn Pythagoreiôn"* إن **فيثاغورث** قد أمر الناس بالامتناع عـــن أكــل الفـــول "*kyamoi*" لأنه يشبه الأعضاء التناسلية، أو لأنه يشبه بوابات هاديس (العالم السفلى)[(١)] ..... (كما أنه نهى عن...)، نظرًا لأنه كان وحده بلا مفاصل أو عقد، أو لأنه مهلك وضار، أو لأنه مـــشابه لطبيعـــة الكـــون، أو لأنـــه أوليجاركى "*oligarchikos*"؛ ما دام يتبع طريقة الاختيار بالقرعة. كذلك كان

---

(١) هناك رأى أبسط من ذلك ويُرجح أنه الأصوب وهو أن **فيثاغورث** حـــرّم أكــل الفـــول لأن الكهنة فى مصر كانوا يمتنعون عن تناوله، لأنه يسبب عسر الهضم؛ وعنهم أخـــذ الفليـــسوف اليوناني. (المترجم)

فيثاغورث يوصى تلاميذه بألا يلتقطوا ما سقط منهم (من كسر الخبز)، إما كى يعودهم على عدم الإفراط فى تناول الطعام، وإما لأن ذلك كان مرتبطا بموت شخص ما. ويخبرنا (الشاعر) **أريسطوفانيس** أن ما يسقط (من فتات الخبز) إنما هو من نصيب الأبطال؛ وهو يورد عن هذا الموضوع فى مسرحيته "**الأبطال** *Hêrôes*" البيت التالي(١):

"ولا تذق ما قد يسقط منك من فتات الطعام تحت المائدة !".

* وهناك مبدأ آخر من مبادئه يقضى بتحريم لمس الديك الأبيض، نظرًا لأنه مقدس لدى الشهر "*Mên*". ولأنه يرتدى (بحكم لونه) زى المتضرع؛ ولذا فهو يعتبر أن (الضراعة) ناتجة عن الخيرات. والديك مقدس لدى الشهر، نظرًا لأنه يعلن (بآذانه) بدء ساعات النهار؛ فضلاً عن أن اللون الأبيض "*leukos*" يمثل طبيعة الخير، أما اللون الأسود "*melas*" فيمثل طبيعة الشر. وكان **فيثاغورث** يوصى تلاميذه أيضًا بعدم لمس الأسماك التى هى مقدسة، إذ لا ينبغى للأرباب وللبشر أن يفعلوا الشيء ذاته، مثلما لا يجوز ذلك بين الأحرار والعبيد. وكان يوصى بعدم كسر الخبز "*artos*"، لأنه فى قديم الزمان اعتاد فريق من الأصدقاء أن يلتقوا حول (رغيف واحد).

(فقرة ٣٥)

كما يفعل الأجانب الآن؛ ولذا فحرى بنا ألا نكسر الخبز الذى من شأنه أن يوحد بينهم. ويفسر بعض ذلك بأنه ينطوى على إشارة إلى الحكم الذى يقضى بين الموتى فى هاديس. ويقول آخرون إن الخبز سبب للجبن فى

(١) انظر كتاب الأستاذ ماينيكى "Meineke"، شذرات كتاب الكوميديا الإغريق، الجزء الثانى، شذرة رقم ١٠٧٠. [المراجع]

الحروب؛ فى حين يقول نفر ثالث: إن الخبز هو المبدأ الذى نشأ منه الكون[١]. ويعتقد **فيثاغورث** أن الكرة "*sphaira*" هى أجمل الأشكال المجسمة "*sterea*"، وأن الدائرة "*kyklos*" هى أجمل الأشكال المسطحة "*epipeda*". وأن بوسعنا مقارنة الشيخوخة "*gêran*" بكل شىء مآله إلى النقصان، ومقارنة الشباب "*neotas*" بكل شىء يتزايد. والصحة عنده تعنى الحفاظ على الشكل، أما المرض فيعنى البوار والدمار "*phthora*". أما عن الملح "*hales*"، فيقول إنه ينبغى علينا إحضاره (إلى المائدة) لكى يذكرنا بما هو حق وصائب "*dikaion*"؛ نظرًا لأن من شأن الملْح أن يحفظ كل ما يضاف إليه، فضلاً عن أنه ناشئ عن مصدرين من أنقى المصادر، هما الشمس والبحر.

(فقرة ٣٦)

كان هذا هو ما قاله الإسكندر إنه قد عثر عليه فى المذكرات الفيثاغورثية[٢]، أما ما يلى ذلك فهو مستمد مما قاله **أرسطو**.

وعلى الرغم من الهيبة الفائقة والاحترام الشديدين اللذين كان يحظى بهما **فيثاغورث**، فإنه لم يسلم من لدغة الشاعر **طيمون** "*Timôn*" الذى لم يفته أن يلسعه فى قصائده الهجائية الساخرة "Silloi"[٣] بقوله:

---

(١) هناك معنى خفي أو غامض أو متناقض فى هذه العبارة؛ ولذا فإن هناك قراءة أخرى هى *topou* "مكان" بدلا من "*toutou*" التى هى اسم إشارة يشير إلى الخبز. [المراجع]

(٢) تم ذكر اسم الإسكندر فى الفقرة رقم (٢٤) أعلاه، ومؤلفنا يستخدم كلمة "curêkenai" (يعثر على، يجد) هنا فى الفقرة المشار إليها أعلاه؛ وهذا يعنى كتابه "حياة فيثاغورث" الذى جعله **ديوجينيس لايرتيوس** واحدا من مصادره. غير أن الفقرة المقتبسة من كتاب الإسكندر قد حذفت وحلت مكانها فقرة أخرى من كتاب منحول ومنسوب إلى **أرسطو** بعنوان "عن الفيثاغورثيين". [المراجع]

(٣) ورد ذلك فى الشذرة رقم 58D من شذرات هذه القصائد الساخرة. [المراجع]

"أجل إنه فيثاغورث الذى انساق إلى ممارسة أساليب السحر والشعوذة (الإغواء goêtai) وطرائقهما، فنصب الفخاخ للبشر وأوقعهم فى حبائل مقولاته المتباهية التى تتسم بالغموض".

ويؤكد اكسينوفانيس "*Xenophanês*"[(١)] فى مطلع قصيدته الإليجية "*elegeia*" (أى المنظومة فى البحر الإليجى الذى كان مخصصًا فى البداية للرثاء) أن فيثاغورث كان يتجسد أحيانًا فى صورة أشخاص مختلفين، وذلك بقوله:

"إن لدىَّ الآن فكر مختلف توصلت إليه، وسوف أقوم بتوضيح طريق آخر يوصلنا إليه!".

ثم إنه يروى عنه القصة التالية:

"يقصون علينا أن فيثاغورث – فى أثناء مروره بجرو (كلب) كان بدنه يرتجف من الضرب العنيف – امتلأ قلبه بالشفقة عليه، وقال (لمن كان يقوم بضربه) العبارة التالية:

"توقف يا هذا وكف عن ضربه بعنف! حيث إنه كان صديقًا لى وكان روحًا من النسيم ! لقد تعرفت على شخصيته من خلال سماعى لصوت عوائه !".

(فقرة ٣٧)

كان هذا هو ما قاله عنه اكسينوفانيس، أما كراتينوس "*Kratinos*" (شاعر الكوميديا) فقد سخر منه فى مسرحيته المسماة "المرأة التى تسير على

---

(١) ورد ذلك فى الشذرة رقم 7D من شذرات اكسينوفانيس. [المراجع]

نهج الفيثاغورثيين "*Pythogorizousa*"، وكذا فى مسرحية أخرى عنوانها "أهل تارنتوم "*Tarantinoi*"، حيث يقول فيها[١]:

"لقد كان من عادة (الفيثاغورثين) – عندما يلتقون مصادفة شخصًا غريبًا يفد عليهم – أن يختبروه بقوة براهينهم ونظرياتهم، وأن يخضعوه لاستجواب دقيق، وأن يربكوه ويوقعوه فى الخلط بين المصطلحات، والمعادلات، والتناقضات التى تشبه المتاهات؛ وأن يجعلوا مخه محشوًا بالإسهاب والإطناب".

أما منيسيماخوس "*Mnêsimachos*"، فيقول عنه فى المسرحية المسماة ألكمايون "*Alkmaiôn*" ما يلى[٢]:

"إننا نقدم الأضاحى إلى لوكسياس "Loxias"[٣] على الطريقة الفيثاغورثية، وذلك لأننا نحرم على أنفسنا تمامًا أكل أى نوع من أنواع الحيوانات الحية".

(فقرة ٣٨)

ويقول أريسطوفون "*Aristophôn*" فى مسرحيته المسماة "الفيثاغورى "*Pythagoristês*" ما يلى[٤]:

---

(١) أنظر كتاب الأستاذ ماينيكى "Meineke"، شذرات شعراء كتاب الكوميديا الإغريق (كراتينوس، الشذرات الصغرى)، الجزء الثالث، شذرة رقم ٣٧٦. [المراجع]

(٢) أنظر كتاب الأستاذ ماينيكى "Meincka"، شذرات شعراء الكوميديا الإغريق، الجزء الثالث، شذرة رقم ٥٦٧. [المراجع]

(٣) **لوكسياس:** لقب من ألقاب الإله أبولون، ويعنى (الملتوى)، لأن نبوءاته التى تتفوه بها كاهنة دلفى تكون باستمرار غامضة وملتبسة الدلالة، كما أنها دومًا مزدوجة المعني. (المترجم)

(٤) أنظر كتاب الأستاذ ماينيكى "Meineke"، شذرات شعراء الكوميديا الإغريق، الجزء الثالث، شذرة رقم ٣٦٢ [المراجع]

(أ) "لقد أخبرنا عن كيفية هبوطه إلى العالم السفلي، وعن كيفية رؤيته لكل شخص من الفيثاغورثيين الذين قضوا نحبهم من سكان عالم الموتى، وبيَّن لنا أن طريقة معيشة الفيثاغورثيين هناك مختلفة غاية الاختلاف عن حياة بقية الأموات. نظرًا لأن هؤلاء (الفيثاغورثيين) كانوا هم وحدهم المسموح لهم بتناول الطعام مع الإله بلوتون "*Ploutôn*" بسبب اتصافهم بالتقوى كما يزعم".

(ب) "يا له من إله نكد الطالع ذلك الذى تتحدث عنه! ذلك الإله الذى يجد متعته فى مرافقة هذه الفئة الفاسدة من حثالة البشر!".

ثم إنه يقول عنه فى المسرحية ذاتها أيضًا ما يلى:

"إن طعامهم هو الخضروات لا غير، وكل ما يشربونه هو الماء القراح لا سواه. ولا يوجد شخص من الأموات الآخرين يمكنه أن يطيق القمل والحشرات التى ترتع فى أرديتهم، والسبب فى ذلك أنهم لا يرتادون الحمامات ولا يغتسلون!".

(فقرة ٣٩)

ولقد لقى **فيثاغورث** نحبه بالطريقة التالية[١]:

(١) ينبغى علينا أن نفرق أو نميز بين فقرتين، تبدأ أولاهما بكلمة "*synedreuontos*" وتنتهى بكلمة *synebê* (وهى الجملة الأولى فى الفقرة رقم ٣٩ أعلاه)؛ والثانية بالعبارة *houtô de kai* (وهى التى سترد مباشرة بعد هذا الموضع فى الترجمة فى الفقرة ٣٩ ذاتها)، وكذا كلمة *asitêsanta* (التى سترد فى الجملة الأولى فى الفقرة رقم ٤٠). وهناك رابطة مماثلة وحدت بين ما قاله **نيارخوس** وما قاله **ديكايارخوس** أوردها **بورفيريوس** فى كتابه عن حياة فيثاغورث، فقرة ٥٥ وما بعدها. ونلاحظ فى هذا الصدد أن **نيانثيس** *Neanthês* كان يصر على أن **فيثاغورث** كان غائبًا، أما **ديكايارخوس** *Dikaiarchos* فكان يصر على أنه كان حاضرًا إبان الوقت الذى جرى فيه الهجوم على جماعة الإخوة الفيثاغورثية وتم تشتيت شملها. ويسوق **يامبليخيوس**=

عندما كان يجلس ذات مرة بصحبة معارفه وخلانه فى منزل **ميلــون** "*Milôn*"، حدث أن أضرمت النار فى هذا المنزل من قبل شخص كان يضمر الحقد والحسد للفيلسوف، وكان هذا الشخص واحدًا ممن اعتبروا غير خليقين بالانضمام إلى معيته داخل هذا المنزل. على الرغم من أن بعضًا يذكرون أن هذه الفعلة كانت من عمل أهل مدينة كروتون الذين اتخذوا أهبتهم وتحوطوا خوفًا من تحول **فيثاغورث** إلى طاغية. ولقد تم ضبط **فيثاغورث** وهو يحاول أن يلوذ بالفرار، وعندما أصبح فى فراره على مقربة من حقل زاخر بنبــات الفول، توقف عن الفرار قائلاً: إنه يؤثر أن يتم القبض عليه على أن يخطــو خطوة واحدة داخل حقل الفول؛ ومن ثم فقد آثر الموت على التنكر لنظرياته ومعتقداته. وهكذا، أقدم من كانوا يلاحقونه ويطاردونه على ذبحه(١). وعلــى هذا النحو هلك معظم تلاميذه ومريديه، وكان عددهم يناهز الأربعين شخصًا؛ ولكن نفرًا قليلاً منهم لاذوا بالفرار، كان من بينهم **أرخيبــوس** "*Archippos*" من تارنتوم و**ليسيس** "*Lysis*" الذى سبق ذكره(٢).

=*Iamblichus* – فى كتابه عن حياة فيثاغورث، فقرة ٢٥١ وما بعدها – استشهادًا مستمدًا من **نيقوماخوس**، الذى تتفق روايته مع رواية **نيانثيس**. [المراجع]

(١) هناك ثلاث روايات عن موت هذا الفيلسوف، تقول الأولى إنه مات بالقرب من حقل فــول؛ وهى رواية **ديوجينيس** وهو لا يعطينا عنها أى أسانيد. ثم هناك رواية **هيراقليديس**، ثم رواية **هيرميبوس**، وسيأتى ذكرهما أدناه. (المترجم)

(٢) تقول رواية **يامبليخوس** (حياة فيثاغورث، ١٨٩–١٩٤؛ قارن أيضًا: **بورفيريــوس**، حيــاة فيثاغورث، ٦١) أن جنود الطاغية الذين كانوا يعرفون باسم الميرميدون قد طاردوا فيثاغورث ورفاقه، وأدركوهم عند وصولهم إلى سهل كانت فيه حقول مزروعة بنبات الفــول، ففــضل الجميع الموت حيث هم على أن يجوسوا عبر حقول الفول. ولكن هذه الروايــة قــد تكــون مدسوسة، إذ ليست لها أى علاقة وثيقة بنهاية **فيثاغورث**. أما ما تبقى من الرواية التى أوردها **ديوجينيس لايرتيوس** نقلا عن مصادره، فيمكن مقارنته بما هو مــدون فــى كتــاب حيــاة فيثاغورث، فقرة ٥٧ **لبورفيريوس**، حيث يقص علينا أن تلاميذ **فيثاغورث** قد أقاموا بأجسادهم=

(فقرة ٤٠)

غير أن **ديكايارخوس** يخبرنا بأن **فيثاغورث** قد قضى نحبه عندما فر هاربًا إلى معبد الموسيات "Mousai" - (ربات الفنون) الكائن في مدينة ميتابونتون "Metaponton"[١]، بعد أن أضرب عن تناول الطعام لمدة أربعين يومًا. ويقول **هيراقليديس** في كتابه "**موجز عن سير الحياة التي ألفها ساتيروس** *"tôn Satyrou Biôn Epitomê"* : إن (**فيثاغورث**) - بعد أن قام بدفن **فيريكيديس** *"Pherekydês"* في جزيرة ديلوس، قفل عائدًا أدراجه إلى إيطاليا - وإنه عندما وجد أن **كيلون** *"Kylôn"* الكروتوني قد أقام وليمة فاخرة للناس جميعًا على بكرة أبيهم[٢]، قفل عائدًا أدراجه إلى مدينة ميتابونتون؛ وهناك أمضى ما تبقى له من عمر مضربًا عن الطعام، حيث إنه لم يرد أنه استمر في الحياة أكثر من ذلك[٣].

ومن ناحية أخرى، يخبرنا **هيرميبوس** بأنه عندما اندلعت نيران الحرب بين مواطني أجريجنتوم *"Akragantinoi"* ومواطني سراقوصة *"Syrakousioi"*، توجه **فيثاغورث** مع تلاميذه ومريديه وقاتلوا في صفوف مواطني أجريجنتوم. وعندما دارت الدائرة عليهم وانقلبوا خاسرين، أقدم مواطنو سراقوصة على قتله وهو يحاول أن يتفادى أن يجوس خلال حقل من نبات الفول. ثم يمضي فيخبرنا بأن بقية تلاميذه، الذين كان عددهم يناهز خمسة وثلاثين شخصًا، قد لقوا مصرعهم حرقًا بالنار وهم مربوطون

= جسرًا فوق ألسنة اللهب، تمكن أستاذهم عن طريقه عبور مكان اشتعال النار في منزل ميلون المذكور. ولكن **فيثاغورث** على الرغم من نجاته فقد أصابه حزن شديد ويأس مطبق بسبب حرق مدرسته، ففضل الموت طواعية واختيارًا. [المراجع]

(١) **ميتابونتون**: (باللاتينية: ميتابونتوم) هي إحدى مدن بلاد اليونان الكبرى "Magna Grecia" التي كانت تطلق قديمًا على جنوب إيطاليا، حيث عاش **فيثاغورث** وقومه. (المترجم)

(٢) مأدبة أقامها كيلون الذى كان عدوًا **لفيثاغورث**، وكان يقيمها احتفالاً بموت الفيثاغورثيين. (المترجم)

(٣) تتعارض هذه القصة مع رواية الانتحار التي رواها فلاسفة هذه الفرقة. (المترجم)

فى أوتاد فى مدينة تارنتوم، لأنهم سعوا إلى تشكيل حكومة مناهضة للسلطة التى كانت تمسك آنذاك بزمام الأمور.

(فقرة ٤١)

ويقص علينا هيرميبوس رواية أخرى يقول فيها: إن **فيثاغورث** – عندما وفد إلى إيطاليا – شيد منزلاً صغيرًا له تحت الأرض، وطلب من والدته أن تسجل على لوح من ألواح الكتابة جميع الأحداث البارزة (التى حدثت له فى حياته) بأزمانها وتواريخها، وأن تهبط بها إليه بعد ذلك حينما يقدر له أن يصعد من مسكنه هذا؛ وكان هذا هو ما فعلته أمه. ثم من بعد ذلك صعد **فيثاغورث** بعد انقضاء حقبة من الزمن، وكان نحيلاً هزيلاً كأنه هيكل عظمى. وعندئذ توجه إلى الجمعية العامة وزعم للناس أنه قادم من هاديس (العالم السفلى)، وتلا عليهم بوجه خاص الأحداث التى حدثت له من قبل. ولقد تأثر أتباعه وتلاميذه تأثرًا بالغًا بالكلمات التى قرأها لدرجة أنهم ذرفوا الدموع وانخرطوا فى البكاء والعويل، بل وآمنوا أن **فيثاغورث** إله من الأرباب؛ ثم إنهم من بعد ذلك بعثوا زوجاتهم إليه على أمل أن يتعلمن شيئًا من نظرياته؛ ومن هنا أطلق عليهم اسم "**النساء الفيثاغورثيات** *Pythagorikai*". كانت هذه هى رواية **هيرميبوس**.

(فقرة ٤٢)

وكانت **لفيثاغورث** زوجة اسمها **ثياتو** "*Theanô*"، وكانت ابنة **برونتينوس** "*Brontinos*" من مدينة كروتون. وإن كان بعض يذهبون إلى القول بأنها زوجة **برونتينوس** وتلميذة **فيثاغورث**. كما كانت **لفيثاغورث**

ابنة تدعى **دامو** "*Damô*"، على نحو ما يخبرنا **ليسيس** "*Lysis*" فى رسالته إلى **هيباسوس** "*Hippasos*"، وهى الرسالة التى يقول فيها ما يلى:

"لقد أخبرنى كثيرون أنك تلقى محاضراتك (فى الفلسفة) على الملأ، وهو مسلك لم يكن يحبذه فيثاغورث أو يقره؛ فالثابت أنه عندما عهد بمذكراته إلى ابنته دامو، حظر عليها وشدد فى طلبه على أن تسلمها لأى شخص من خارج منزله أو أسرته. وعلى الرغم من أنه كان بمقدورها أن تبيع هذه المؤلفات بمبلغ كبير من المال، فإنها أبت ذلك وعزفت عن فعله، واعتبرت أن الفقر والمسغبة طاعة لما نهاها عنه والدها أثمن بكثير من الذهب، مع أنها كانت مجرد امرأة".

(فقرة ٤٣)

وكان لديهما أيضًا (أى **فيثاغورث** وزوجته) ابن هو **طيلاوجيس** "*Têlaugês*"، خلف والده فى مهنته وكان تلميذا – على نحو ما يروى بعض – للفيلسوف (الشهير) **إمبيدوكليس** (أنباذوقليس كما شاع فى العربية) "*Empodoklês*". وعلى أى حال، فإن **هيبوبوتوس** يخبرنا بأن **إمبيدوكليس** قد قال ما يلى:

"**أى طيلاوجيس، أيها الابن الشهير لكل من ثيانو وفيثاغورث!**"(١)، ويروى أن **طيلاوجيس** لم يترك لنا مؤلفات من نوع ما، وإن كانت والدته ثيانو قد ألفت أعمالاً قليلة. وفضلاً عن ذلك، فإن هناك رواية متواترة عنها مفادها أنها عندما سئلت عن عدد الأيام التى يجب على المرأة أن تتطهر

---

(١) وهى الشذرة رقم 155D من شذرات الفليسوف إمبيدوكليس. [المراجع]

خلالها بعد نكاح الرجل لها، أجابت بقولها: "لو كان النكاح مع زوجها فينبغى التطهر فى الحال، أما إذا كان مع رجل آخر فلا سبيل إلى التطهر إطلاقًا!". وكانت (ثيانو) لا تفتأ توصى (المرأة) التى هى ذاهبة لكى يضاجعها زوجها بأن تطرح عنها حياءها وخفرها وهى تنضو عنها ملابسها، وبأن تضع (هذه الملابس) مرة أخرى بعد نهاية الجماع والفراغ من النكاح. وعندما سئلت: "*وما هذا الذى تضعينه أنت؟*"، قالت: "أضع ما يدفع الناس (بحق) إلى تسميتى امرأة!".

(فقرة ٤٤)

أما فيما يتعلق **بفيثاغورث** – وفقًا لما يخبرنا به **هيراقليديس بن سارابيون** "*Sarapiôn*"– فقد توفى عندما بلغ الثمانين من عمره، ويتفق هذا مع وصفه الخاص فترة عمر الإنسان، وإن كان معظم الرواة يخبروننا بأنه قد توفى وله من العمر تسعون سنة. وهذه بضعة أبيات من الشعر العابث التى نظمتها عنه على النحو التالى(١):

" أى فيثاغورث، لست وحدك الذى امتنعت عن أكل لحوم الحيوانات الحية، فنحن أيضًا نفعل الأمر ذاته. فمن منا الذى تناول أو ذاق لحم حيوان حى؟ إننا لا نأكل لحوم الحيوانات إلا بعد أن نقوم بسلقها أو شيها أو تجفيفها بالملح؛ ثم نقدم بعدئذ على أكل هذه اللحوم بعد أن تكون قد غدت بلا روح ولا حياة!"

(١) أنظر: كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ١٢١. [المراجع]

وهاكم إبجرامة أخرى[١]:

"أجل كم كان فيثاغورث شخصًا بالغ الحكمة، لدرجة أنه لم يذق هو نفسه لحوم الحيوانات، بل وأعلن أن ذلك ينطوى على ظلم شديد! غير أنه (سمح) للآخرين بأكل ما يشتهون. وإننى لمعجب أشد الإعجاب بحكمته التى توجب عليه عدم ارتكاب الظلم ولكنها تجعله يبيح للآخرين ارتكاب المعاصى!".

(فقرة ٤٥)

وهاكم إبجرامة ثالثة[٢]:

"لو أنك رغبت فى الوقوف على كنة ما فى عقل فيثاغورث، فإن عليك أن تتطلع مليًا إلى سُرة ترُسِ يوفوربوس[٣]. ذلك أنه يقول: [لقد كنت كائنًا بشريًا فيما سبق!]؛ فإذا كان يقصد بزعمه [أنه كان موجودًا]، أنه [لم يكن له وجود (لشخصه)]، فهذا معناه أنه لم يكن شخصًا (آخر) حينما كان موجودًا".

وها كم إبجرامة رابعة عن كيفية وفاته[٤]:

"يا ويلتاه! يا ويلتاه! ترى لماذا كان فيثاغورث يكن كل هذا التوقير والتبجيل لنبات الفول؟ ولماذا سقط صريعًا فى وسط تلاميذه الأوفياء؟

(١) أنظر كتاب "المختارات البلاوندونية"، الجزء الخامس، إبجرامة رقم ٣٤. [المراجع]

(٢) أنظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء الخامس، إبجرامة رقم ٣٥. [المراجع]

(٣) يوفوربوس "*Euphorbos*" بطل طروادى ذبحه مينيلاوس وحمل درعه إلى معبد الربة هيرا فى آرجوس، ولقد زعم فيثاغورث أنه كان يوفوربوس فى حياة سابقة. راجع الفقرتين ٤ ، ٥ أعلاه. (المترجم)

(٤) أنظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ١٢٢. [المراجع]

لقد كان حقلاً من نبات الفول ذلك الذى قرر بإباء وشمم ألا يطأه بقدمه، وترك مواطنى أجريجينتوم "Akragantinoi" يذبحونه وينهون حياته عند مفترق الطرق".

ولقد ازدهر **فيثاغورث** إبان الفترة الأوليمبية الستين[١]، وظل منهج مدرسته مستمرًا حتى الجيل التاسع أو العاشر.

(فقرة ٤٦)

ذلك أن آخر الفلاسفة الفيثاغورثيين الذين رآهم **أريسطوقسينوس** رأى العين كان **اكسينوفيلوس** "*Xenophilos*" الخالقيدونى من ثراقيا (أى من شبه جزيرة خالكيديكي)، وكذا **فانطون** "*Phantôn*" من مدينة فليوس، و**إخيقراطيس** "*Echekratês*"، و**ديوقليس** "*Dioklês*"، و**بوليمناسطوس** "*Polymnastos*"، والأخيران أيضًا من مدينة فليوس. وكان هؤلاء جميعًا تلاميذًا **لفيلولاؤوس** "*Philolaos*" و**يوريطوس** "*Eurytos*"، وكلاهما من مدينة تارنتوم.

وهناك أربعة أشخاص كانوا يحملون اسم **فيثاغورث**، عاشوا (جميعًا) فى الفترة الزمنية ذاتها ولم تكن الشقة (العمرية) الفاصلة بينهم كبيرة:

---

(١) أى فى الفترة من عام ٥٤٠ – ٥٣٦ ق. م. قارن أيضا كليميس السكندرى، الطبقات، الجزء الأول، فصل ٦٥، حيث يذكر أن ذلك كان إبان الفترة الأوليمبية الثانية والستين (٥٣٢ – ٥٢٨ ق.م.)، أى بعد مرور ثمانية أعوام على التاريخ السابق، وهو ما يجعل **فيثاغورث** معاصرًا **لبوليقراطيس** "*Polykratês*"، طاغية جزيرة ساموس. [المراجع]

١- وأولهم هو فيثاغورث من مدينة كروتون، وهو شخص ذو ميول تتصف بالطغيان.

٢- وثانيهم هو فيثاغورث من مدينة فليوس وهو شخص متخصص في التدريبات البدنية "somaskêtês"، ويقول بعض إنه كان مدربًا "aleiptês".

٣- وثالثهم هو فيثاغورث من زاكينثوس.

٤- ورابعهم هو فيثاغورث الفيلسوف الذى يدور حوله حديثنا، والذى كشف أسرار الفلسفة وعلمها للناس. وهو ذلك الشخص الذى (تنطبق عليه) العبارة (المشهورة): "قال (المعلم) نفسه autos ephê = ipse dixit"، التى غدت مثلاً سائرًا فى الحياة.

(فقرة ٤٧)

ويقولون إنه كان هناك أشخاص آخرون يحملون كذلك اسم **فيثاغورث**، أحدهم كان صانعًا للتماثيل (نحاتًا) "*andriantopoios*" فى مدينة ريجيون (ريجيوم باللاتينية)(١)، ويعتقد أنه كان أول من توصل إلى اكتشاف الإيقاع "*rhythmos*" والتناسق (السيميترية) "*symmetria*"؛ وهناك شخص آخر بالاسم نفسه كان نحاتًا أيضًا فى جزيرة ساموس؛ وشخص آخر كان خطيبًا رديئًا "*mochthêros*". وشخص آخر كان طبيبًا "*iatros*" كتب بحثًا عن مرض الفتاق "*kêlês = hernia*"، كما ألف مصنفًا عن موضوعات تتعلق

(١) مدينة فى أقصى الجنوب من إيطاليا وتسمى اليوم ريجيو "Reggio". (المترجم)

بالشاعر **هوميروس**؛ وشخص آخر دوَّن كتابًا عن تاريخ الدوريين، وفقًا لما يذكره **ديونيسيوس**.

ويخبرنا **إراتوستثيثس** – وفقًا لما عرفناه من **فابورينوس** *"Phabôrinos"* في الجزء الثامن من كتابه المسمى "**أمشاج من التاريخ**" *"Pantodapê"* – بأن هذا الشخص الأخير كان أول من اشترك في نزال للملاكمة بطريقة علمية، وذلك خلال الفترة الأوليمبية الثامنة والأربعين (أي من ٥٨٨ – ٥٨٤ ق.م.)، وأنه كان يرتدي رداءً أرجوانيًا ويترك شعره طويلاً مسترسلاً؛ وأنه حينما تم استبعاده من مسابقات الصبية *"paides"*، وسط مظاهر السخرية والاستهزاء انضم من فوره إلى مسابقات الرجال وفاز فيها.

(فقرة ٤٨)

ولقد أوضح ذلك **ثيايطيطوس** *"Theaitêtos"* في إحدى إبجراماته[١]:

"إن كنتَ تحظى بمعرفة شخص يدعى فيثاغورث، أيها الغريب، فإنه يقينًا فيثاغورث ذي الشعر الطويل المسترسل، ملاكم جزيرة ساموس الذى طبقت شهرته الآفاق؛ أجل! إننى حقًا فيثاغورث! وإن لك أن تسأل عن إنجازاتى أهل إليس! ولا ريب أنك لن تصدق الرواية التى هم لها يتناقلون!".

ويذكر لنا **فابورينوس** أن **فيثاغورث** الفيلسوف قد استخدم عددًا من التعريفات عند تصديه لدراسة موضوع الرياضيات، وأن هذا الاستخدام قد امتد وتواصل على يد **سقراط** وتلاميذه، ثم من بعده على يد **أرسطو** والفلاسفة الرواقيين.

---

(١) انظر كتاب "المختارات البلاوندونية"، الجزء الثالث، إبجرامة رقم ٣٥. [المراجع]

وهم يقصون علينا أن **فيثاغورث** كان أول من أطلق على السماء "*ouranos*" اسم العالم "*kosmos*"، وسمى الأرض بأنها كروية الشكل "*strongylê*"(١)، وذلك على الرغم من أن **ثيوفراسطوس** يقول إن من (أطلق هذه التسمية أولاً) كان **بارمينيديس** "*Parmenedidês*"،

(فقرة ٤٩)

وعلى الرغم من أن الشاعر **هيسيودوس** يقول: إنه كان **زينون**. وهم يقصون علينا أيضًا أن كيلون كان خصمًا مناوئًا **لفيثاغورث**، بمثل ما كان **أنطيلوخوس** "*Antilochos*"(٢) عدوًا **لسقراط**. أما **فيثاغورث**، مدرب التمرينات الرياضية، فقد كان موضوعًا لإبجرامة أخرى على النحو التالي(٣):

> **"لقد ذهب فيثاغورث هذا بن قراطيس "Kratês" من جزيرة ساموس، لكى يشترك فى مسابقة للملاكمة مع الصبية وكأنه صبى قاصر "anêbos" مثلهم!".**

ولقد كتب **فيثاغورث** الفيلسوف أيضًا رسالة تسير على النحو التالي(٤):

من فيثاغورث إلى **أناكسيمينيس** "*Anaximenês*".

> **"وحتى أنت، يا أفضل (الناس طرًا)، لن تجد شخصًا يفوقك سوى فيثاغورث، من حيث المولد والشهرة، حيث يكون**

---

(١) يبدو أن **فابورينوس** كان مهتمًا غاية الاهتمام بالاكتشافات والمبتكرات وبالبحث عن أصول الاسم والمسميات (انظر الجزء الثانى أعلاه، فقرة ١، والجزء الثامن، فقرة ٣٦٤). [المراجع]

(٢) يقترح بعض النقاد والمعلقين أن يكون الشخص المعادى لسقراط هنا هو **أنطيفون** "*Antiphôn*"، وذلك استنتاجًا مما ذكره **اكسينوفون** فى كتابه "الذكريات"، الجزء الأول، فصل ٦ [المراجع]

(٣) انظر: كتاب المختارات البلاندونية، الجزء الثالث، إبجرامة رقم ١٦. [المراجع]

(٤) هذه الرسالة منحولة وسوف يورد المؤلف أدناه ردودًا على رسائل **أناكسيمينيس**. (المترجم)

بدوره من هؤلاء الذين شبوا عن الطوق فى مدينة سيلبتوس ثم نزحوا عنها. أما الآن فحيث إننى صنو أناكسيمينيس، فإن ما يعوقك بمثل ما يعوقنى تمامًا هو أمجاد آبائك وشـــهرتهم الذائعة. ولكن، إذا سعيتم أنتم، يا أكثر الناس فضلاً وكرمًـــا، إلى هجر مدنكم، فلا ريب أن النظام المستتب فيهـــا ســـوف ينهار حتمًا، كما أن الخطر المحدق بها من جانب الميديين[١] (الفرس) سوف يزداد.

(فقرة ٥٠)

وليس من الصائب دائمًا أن يقوم الإنسان بإمعان النظر فـــى الأثير وفحص السماء فحصًا دقيقًا، فالأفضل من ذلك أن نوجه عنايتنا واهتمامنا إلى وطن آبائنا وأجدادنا. أما عن نفـــسى، فلقد سعيت جاهدًا حتى لا أنغمـــس تمامًـــا فـــى (دراســـاتى) ومحاضراتى، ولا فى الحروب التى شنها الإيطاليون بضراوة ضد بعضهم بعض".

وحيث إننا فرغنا الآن من حديثنا عن **فيثاغورث**، فإنه يتعين علينا أن نتحدث عن الفلاسفة الفيثاغورثيين ذوى المكانة الرفيعة والشهرة الذائعة، وأن نتحدث من بعدهم عن الفلاسفة الذين أطلق عليهم وفقًا للبعض اسم (الفلاسفة) الفرادى "*sporadên*" [أى هؤلاء الذين لا ينتمون إلى مدرسة بعينها]. ثم من بعد ذلك سوف نمضى قدمًا لنلحق بهم السلسلة المتتابعة من (الفلاسفة) ذوى

---

(١) **الميديون** *Mēdes*: هم سكان ميديا، وهى بلاد قديمة تقع فى الجزء الـــشمالى الغربـــى مـــن إيران. وكانت قبل ذلك جزءًا من الإمبراطورية الأشورية، ولكن فى أواسط القرن السادس قبل الميلاد (نحو ٥٥٠ ق.م.) هزم قورش "Kyros" العظيم، ملك فارس، الميديين وضم بلادهم إلى الإمبراطورية الفارسية. (المترجم)

المكانة الراسخة والجدارة إلى أن نـــصل إلـــى إبيقـــوروس (أبيقـــور) "*Epikouros*"، على النحو الذى سبق أن ذكرناه. وحيث إننا قد فصَّلنا الحديث عن ثيانو (زوجة فيثاغورث) وطيلاوجـــيس (ابنه)، فـــالأحرى بنـــا الآن أن نتحدث فى البداية عن إمبيدوقليس (أنباذوقليس وفقًا لما شاع فى العربيـــة) "*Empedoklês*"، ذلك لأنه كان وفقًا للبعض تلميذًا لفيثاغورث.

الفصل الثاني

إمبيدوقليس (أنباذوقليس) Empedoklês

(٤٨٤ – ٤٢٤ ق. م.)

(فقرة ٥١)

كان **إمبيدوقليس** – على نحو ما يذكر **هيبّوبوتوس** – هو ابن **ميطون** "Metôn" وحفيد **إمبيدوقليس**، وكان مواطنًا من مدينة أكراجاس (أجريجنتوم)[١]. ولقد أكد طيمايوس "Timaios" هذه المعلومة نفسها في الجزء الخامس عشر من مؤلفه التاريخي "*Historiai*"؛ وهو يضيف إلى ذلك أن **إمبيدوقليس**، جد شاعرنا (الذى يدور حوله حديثنا)، كان رجلًا متميزًا ذائع الصيت. ويتفق **هيرميبوس** أيضًا معه في ذكر هذه المعلومات نفسها. وبالمثل يخبرنا **هيراقليدس** بدوره في كتابه "عن الأمراض"[٢] بأنه كان من أسرة لامعة شهيرة، وأن جده (الذى سبق ذكره) كان مربيًا لخيول السباق. أما **إراتوستينيس**، فيقول في كتابه "الانتصارات الأوليمبية" "*Olympionikai*" – مستشهدًا في هذا الصدد بالفيلسوف **أرسطو** – إن والد ميطون (أى جد الفيلسوف) كان هو الفائز (في المسابقات الرياضية) إبان الفترة الأوليمبية الحادية والسبعين (عام ٤٩٦ ق.م.).

---

(١) يقول الدكتور الأهواني وأصله من مدينة أكراجاس "Akragas" من أعمال صقلية، إنه ازدهر نحو عام ٤٤٤ ق. م. حسب رأى أبولودوروس... إلخ"، ص١٦١. (المترجم)

(٢) وذلك في الجزء الخامس، فقرة رقم ٦٧. [المراجع]

(فقرة ٥٢)

بيد أن النحوى **أبولودوروس** يخبرنا فى كتابه التقويم الزمنى "*Chronika*" بما يلى: "كان **(إمبيدوقليس) هو ابن ميطون، ويقول جلاوكوس** "Glaukos" **إنه ذهب إلى مدينة ثوريوى** "*Thourioi*" **إبان الحقبة الزمنية التى تم فيها الانتهاء من تشييدها بالكامل**"(١).

ثم يمضى قائلاً بعد ذلك:

> "**أما أولئك الذين يروون أنه – حينما نفى عن وطنه – قد ذهب إلى مدينة سراقوصة** "Syrakousai" **وحارب مع مواطنيها ضد الأثينيين، فيبدو أنهم من وجهة نظرى – على الأقل – يجهلون الحقيقة بحذافيرها، وذلك لأنه لم يكن حينا آنذاك أو أنه كان فى سن الشيخوخة الطاعنة، وهو الأمر الذى لا يتسق (مع روايتهم)**".

حيث إن **أرسطو** – ويؤيده فى ذلك **هيراقليدس** – يخبرنا بأن **إمبيدوقليس** قد قضى نحبه عندما بلغ الستين من عمره، وأن من فاز فى سباق الخيل الذى عقد إبان الفترة الأوليمبية الحادية والسبعين كان: "جده الذى كان (فيلسوفنا) قد سمى على اسمه، وكان فوزه فى سباق الخيل". وهكذا، فإن هناك إشارة تذكر على يد **أبولودوروس** (فى الفقرة ذاتها) تذكر كلاً من الواقعة وتاريخها.

(فقرة ٥٣)

أما **ساتيروس** "Satyros" فى كتابه المسمى سير الحياة "*Bioi*" – فيخبرنا بأن **إمبيدوقليس** هو ابن إكساينيطوس "Exainetos"، وأنه أنجب ابناً

(١) ولقد تم الفراغ من تشييد هذه المدينة بكاملها عام ٤٤٥ – ٤٤٤ ق. م. [المراجع]

يدعى أيضًا **إكساينيطوس**، وأنه إبان الفترة الأوليمبية ذاتها التى فاز فيها فيلسوفنا **إمبيدوقليس** نفسه بسباق الخيل "*kelês*"، فاز ابنه فى سباق المصارعة "*pale*"، أو فى سباق العدو "*dromos*"، وفقًا لما يذكره لنا **هيراقليديس**[١] فى كتابه المسمى "المختصر" "*Epitomê*".

ولقد عثرتُ[٢] فى مذكرات فابورنيوس على ما يفيد بأن **إمبيدوقليس** قد أعد وليمة للمشرفين على المسابقات الأوليمبية عبارة عن ثور من ثيران الأضاحى، ومعه أطباق من العسل "*meli*" وفطائر الشعير "*alphita*"، كما يخبرنا بأنه كان له أخ شقيق يدعى **كالّيكراتيديس** "Kallikratidês". ويخبرنا طيلاوجيس بن **فيثاغورث** – فى رسالة بعث بها إلى **فيلولاؤوس** "Philolaos" – بأن **إمبيدوقليس** كان ابنًا لشخص يدعى **أرخينوموس** "Archinomos".

(فقرة ٥٤)

أما الدليل الذى يثبت أنه كان من مدينة أكراجاس "Akragantinos" (أجريجنيتوم) فى صقلية، فمستمد مما قاله هو نفسه فى مقدمة (مؤلفه) المسمى "التطهرات "*Katharmoi*"[٣]، وذلك على النحو التالى:

> **"أى أصدقائى، يا من تقطنون بالقرب من القلعة فى هذه المدينة العظيمة، ويا من تنحدرون من نسل أكراجاس الأشقر!".**

---

(١) والمقصود به هنا هيراقليديس ليمبوس. [المراجع]

(٢) أنظر مقدمة المجلد الأول لمعرفة المصادر التى اعتمد عليها ديوجينيس لائيرتيوس فى سرد المعلومات الواردة فى هذه الموسوعة الإضافية. [المراجع]

(٣) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم 112D من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

وحسبنا هذا فى الكلام عن مولده وأسرته.

ويروى لنا **طيمايوس** فى الجزء التاسع من مؤلفه التاريخى أن (**إمبيدوقليس**) كان تلميذًا لفيثاغورث، ثم يمضى قائلاً: إنه عندما تمت إدانته آنذاك بتهمة سرقة محاضرات "*logoklopia*" أستاذه – مثله فى ذلك مثل أفلاطون – صدر قرار بحرمانه من الاشتراك فى مناقشات (المدرسة) ومحاضراتها، وعلاوة على ذلك فإن (**إمبيدوقليس**) يورد ذكر فيثاغورث فى البيتين التاليين(١):

"وكان يعيش بين ظهرانيهم شخص لديه معرفة لا حد لها،

إذ كان يحظى حقًا بأعظم ثروة من الحكمة والفكر".

ويقول بعض إنه كان يشير بكلماته هذه إلى (الفيلسوف) **بارمينيديس** *Parmenidês*.

(فقرة ٥٥)

ويخبرنا **نيانثيس** "Neanthês" بأنه حتى عصر كل من **فيلولاؤوس** و**إمبيدوقليس** كان (الفلاسفة) الفيثاغورثيون يتشاركون فى الحوار والمناقشات. ولكن عندما أذاع **إمبيدوقليس** نفسه الأفكار الفلسفية وجعلها على المشاع عن طريق قصيدته التى نظمها، سنّوا من جانبهم قانونًا يقضى بألا ينقلوا معرفتهم إلى أى شاعر ملحمى أو يفشونها له. ثم يمضى **نيانثيس** فيقول: إن أفلاطون قد كابد الموقف ذاته، وذلك نظرًا لأنه منع من المشاركة وأقصى عنها؛ ولكن **نيانثيس** – على أى حال – لم يذكر لنا على يد من (من

---

(١) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم 129D من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

الفيثاغورثيين) تتلمذ **إمبيدوقليس**. ويرجع السبب فى ذلك إلى أن **(نيانثيس)** كان يذهب فى رأيه إلى أن الرسالة التى كانت تنسب عادة إلى **طيلاوجيس (ابن فيثاغورث)**، والتى كان مفادها أن **(إمبيدوقليس)** كان تلميذًا لكل من **هيباسوس** و**برونتينوس** "Brontinos"، إنما هى رسالة غير جديرة بالثقة ولا يعول على مصداقيتها.

ويذكر لنا **ثيوفراسطوس** أن **إمبيدوقليس** كان معجبًا بالفيلسوف **بارمينيديس**، وأنه كان مقلدًا له فى قصائده وأشعاره، وذلك لأن **بارمينيديس** أيضًا نشر مبحثه المسمى "عن الفيزيقا" شعرًا.

(فقرة ٥٦)

بيد أن **هيرميبوس** يروى لنا أن **إمبيدوقليس** لم يكن معجبًا بالفيلسوف **بارمينيديس**، بل كان معجبًا بالفيلسوف **اكسينوفانيس** "Xenophanês" ، الذى كان زميلاً له فى الدراسة والذى كان يحاكيه فى نظمه للقصائد والأشعار، كما (يخبرنا) بأنه لم يلتق بالفلاسفة الفيثاغورثين إلا بعد فترة زمنية تالية لهذا. أما **ألقيداماس** "Alkidamas"، فيخبرنا فى كتابه عن "الفيزيقا" بأن كلا من **زينون** و**إمبيدوقليس** كان تلميذًا **لبارمينيديس** فى الوقت ذاته، وأن كليهما تركا مدرسته بعد انقضاء فترة من الزمن. ثم يمضى فيقول إن **زينون** قد أنشأ بعد ذلك مذهبه الفلسفى الخاص به، فى حين أن **(إمبيدوقليس)** أصبح تلميذًا لكل من **أناكسوجوراس** "Anaxagoras" و**فيثاغورث**، وإنه كان يحذو حذو **فيثاغورث** فى الرزانة والوقار وطريقته أو مسلكه فى الحياة، ويقتفى خطى **أناكساجوراس** فى الانكباب على البحث فى علم الفيزيقا.

(فقرة ٥٧)

أما **أرسطو** فى مبحثه المسمى **السوفسطائى** "*Sophistês*"، فيذكر لنا أن **إمبيدوقليس** كان أول من ابتكر الريطوريقا، وأن **زينون** كان أول من ابتكر الدياليكتيكا (الجدل الفلسفى). كذلك يقول **أرسطو** فى بحثه المسمى "**عن الشعر**" "*Peri Poiêtôn*" : إن **إمبيدوقليس** كان ينتمى إلى طريقة **هوميروس**، وإنه كان بارعًا فى صياغة العبارة وإتقانها، وكذا فى أساليب المجاز والاستعارة وفى استخدام سائر المحسنات البديعية الخاصة بالشعر. ثم (يضيف **أرسطو** قائلاً): إن الفيلسوف **إمبيدوقليس** قد نظم قصائد أخرى، منها واحدة عن حملة **قورش**[١] (باليونانية: قيروس Kyros)، ومنها (مقدمة) نشيد "*prooimion*" إلى الإله أبولّون، وإن شقيقته قد قامت فيما بعد بإحراقها (وإن كان **هييرونيموس** "Hierônymos" يذكر أن ابنته هى التى قامت بإحراقها). ويذكر لنا **أرسط**) كذلك أن شقيقته قد أحرقت النشيد المهدى إلى الإله أبولّون دون قصد منها، ولكنها أحرقت القصيدة الخاصة بالحرب الفارسية عامدة متعمدة نظرًا لأنها لم تكن قد اكتملت بعد.

(فقرة ٥٨)

ثم إن (**أرسطو**) يخبرنا، على وجه العموم، بأن (**إمبيدوقليس**) قد ألف مسرحيات تراجيدية وأعمالاً ذات طابع سياسى، بيد أن **هيراقليديس بن سرابيون** يذكر لنا أن هذه المسرحيات التراجيدية منسوبة إلى مؤلف آخر.

---

(١) **أخشورش** (٥١٩ – ٤٦٥ ق. م.) ملك فارسى أخضع بعد توليه العرش مباشرة ثورات نشبت فى مصر وبابل، وغزا بلاد اليونان عام ٤٨٠ ق. م.، فاستولى على أثينا وأحرقها. ولكن اليونان انتصروا عليه فى معركة سلاميس البحرية الحاسمة، ولقد تورط هذا الملك فى مؤامرات أدت إلى مصرعه. (المترجم)

ويصرح **هييرونيموس** "Hierônymos" بأنه قد عثر على ثـلاث وأربعــين مسرحية من هذه المسرحيات، فى حين يذهب **نيانثيس** إلى القول بأنه قد نظم هذه المسرحيات التراجيدية إبان سنوات شبابه، وبأنه هو نفسه (أى **نيانثيس**) قد عثر على سبع منها.

أما **ساتيروس** "Satyros" ، فيذكر لنا فى كتابه المسمى **سـير الحيـاة** "*Bioi*" أن (**إمبيدوقليس**) كان طبيبًا أيضًا كما كان ريطوريقيًا ممتازًا رفيـع المنزلة. وعلى أى حال، فلقد كان **جورجيـاس** "Gorgias" من مدينة ليونتينى Leontinoi (فى صقلية) – وهو شخص بارز فى الريطوريقا ترك لنا مبحثـًا فى فن (الريطوريقا) – كان تلميذًا من تلاميذه. ويخبرنا **أبولـودوروس** فـى كتابه المسمى "التقويم الزمني" بأن (**جورجياس**) قد عاش حتى بلغ من العمر تسع سنوات بعد المئة.

(فقرة ٥٩)

وينسب **ساتيروس** إلى **جورجياس** أنـه قـال إنـه هـو ذاتـه (أى **جورجياس**) كان حاضرًا عندما قام **إمبيدوقليس** بأداء أعمال سـحرية، وأن **إمبيدوقليس** نفسه قد أعلن عن (قدرته السحرية هذه)، وأعلن عما هو أكثـر من ذلك فى قصائده التى يقول فيها[١]:

"عليك أن تتعلم إذن جميـع هـذه العقـاقير "pharmaka"
الناجعة التـى تعـد فـى الواقـع درءًا للأمـراض الفتاكـة
وللشيخوخة، حيث إننى سوف أنجز هذا كله لك وحدك!

(١) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم D 111 من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

وذلك حتى يصبح بوسعك أن تبطل قوة الرياح التى لا تقهر والتى تهب على الأرض، فتجعل بأعاصيرها حقول القمح خرابًا وقاعًا صفصفًا، ثم إنك لو واتتك الرغبة، فسوف تسخر الرياح لأمرك وتجعلها طوع بنانك، كما أنك سوف تجعل فصل السنة جافًا لصالح البشر بعد هطول وابل من المطر الغزير. ثم إنك من بعد ذلك سوف تجعل المياه، التى تهطل متدفقة من السماء، تجرى أنهارًا لتغذى النباتات والأشجار بعد انقضاء فصل الصيف الجاف، وسوف يصير بوسعك أن تبعث رجلا إلى الحياة بعد موته ونزوله إلى هاديس، وترد إليه قوته وعنفوانه".

(فقرة ٦٠)

ويحدثنا **طيمايوس** فى الجزء الثامن عشر[١] من كتابه التاريخى أن **(إمبيدوقليس)** قد حظى بالإعجاب بأشكال وطرائق كثيرة. فعلى سبيل المثال، عندما بدأت الرياح الموسمية "*etesia*" تهب ذات مرة بعنف بالغ وتدمر المحاصيل والثمرات، أصدر **(إمبيدوقليس)** أوامره بسلخ جلود الحمير وبصنع حقائب من إهابها. ثم قام بنشر هذه **(الحقائب)** على امتداد التلال وعلى طول

---

(١) يرى الأستاذ بيلوك "Beloch" – ويتفق معه فى هذا ناشر الطبعة الإنجليزية – أن هذه المعلومات مستمدة من الجزء الثانى عشر وليس الثامن عشر، وأن ديوجينيس لائيرتيوس أخطأ فى الإحالة إلى الموضع الصحيح، وأن الدليل على ذلك سيرد فى الفقرة رقم (٦٦) أدناه. [المراجع]

قمم الجبال من أجل أن تكبح جماح الرياح المندفعة، وبسبب نجاحه فى إيقاف الرياح أطلق عليه لقب كابح جماح الرياح "*kôlysanemas*".

ويخبرنا **هيراقليديس** فى كتابه المسمى "عن الأمراض"[(١)] بأن **إمبيدوقليس** قد زود **باوسانياس**[(٢)] "Pausanias" بمعلومات عن المرأة التى كانت فى حالة إغماء مؤقتة (أو المغشى عليها) "*hê apnous*" . ولقد كان **باوسانياس** هذا – كما يخبرنا كل من **أريسطيبوس** "Aristippos" **وساتيروس** – هو محبوبه الأثير الذى أهدى إليه قصيدته المسماة "عن الفيزيقا"، والتى سار فيها هذا الإهداء على النحو التالى[(٣)]:

(فقرة ٦١)

"أى باوسانياس، أصخ السمع لى، يا ابن أنخيتوس "Anchitos" ذى الحكمة والحصافة!".

وفضلاً عن هذا، فإن **(إمبيدوقليس)** قد نظم عن **(باوسانياس)** الإبجرامة التالية[(٤)]:

"إن مدينة جيلا "Gela" (بصقلية) هى مسقط رأس ذلك الطبيب الملقب باسم باوسانياس، ابن أنخيتوس وسبط أسكليبيوس[(٥)]، وهى التى رعته وربته، وهو الشخص الذى

---

(١) وجاء ذلك فى الجزء الخامس، فقرة رقم ٦٧. [المراجع]

(٢) باوسانياس، هو تلميذ إمبيدوقليس وكان أثيرا إلى قلبه. من تعليقات الدكتور الأهوانى فى كتابه سالف الذكر، ص١٦٥. (المترجم)

(٣) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم D 1 من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

(٤) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم D 156 من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

(٥) إله الطب والشفاء فى الأساطير اليونانية وأشهر بناته "هيجيا" إلهة الصحة، و**أكيسيس** "*Akesis*" ربة العلاج. راجع كتابنا "معجم ديانات وأساطير العالم"، المجلد الأول، ص١٢٥ وما بعدها، مكتبة مدبولى عام ١٩٩٦. (المترجم)

استرد كثيرًا من البشر الذين ذبلوا وذوى عودهم من فرط الآلام المضنية التى تسبب الشقاء والتعاسة، استردهم من قدس أقداس الربة برسيفونى (زوجة هاديس)".

وعلى أى حال، ففيما يتعلق بحالة المرأة التى كانت فى حالة الإغماء المؤقتة (أو المغشى عليها)، فإن **هيراقليديس** يخبرنا بأن **إمبيدوقليس** قد تمكن من الحفاظ على هذه المرأة بدون تنفس مع توقف نبضها لمدة ثلاثين يومًا. وانطلاقًا من هذه الحادثة، فإن **هيراقليديس** لم يطلق عليه فقط لقب الطبيب، بل سماه أيضًا العراف "*mantes*"؛ ولقد استمد **هيراقليديس** هذه الألقاب (التى وصفه بها) من الأبيات التالية[١]:

(فقرة ٦٢)

"أى أصدقائى، يا من تقطنون بالقرب من قلعة المدينة العظيمة التى يرجع نسبها إلى أكراجاس الأشقر، ويا من توجهون جل اهتمامكم إلى عمل الأفعال الخيرة، سلامًا وتحية لكم! فها أنذا بينكم وكأننى رب من الخالدين فلم أعد بعد من البشر الفانين، وألقى التكريم والتشريف من الكافة كما هو خليق بى، وتلتف حول جبينى عصابات وشرائط، وتكلل هامتى باقات يانعة من الزهور، وحالما أفد إلى هذه المدن وألجها فى رفقة الرجال والنساء، ألقى التوقير والتكريم. وسرعان ما تتبعنى فى مسيرتى ألوف مؤلفة من الناس، لكى يتعلموا منى أين يعثرون على السبيل الذى يوصلهم إلى المنفعة والصلاح. وهناك طائفة من هؤلاء الناس يجدون ضالتهم المنشودة فى

(١) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم 112 D من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

الاطلاع على التنبؤات، وطائفة أخرى يكابدون شتى أنواع الأمراض والأسقام، ويتوقون توقًا إلى سماع أنباء تبشرهم بقرب شفائهم وبرئهم منها!".

(فقرة ٦٣)

ويخبرنا **طيمايوس** بأن **إمبيدوقليس** قد قال عن مدينة أكراجاس (أجريجينتوم) إنها مدينة عظيمة، نظرًا لأن سكانها كانوا يصلون إلى (نحو) ٨٠٠٠٠٠ نسمة[١]. ومن هنا، فإن **إمبيدوقليس** يحدثنا عن الترف والرخاء الذى كان هؤلاء يرفلون فيه بقوله: "إن مواطنى أكراجاس يحيون فى ترف بالغ كما لو كانوا سيموتون غدًا، بيد أنهم يشيدون منازلهم (بإتقان) كما لو كانوا سيخلدون فيها إلى الأبد!".

ويقال إن **كليومينيس** "Kleomenês" المنشد "*rhapsodos*" قد أنشد قصيدته عن **التطهرات** "*Katharmoi*" فى (المسابقات) الأوليمبية[٢]، ويتفق

(١) وكانت هذه رواية شعبية رائجة ذكرها كاتب غير معروف يدعى بوتاميلا "Potamilla"، ورجع إليه ديوجينيس لائيرتيوس كمصدر لمعلوماته. ولكن الأستاذ ديلز "Diels" – فى كتابه الذى يحمل عنوان: شذرات الفلاسفة السابقين على سقراط "Frag. der Vorsokr."، الجزء الثاني، ص١٩٦ – يفضل قراءة وردت فى المخطوطين كليهما، وهى: (*"potamon alla sc. Hypomnêmata egei"*، ويعتبر أنها مستمدة من حاشية تفسيرية كانت فى هامش المخطوط ثم أدرجت فيما بعد داخل النص نفسه. ونلاحظ أنه فى مخطوط المختارات البالاتينية توجد قراءة أخرى، هى *"potamon alloi"*، وإن كان نفر من الناشرين يقترحون أن تكون القراءة *"pot amelei"*، ويؤكدون أنها ليست حاشية بل جزء من النص. [المراجع]

(٢) قارن: أثينايوس، مأدبة الفلاسفة، الجزء ١٤، ٦٢٠ د، ومنه نعرف أن المرجعية النهائية هى ديكايارخوس الذى ذكر عبارة *en tô Olympikô* (أى فى المسابقات الأوليمبية) [قارن: شذرات المؤرخين الإغريق F. H. G.، الجزء الثاني، ص٢٤٩، شذرة رقم ٤٧]. ومن الواضح أن **ديوجينيس لائيرتيوس** يذكر فى المتن عبارة فى الفترات الأوليمبية *"en Olympiasi"*، ولذا يترجمها بعض بمدينة أوليمبيا. [المراجع]

هــذا مــع مــا يقولــه **فــابورينوس** فــي كتابــه المــسمى **الــذكريات** "*Apomnêmoneumata*". ويذكر لنا **أرسطو** أن **إمبيدوقليس)** قد ولد بطبعــه حرًا *eleutheros* (معتزًا بحريته)، وأنه كان يمقت كل أنواع الحكم الأجنبى، لدرجة أنه رفض بإباء وشمم تقلد منصب الملك حينما عرض عليه، وفقًا لما رواه **اكسانثوس** "Xanthos" فى مؤلفه الذى دونه عنه، وذلــك لأنــه مــن الواضح أن فيلسوفنا كان يفضل حياة البساطة والتقشف.

(فقرة ٦٤)

ولقد روى **طيمايوس** هذه الأقوال ذاتها، وذكر فى الوقت نفسه السبب الذى حدا بالفيلسوف **إمبيدوقليس** إلى محاباة الديمقراطية وتحبيذها. وفى هذا الصدد يقص علينا قصة مؤداها أن(**إمبيدوقليس)** قد دُعى ذات مرة ليكــون ضيفًا فى منزل أحد الحكام، وبعد أن بدأ طعام العشاء بفترة لم يتم إحــضار شراب الخمر إلى المائدة؛ فظل الضيوف الآخرون هادئين ولكن **إمبيدوقليس** أحس بالضيق من هذا التصرف المذموم وأمر بإحضار الشراب. وهنا أعلن المضيف الداعى أنه ينتظر حضور الخادم الساقى الذى يعمــل فــى خدمــة مجلس الشورى، وعندما حضر هذا الشخص أصبح سيد الشاربين(١)، ومــن الواضح أن هذا الإجراء قد تم بترتيب وتدبير من المضيف الداعى، الذى كان يخطط سرًا لأن يجلس على عرش الطغيان فى المدينة. ولذا فإنه أمر ضيوفه إما بشرب الخمر وإما بسكبها فوق رءوسهم. وكان **إمبيدوقليس** فــى تلــك الأثناء يلوذ بالصمت، ولكنه فى اليوم التالى رفع دعوى اتهام ضد كل مــن المضيف الداعى وسيد الشاربين هذا وطلب محاكمتهما معًا. وكانــت هــذه الحادثة هى بداية اشتغال **إمبيدوقليس** بالعمل السياسى.

---

(١) "سيد الشاربين" أو ملك المأدبة يحدده الضيوف، وتلك كانت قاعدة سارية فــى الاحتفــالات. وتكون له السلطة المطلقة طوال السهرة. (قارن محاورة **أفلاطون** "المأدبة"). (المترجم)

(فقرة ٦٥)

ومن جديد، حينما طلب **أكرون** "Akrôn" الطبيب من مجلس الشورى مكانًا من أجل بناء نصب تذكارى لوالده، وذلك نظرًا لأن الأخير كان شخصية مرموقة ذائعة الصيت بين الأطباء، اعترض **إمبيدوقليس** على هذا المطلب ودبج خطبة عصماء تدور حول إرساء مفهوم المساواة، وأنهاها بطرح السؤال التالى بصفة خاصة:

> **"ترى ما المرثية التى سوف نقوم بنقشها على هذا (النصب التذكارى)؟ ترى هل ستكون على النحو التالى: "هنا يوارى فى ثرى الوطن السامى الذى وصل فى الشموخ إلى أقصاه (جثمان) الطبيب الشامخ أكرون "Akrôn" مواطن مدينة أكراس (أجريجنتيوم) ذات المنزلة العالية"[١].**

وهناك آخرون يضيفون إلى هذين البيتين بيتًا آخر على النحو التالى:

> **"وإنه لقبر شامخ يطل على قمة جبل غاية فى الشموخ!".**

وهناك آخرون ينسبون تأليف هذين البيتين إلى الشاعر الغنائى **سيمونيديس** "Simônidês".

(فقرة ٦٦)

وفى فترة زمنية تالية قام **إمبيدوقليس** بحل مجلس جمعية الألف، وذلك بعد انصرام ثلاث سنوات على تشكيلها، الأمر الذى يبرهن على أنه لم يكن

---

(١) أنظر: كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء الخامس، إبجرامة رقم ٤. ونلاحظ أن الفيلسوف إمبيدوقليس يتلاعب فى هذه القصيدة بالألفاظ ليسخر من اسم الطبيب "أكرون"، فيصفه أولا بأنه شامخ "*akros*" (وهى كلمة مشابهة لاسمه)؛ ثم يذكر أن اسم والده هو **أكروس** "*Akros*" تيكما وسخرية، ثم يصف مسقط رأسه بأنه ساد "*akros*" وبالغ الشموخ "*akrotate*". [المراجع].

فحسب من الأثرياء، بل وأنه كان يوجه عنايته وجهده لقضايا الشعب *"ta dêmotika"*.

وعلى أى حال، فإن **طيمايوس** فى الجزءين الحادى عشر والثانى عشر من مؤلفه التاريخى – ذلك أنه يورد ذكر (الفيلسوف) فيهما كثيرًا – يخبرنا بأن **إمبيدوقليس** كان يعتنق – فيما يبدو – آراء معارضة، سواء كان ذلك فى أثناء ممارسته لسلطته السياسية أو فى نظمه للشعر [١]. ويمكن للمرء أن يرى بجلاء أن **إمبيدوقليس** – فى قسط من أشعاره – كان مغرورًا وأنانيًا، حيث إنه يقول فى هذا الصدد ما يلى:

> **"سلامًا وتحية لكم ! فها أنذا أجوس بينكم وكأننى رب من الخالدين، فلم أعد بعد من البشر الفانين!"**... وما إلى ذلك من كلمات مماثلة[٢].

وإبان الوقت الذى كان يقيم فيه فى مدينة أوليمبيا (أو كان يشارك فى المسابقات الأوليمبية)، طفق يطالب أن يُقَدَم له قدر من الاحترام أكثر مما يقدم لسواه، لدرجة أنه لم يورد ذكرًا لأى شخص آخر فى الأحاديث (عن الأصدقاء والخلان)، بالقدر نفسه الذى دار الحديث فيه عن **إمبيدوقليس**.

---

(١) هناك قراءة أخرى للأستاذ ديلز "Diels"، وهى فى تصورى أفضل من تلك التى تبنتها الطبعة الإنجليزية وهى على النحو التالى:

"<en> te tê politeia <kai en tê poiêsei. hopou men gar metrion kai epieikê phainesthai. hopou de alazona kai philauton [en tê poiêsei]"

وترجمتها كالتالى: "(وكانت له آراء معارضة) سواء فى السياسة أو فى الشعر؛ وذلك نظرًا لأنه كان يبدو معتدلاً ورحيمًا (فى السياسة)، بينما كان يبدو متكبرًا وأنانيًا (فى الشعر)".

وهذا التأكيد على الانتماءات السياسية للفيلسوف إمبيدوقليس كان يلقى تأييدًا لدى المؤرخ طيمايوس، وهو أمر يبدو لنا غريبًا خاصة بعد روايته لهذه الطرفة. ومن الواضح أن ديوجينيس لانيرتيوس يستمد معلوماته من فصلين مختلفين من كتاب المؤرخ طيمايوس، وأنه لا يلقى بالاً للفصل الأول حينما يستمد المعلومات من الثانى، وهذا بمثابة اقتراح من معظم الناشرين. [المراجع]

(٢) وذلك فى البيت الرابع من الشذرة التى تحمل رقم 112 D من شذرات إمبيدوقليس. انظر ترجمة الإبجراماة بكاملها فى الفقرة رقم (٦١) أعلاه. [المراجع]

(فقرة ٦٧)

وعلى أى حال، فعندما سعت مدينة أجريجنتوم إلى أن تبدى ندمها واعتذارها فيما بعد للفيلسوف، انبرى أفراد منحدرون من سلالة أعدائه لمعارضة عودته إلى وطنه. وكان هذا هو السبب الذى حدا بالفيلسوف إلى الرحيل إلى شبه جزيرة البيلوبونيس حيث قضى نحبه فيها. ولم يسلم **إمبيدوقليس** بدوره من هجاء **تيمون** الذى سلقه بألسنة حداد فى قصيدته الساخرة "*silos*" التى تسير أبياتها على النحو التالى[١]:

"وإمبيدوقليس ذلك الذى يجأر بصوت عال متشدقًا

بأشعار سوقية هابطة موشاة ومزخرفة؛ ثم إنه منح كل ما له قوة

ذاتية وجودًا قائمًا بذاته! أما ما وضعه من مبادئ فيحتاج إلى

مبادئ أخرى (لشرحه وتفسيره)!".

ولقد رُوِيَت روايات مختلفة عن وفاة الفيلسوف **إمبيدوقليس**، ذلك أن **هيراقليديس** بعد أن يقص علينا قصة المرأة التى كانت فى حالة إغماء مؤقتة أو فاقدة للوعى "*he apnous*"[٢] ، يحدثنا أن **إمبيدوقليس** قد أصبح شهيرًا ذائع الصيت لأنه بعث امرأة حية بعد وفاتها، ثم يخبرنا بأن الفيلسوف قد قدم أضحية إلى الأرباب بالقرب من حقل شخص يدعى **بيسياناكس** "Peisianax".

---

(١) أنظر: ديوان القصائد الهجائية الساخرة *Silloi* للشاعر **تيمون** الهجّاء والفيلسوف الشكّاك، شذرة رقم42D. [المراجع]

(٢) أورد **ديوجينيس لايرتيوس** ضمن القائمة التى ذكرها من مؤلفات **هيراقليديس** من بونطوس (الجزء الخامس، الفصل ٨٦ وما بعده، أعلاه، انظر المجلد الأول، ص٤٤٤) كتابًا بعنوان عن أحوال الناس فى عالم الموتى "*Peri tôn en Adou*"، وهى محاورة ذات موضوع مشابه لقصة هذه المرأة التى فقدت الوعى "*peri tês Apnou*"، إن لم يكن مماثلاً ومطابقًا لها. ونلاحظ أن باوسانياس – صديق إمبيدوقليس الحميم – كان من الشخصيات التى اشتركت فى هذه المحاورة. انظر الحاشية التالية. [المراجع]

(فقرة ٦٨)

ثم يمضى قائلاً: إن نفرًا من أصدقاء **إمبيدوقليس** قد دعوا للمشاركة فى تقديم الأضحية، وكان من بينهم **باوسانياس**. ثم من بعد انتهاء الوليمة تفرقت طائفة من الأصدقاء نشدانًا للخلود إلى الراحة، بينما تفرقت طائفة أخرى منهم وهجعت للاسترخاء تحت ظل الأشجار فى الحقل القريب منهم، ويممت طائفة ثالثة منهم لفعل ما تهواه أنفسهم. أما **إمبيدوقليس** نفسه، فقد ظل قابعًا فى مكانه الذى كان مضطجعًا فيه على المائدة. وعندما انبلج ضوء النهار نهض (كل واحد منهم) من مهجعه أو من مرقده، وكان الفيلسوف هو الوحيد الذى لم يعثر له أحد على أثر. ولذا فقد شرعوا فى البحث عنه، وتم استجواب الخدم فأجابوا بأنهم لا يعرفون شيئًا عن مكانه. بيد أن شخصًا قال إنه سمع فى منتصف الليل صوتًا بالغ الارتفاع ينادى على **إمبيدوقليس**، فنهض (هذا الشخص) على أثر ذلك من رقدته، وشاهد بعينى رأسه نورًا فى صفحة السماء وضوءًا يتألق مثل ضوء القناديل أو المشاعل، ولا شىء غير ذلك.

ولقد انتابت الدهشة (السامعين) واستولى عليهم العجب مما قد حدث، ونزل باوسانياس (من مقره) وبعث نفرًا من القوم للبحث عنه. ولكنه فيما بعد كف عن الاهتمام مجددًا بهذه الحادثة، وزعم أن هناك أمورًا تفوق التصور قد حدثت، وأن الواجب يقتضى منهم تقديم الأضاحى والقرابين إليه كما لو كان قد أصبح بالفعل إلهًا.

(فقرة ٦٩)

ويخبرنا **هيرميبّوس** بأن **إمبيدوقليس** قد تصدى لعلاج امرأة تدعى **بانثيا** "Pantheia" من مدينة أجريجنتوم، كان اليأس قد انتاب الأطباء من شفائها،

وإن هذا كان هو السبب الذى حدا به إلى تقديم الأضحية (إلى الأرباب تيمنًا بشفائها على يده)، وأن عدد المدعوين لحضور هذا الاحتفال كان يناهز ثمانين شخصًا. بيد أن **هيبوبوتوس** "Hippobotos" يروى لنا أن الفيلسوف **إمبيدوقليس** – بعد أن نهض من رقاده يمم فى طريقه شطر مدينة إتنا Aitna، حيث وصل فى سيره إلى فوهة البركان الموجود بها، ومن ثم قفز إلى أتون النار المستعرة فى البركان حيث اختفى عن الأنظار، وكان مراده من ذلك أن يثبت الرواية التى راجت عنه ومفادها أنه قد أصبح إلهًا (وانضم إلى زمرة الأرباب الخالدين).

ولكن فيما بعد انبلجت الحقيقة وعرفها الناس، وهى أنه قام بإلقاء أحد نعليه "*krêpides*" (فى لهيب النيران)، وكان من عادته أن يرتدى نعلين مصنوعين من البرونز. ولقد اعترض **باوسانياس** (صديقه الأثير) على هذه الرواية وظل يحتج عليها بشدة(١).

(فقرة ٧٠)

وفى معرض ما دونه **ديودروس** من إفيسوس "Diodoros ho Ephesios" عن الفيلسوف **أناكسيماندروس** "Anaximandros"، نجده ينهى إلينا أن

---

(١) استخدم **ديوجينيس لانيرتيوس** – ربما نقلا عن مصدره – كلمة *antelege* (يعترض، يحتج) فى زمن الماضى المتصل أو المستمر، وذلك على الأرجح كى يقدم لقرائه برهانا مقنعًا بأنه يستمد معلوماته من المحاورة ولا يقص عليهم وقائع تاريخية مؤكدة. وأغلب الظن أن **ديوجينيس لانيرتيوس** قد نقل اقتطافا كبير الحجم من المحاورة المسماة عن المرأة المغشى عليها "*Peri tês Apnou*"، وذلك ابتداء من الفقرة الثانية فى الفصل رقم (٦٧) أعلاه. ومن الملاحظ أن **ديوجينيس لانيرتيوس** قد استخدم فى الفقرة رقم (٦٩) أعلاه ما يلي: ملاحظة أو حاشية استمدها من **هيرميبوس**، وملخص أخذه عن **هيبوبوتوس** يدور حول الفقرة ذاتها الموجودة فى المحاورة التى تحمل عنوان "عن المرأة المغشى عليها"، وهى المحاورة التى اعتمد عليها **ديوجينيس لانيرتيوس** فى سرده المسهب طوال الفصول ٦٧ – ٦٩ أعلاه. [المراجع]

إمبيدوقليس كان يحاكى **أناكسيماندروس** عن طريق ممارسة غروره (أو كبريائه) التراجيدى وارتداء ثيابه الوقورة. وهناك رواية مفادها أنه عندما حدث وباء مهلك لأهل سيلينوس "Selinountioi" (مواطنو مدينة سيلينوس Selinous) بسبب الروائح العطنة التى كانت تصدر عن النهر المجاور لمدينتهم – لدرجة أن كثيرًا منهم قد هلكوا وكابدت نساؤهم من تعثر الولادة – تفتق ذهن **إمبيدوقليس** عن خطة مؤداها تحويل مجرى نهرين مجاورين لتصب (مياههما معًا) فى مجرى هذا النهر، وأن يتم ذلك على نفقته الخاصة؛ ومن امتزاج النهرين فى مجرى واحد أصبحت مياه النهر عذبة سائغة للشاربين. وبعد أن تم وفقًا لهذه الطريقة انتهاء الوباء المهلك، وشرع مواطنو مدينة سيلينوس آنذاك فى إقامة الولائم على ضفة النهر، ظهر **إمبيدوقليس** أمامهم، وحينئذ نهض القوم (جميعًا) وانحنوا أمامه (إجلالاً واحترامًا لقدره) وصلّوا له كما لو كان بالفعل إلهًا. وبناء على ذلك قرَّ فى روع الناس اعتقاد راسخ أن **إمبيدوقليس** قد قذف نفسه فى لهيب نار البركان.

(فقرة ٧١)

بيد أن **طيمايوس** عارض هذه الروايات (جميعًا)، وذكر بصراحة وبلا مواربة أن **إمبيدوقليس** قد رحل إلى شبه جزيرة البيلوبونيس، وأنه لم يرجع بتاتًا بعدها (إلى صقلية). وهذا هو السبب الذى ساقه **تيمايوس** لكى يعلن أن طريقة وفاته كانت غير معروفة. وهو يعارض بقوله هذا ما ذكره **هيراقليديس** الذى ذكره بالاسم فى الجزء الرابع عشر (من مؤلفه التاريخي). وهو يخبرنا فى هذا الصدد بأن **بيسياناكس** (الذى سبق ذكره) هو أحد

مواطنى مدينة **سراقوصة**، وأنه لم يكن يملك أرضًا (أو حقلاً) فى مدينة **أجريجنتوم**. وفضلاً عن ذلك، فلو أن هذه الرواية كانت متداولة أو متواترة، إذن لشيد **باوسانياس** نصبًا تذكاريًا لصديقه (الأثير)، سواء على شكل تمثال أو ضريح يليق به كإله، حيث إن **باوسانياس** كان رجلاً ثريًا.

ثم يتساءل **طيمايوس** بعد ذلك: "فكيف تسنى للفيلسوف بناء على ذلك أن يقفز داخل فوهة البركان، التى لم ينبر لذكرها بتاتًا رغم كونها تقع على مقربة منه؟ ومن ثم (فالأرجح) أنه قد قضى نحبه فى شبه جزيرة البيلوبونيس".

(فقرة ٧٢)

"ثم إنه ليس هناك ما يدعو إطلاقًا للدهشة من عدم العثور على قبره، وليس من المستغرب أن يحدث هذا مع أشخاص كثيرين غيره". وبعد أن ذكر **طيمايوس** هذه البراهين وأمثالها استطرد قائلاً: "ولكن مثل **هيراقليديس** على الدوام كمَثَلِ جامع قصص الخوارق والمعجزات "*paradoxologos*"؛ أو لم يذكر لنا قبلاً أن هناك شخصًا سقط (إلى الأرض) من القمر؟!".

ومن ناحية أخرى يذكر لنا **هيبوبوتوس** أنه كان هناك فيما مضى فى مدينة أجريجنتوم تمثال **لإمبيدوقليس** ذو رأس مغطاة، ولكن ظهر تمثال فيما بعد برأس حاسرة غير مغطاة أمام مجلس الشيوخ "*Bouleutêrion*" الرومانى؛ ومعنى ذلك أن الرومان هم الذين قاموا بنقل التمثال إلى هذا الموقع، نظرًا لأن التماثيل التى تصور الأشخاص "*eikones*" والمحتوية على نقوش مدونة (على قاعدتها) مألوفة وشائعة حتى وقتنا الحاضر.

ويحكى لنا **نيانثيس** "Neanthês" من مدينة كيزيكوس "Kyzikênos" – الذى حدثنا عن الفلاسفة الفيثاغورثيين – أنه بعد وفاة **ميطون** "Metôn" بدأت بوادر الطغيان تظهر وتنتشر، وعندئذ انبرى **إمبيدوقليس** لإقناع مواطنى مدينة أجريجينتوم بالتوقف عن التفرق إلى شيع وأحزاب (متنافرة)، وبممارسة مبدأ المساواة فى السياسة.

(فقرة ٧٣)

وعلاوة على ذلك، فقد قام **إمبيدوقليس** بدفع البائنة (الدوطة) – من ثروته الخاصة التى كانت بحوزته آنذاك – لكثير من السيدات المواطنات فى المدينة ممن كن لا يملكن قيمة البائنة.

ولا ريب أنه بسبب ثرائه هذا كان قادرًا على ارتداء عباءة أرجوانية اللون وفوقها زنار مصنوع من الذهب، على نحو ما يرويه لنا **فابورنيوس** فى كتابه المسمى "الذكريات"، كما كان يرتدى نعلين ذوى رقبة عالية مصنوعين من البرونز (كما سبق القول)، ويزين هامته إكليل من شجر الغار الذى كان ينمو فى دلفى. وكان شعره كثيفًا، وكانت هناك طائفة من الغلمان ترافقه وتسير فى ركابه؛ كما كان هو ذاته شخصًا رزينًا لدرجة العبوس، وكان يحافظ دائمًا على هذا المسلك ولا يغيره. وكان يظهر على هذه الصورة (فى الأماكن العامة)، وعندما يلتقى معه المواطنون كانوا يعرفون من سيماه وطابعه أنه فى مسلكه أقرب ما يكون إلى مسلك الملوك. غير أنه فيما بعد كان ذاهبًا فى مركبة إلى ميسينى "Messênê" لحضور أحد الاحتفالات، فسقط منها وأدى ذلك إلى حدوث كسر فى (عظمة) الفخذ. ولقد تسبب ذلك الحادث فى إصابته بمرض أدى إلى وفاته فى سن السابعة والسبعين، وكان قبره موجودًا فى مدينة ميجارا.

(فقرة ٧٤)

أما بالنسبة إلى سنه، فإن رواية **أرسطو** جد مختلفة، فهو يخبرنا بأن المنية قد وافت(**إمبيدوقليس** عندما بلغ من العمر ستين سنة، فى حين يرى بعض أنه توفى فى سن التاسعة بعد المئة، وأنه بلغ أوج ازدهاره إبان الفترة الأوليمبية الرابعة والثمانين (٤٤٤ – ٤٤١ ق.م.). ويحدثنا عنه **ديمتريوس من ترويزين** "Dêmêtrios ho Troizênios" فى كتابه المسمى **ضد السوفسطائيين** *"Kata Sophistôn"* بأبيات صاغها بالأسلوب الهوميرى على النحو التالى[1]:

"لقد عقد أنشوطة تتدلى من شجرة القرانيا الباسقة

وشنق بها رقبته، أما روحه فقد هبطت إلى هاديس (عالم الموتى)".

وفى الرسالة القصيرة التى دونها **تيلاوجيس** (ابن فيثاغورث)، والتى سبق ذكرها أعلاه[2]، ورد قول مفاده أن **إمبيدوقليس** قد انزلق إلى لجة اليم بسبب الشيخوخة وقضى نحبه غرقًا. كانت هذه هى جميع الأقوال– وهى بالغة الكثرة – عن وفاته. وهاكم (إبجرامة) من نظمى (أرثيه) فيها، وهى منظومة فى البحر الوافر *"Pammetron"* ولها طابع السخرية والتهكم، تسير على النحو التالى[3]:

(١) أنظر هوميروس، الأوديسية، النشيد الحادى عشر، بيت رقم ٢٧٨. [المراجع]
(٢) أنظر الجزء الثامن، فصل رقم (٣٥) أعلاه. [المراجع]
(٣) أنظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم (١٢٣). [المراجع]

(فقرة ٧٥)

"ها أنت، يا إمبيدوقليس، قد طهرت جسدك بشعلة نار خاطفة، وعببت النار عبًا من فوهات البركان الخالدة.

ولن أذهب فى قولى إلى أنك ألقيت نفسك بمحض اختيارك فى أتون بركان إتنا، ولكنك سقطت فى فوهة البركان على غير رغبة منك حينما تاقت نفسك إلى أن تختفى عن الأنظار!".

وهاكم إبجرامة أخرى عنه(١):

"أجل! ففى الحق إن هناك رواية (متواترة) عن موت إمبيدوقليس، مفادها أنه سقط ذات مرة من المركبة وانكسرت (عظمة) فخذه اليمنى.

بيد أنه لو كان قد قفز فى فوهة البركان التى تتلظى نارًا وعب الحياة عبا، فكيف يظل قبره (بالله عليكم) باديًا للعيان حتى الآن فى مدينة ميجارا؟".

(فقرة ٧٦)

ولقد كانت نظريات **(إمبيدوقليس)** على النحو التالى:

* العناصر أربعة هي: النار "*pyr*" ، والماء "*hydôr*" ، والتراب "*gê*"، والهواء "*aêr*"، وهناك أيضا المحبة "*philia*" التى تتحد بواسطتها

---

(١) أنظر: كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم (١٢٤). [المراجع]

هذه العناصر (الأربعة)، بمثل ما تتفرق عن طريق التشاحن أو النزاع "*neikos*"[١]. وهذا هو نص كلماته فى هذا الصدد[٢]:

"زيوس الساطع "argês"، وهيرا جالبة الحياة "pheresbios"، وكل من آئدونيوس "Aïdôneus" ونيستيس "Nêstis" ، التى تبلل بدموعها ينبوع الحياة البشرية الفانية".

وهو يقصد بزيوس النار، وهيرا تعنى عنده الأرض (التراب)، كما يعنى بآئدونيوس الهواء، ونيستيس تعنى عنده الماء. ثم يقول بعد ذلك:

"وهذه العناصر (الأربعة) لا تتوقف أبدًا عن التغير المستمر"[٣] ، كما لو كان ترتيب الموجودات وتنظيمها أبديًا "*aïdios*". وعلى أى حال، فإنه يمضى فى قوله على النحو التالى[٤]:

"وهذه الموجودات تتحد جميعًا تارة فى كيان واحد من خلال المحبة، بيد أن كل موجود منها يحمل تارة أخرى من جديد إلى اتجاه مختلف أو متنافر من خلال الكراهية "exthos" الناجمة عن النزاع "neikos".

---

(١) هناك ترجمات كثيرة مختلفة لهذين المصطلحين الأساسيين عند إمبيدوقليس منها: الحب والكراهية، أو المحبة والغلبة – وهذا المصطلح الأخير هو ترجمة العرب القدماء – ومنها الصداقة والنزاع..... إلخ. انظر أيضا الدكتور الأهوانى فى كتابه سالف الذكر، ص١٦٧. (المترجم)

(٢) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم 6 D من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

(٣) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم 176 D من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

(٤) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم 177 D من شذرات إمبيدوقليس. [المراجع]

(فقرة ٧٧)

* ثم إن **إمبيدوقليس** يخبرنا من بعد ذلك بأن الشمس "*hêlios*" عبارة عن كتلة نار متجمعة، وأنها أكبر حجمًا من القمر؛ وأن القمر أشبه بالقرص أو الحلقة المعدنية "*diskoeidês*"؛ وأن السماء ذاتها مثل البلور "*krystalloeidês*"؛ وأن الروح "*psyche*" تحل فى جميع أنواع الحيوانات والنباتات وتتخذ صورتها "*endyesthai*". وهو يقول – على أى حال – فى هذا الصدد ما يلى[١]:

"وذلك لأننى ذات مرة ولدت بالفعل فى صورة غلام وفتاة،

كما ولدت على شكل شجيرة "thamnos" وطائر "oiônos"،

وسمكة سفعتها النار[٢] بعد أن قفزت من البحر!"

أما قصيدتاه: **عن الفيزيقا** "*Peri Physeôs*"، و**التطهرات** "*Katharmoi*"، فهما مكونتان من خمسة آلاف بيت من الشعر. وأما مبحثه فى الطب "*Iatrikos logos*"، فيصل إلى ستمئة بيت. وأما مسرحياته التراجيدية فقد سبق أن تحدثنا عنها أعلاه.

---

(١) وذلك فى الشذرة التى تحمل رقم 117 D من شذرات إمبيدوقليس. وهو يتحدث فى هذين البيتين عن نظريته فى تناسخ الأرواح التى يطلق عليها اصطلاحًا اللفظ "*Metempsychôsis*". ولقد ورد هذا المصطلح عند ديوجينيس لانيرتيوس (الجزء العاشر، الفصل السادس).

(٢) هناك عدة قراءات مختلفة لكلمة "*empyros*" التى ترجمناها أعلاه بعبارة "سفعتها النار": فأثينايوس يذكر فى كتابه المسمى "مأدبة الفلاسفة"، الجزء الثامن، فقرة رقم ٣٦٥، أنها *emporos* (أى "سمكة جوالة"). بينما يذهب كليميس السكندرى فى كتابه المسمى "الطبقات"، الجزء السادس، فصل ٢٤، إلى أن القراءة الصحيحة لها هى *ellopos* (وهى صفة للأسماك بمعنى "بكماء" أو "سمكة بحر"). [المراجع]

الفصل الثالث

إبيخارموس "Epicharmos"

(من نحو عام ٥٥٠ – ٤٦٠ ق. م.)

(فقرة ٧٨)

كان **إبيخارموس بن هيلوثاليس** "Hêlothalês" مواطنًا من جزيرة قوس "Kôs"، وكان تلميذا من تلاميذ فيثاغورث. وعندما بلغ من العمر ثلاثة أشهر، قامت أسرته بإرساله إلى مدينة ميجارا الواقعة فى جزيرة صقلية "Sikelia"، ومنها إلى مدينة سيراقوصة، وذلك على نحو ما يذكره لنا فى **مدوناته أو مذكراته** "*syngrammata*". ولقد نقشت على تمثاله الإبجرامة التالية[1]:

"إذا كانت الشمس العظيمة تتفوق على سائر النجوم فى سطوعها عندما تمر بجوارها،

وإذا كان البحر يحظى بقوة أكبر من قوة الأنهار،

فإننى أعلن أن إبيخارموس يبز الجميع فى حكمته،

فهو الذى تَوّجَته سيراقوصة، وطنه هذا، (بالتاج المرموق)".

ولقد ترك لنا **إبيخارموس** مذكراته التى تحتوى على نظرياته وآرائه فى الفيزيقا والأخلاق والطب. ولقد قام **إبيخارموس** بتدوين حواشى وملاحظات على القسط الأعظم من هذه المذكرات، التى يبدو واضحًا أنه هو الذى قام بتدوينها ببراعة وأنها من تأليفه حقًا. ولقد توفى **إبيخارموس** فى التسعين من عمره.

---

(١) أنظر: كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ٧٨. [المراجع]

الفصل الرابع

رخيطاس "Archytas"

(ازدهر خلال القرن الرابع ق. م.)

(فقرة ٧٩)

كان أرخيطاس بن **منيساجوراس** "Mnêsagoras" مواطنًا من مدينة تاراس "Taras" (تارنتوم في جزيرة صقلية). ووفقًا لما ذكره **أريسطوكسينوس** فقد كان والده يدعى **هيستيايوس** "Hestiaios"؛ وكان **أرخيطاس** تلميذًا من تلاميذ المدرسة الفيثاغورثية. ولقد تم إنقاذ **أفلاطون** عندما كان الأخير على وشك أن يلقى حتفه بعقوبة الإعدام على يد (الطاغية) **ديونيسيوس**، بفضل الخطاب الذى قام هو بإرساله. ولقد لقى **أرخيطاس** الإعجاب من قبل الشطر الأكبر من الناس فى كل ميدان من ميادين الفضل والتميز. ومن ذلك أنه تقلد منصب القائد الأعلى للمواطنين (فى مدينته) سبع مرات، على الرغم من أن القانون كان يحظر على المواطنين الآخرين تقلد مثل هذا المنصب القيادى السامى لمدة تربو على العام الواحد بأى حال من الأحوال. ولقد كتب إليه أفلاطون رسالتين، حيث إنه كان السباق إلى كتابة رسالة بعث بها إلى **أفلاطون** على النحو التالى:

"من أرخيطاس إلى أفلاطون خالص التمنيات بالصحة والعافية...

(فقرة ٨٠)

من يمن الطالع أنك قد حظيت بالشفاء من سقمك، وهذا راجع إلى حسن صنيعك.. ذلك أننى وقفت على نبأ هذا من الرسالة التى بعثت بها إليَّ، وكذا عن طريق ما أعلنته على من خلال لاميسكوس "Lamiskos". ولقد اهتممت أبلغ الاهتمام بمسألة المذكرات، فيممت وجهى راحلاً شطر لوكانيا حيث عثرت على ذرية أوكيلوس "Okkelos" (لأقف منهم على مؤلفاته). ولقد أتيح لى أن أجد الأعمال التالية:

"عن القانون"، "عن الحكم الملكى"، "عن القداسة والتقوى "peri Hosiotêtos"، وكذا "عن أصل الكون". ولقد أرسلتها جميعًا إليك. أما المؤلفات الباقية، فمن المتعذر العثور عليها فى الوقت الحاضر، ولكن عندما يتسنى لى العثور عليها، فسوف يمكنك أن تحظى بها".

كان هذا هو خطاب أرخيطاس، أما أفلاطون فقد رد عليه بخطاب على النحو التالى:

"من أفلاطون إلى أرخيطاس.. تحية طيبة وسلامًا...

(فقرة ٨١)

لقد سعدت غاية السعادة وأعجبت للغاية بالمذكرات التى بعثت بها إليَّ، كما سررت أبلغ السرور بالشخص الذى قام بتأليفها. ذلك أنه يبدو لى رجلاً جديرًا بأن ينحدر من سلالة أولئك

الأسلاف القدماء. إذ يقال إنهم رجال وفدوا بالفعل من ميـــرا "Myra"، وأنهم حقًا رجال من ذوى الفضل، حيث إنهم مـــن بين هؤلاء الذين هاجروا مع الطرواديين الذين كانوا فى رفقة لاؤوميدون (جد الطرواديين)، وذلك وفقًا لما توضحه تلـك الرواية المتواترة جيلا بعد جيل. أما عن المذكرات التى قمت أنا بتدوينها، والتى كتبت لى خطابًا بصددها، فهى لا تزال فى صورة غير مناسبة ولا تبعث على الرضا. ولكننى بعثت بهـا إليك على الصورة التى تصادف أنها كانت عليها. ونحن كلانا متفقان على الحفاظ عليها، وبالتالى فليست هناك ضرورة إلى تقديم نصيحة ما فى هذا الصدد. وداعًا ولتنعم بصحة طيبة!".

هاتان إذن هما الرسالتان اللتان تم تداولهما على هذا النحو بين الاثنين.

(فقرة ٨٢)

وهناك أربعة أشخاص يحمل كل منهم اسم أرخيطاس:

(١) أولهم هو الفيلسوف الذى نتحدث عنه.

(٢) وثانيهم موسيقار من مدينة ميتيلينى "Mytilênê"(١).

(٣) وثالثهم مؤلف لبحث عن الزراعة "*peri Geôrgias*".

(٤) ورابعهم شاعر كان ينظم الإبجرامات.

---

(١) ميتيلينى مدينة ذائعة الصيت، وهى عاصمة جزيرة ليسبوس "Lesbos" المجاورة لساحل آسيا الصغرى، وكان يقطنها منذ القدم الأيوليون. ولقد ولد بهذه الجزيرة مشاهير الشعراء القدامى، وعلى رأسهم الشاعرة سابفو "Sappho" والشاعر ألكايوس "Alkaeus"، وكذا الشاعر تيرباندروس "Terpandros". وأشير مدينتين فى الجزيرة هما مدينة ميتيلينى (التى تكتب إما Mitylène أو Mytilène) ومدينة ميثيمنا "Méthymna". [المراجع]

ويضيف بعض شخصًا خامسًا بالاسم ذاته، ويقولون إنه مهندس معماري، يروى أنه ألف كتابًا عن الآلات الميكانيكية "*peri Mechanês*"، كانت بدايته على النحو التالي:

"لقد تعلمت هذه المعلومات عندما كنت تلميذًا لقرطاجى يدعى تيوكروس Teukros".

وهناك رواية تروى عن **أرخيطاس** الموسيقار مفادها أنه عندما عُيِّر بعدم قدرته على السماع أو عند إصابته بثقل فى السمع، قال: "**حسنًا! إن آلتى (الموسيقية) هى التى سوف تتحدث نيابة عنى، وهى التى سوف تحرز النصر فى المسابقة!**".

ويخبرنا **أريسطوكسنيوس** بأن فيلسوفنا الفيثاغورثى **أرخيطاس** لم يهزم قط طوال فترة توليه منصب القائد الأعلى، على الرغم من أنه تنحى عن منصب القيادة مرة واحدة، وذلك عندما أحس بأن الناس تحقد عليه، وهنا لاقى الجيش الهزيمة وسقطت بلاده فى براثن الاحتلال.

(فقرة ٨٣)

وكان **أرخيطاس** أول من استفاد من استخدام الآلات الميكانيكية عن طريق تطبيق منهج المبادئ الرياضية، كما كان أول من استخدم الحركة العضوية فى التصميم الهندسى، وأعنى بذلك عندما حاول أن يجد – عن طريق مقطع لشكل نصف أسطوانى "*hêmikylindros*" – وسيطين متناسبين كى يضاعف بهما المكعب "*kybos*"(١). أما فى مجال الهندسة، فقد كان **أرخيطاس** أول من اكتشف المكعب، على نحو ما يذكره لنا أفلاطون فى محاورة الجمهورية "*Politeia*"(٢).

---

(١) أنظر:

T. L. Heath, History of Greek Mathematics, i, 246 – 249. [المراجع]

(٢) أنظر: محاورة الجمهورية لأفلاطون، فقرة ٥٢٨ ب. [المراجع]

الفصل الخامس

ألكمايون "Alkmaiôn"

كان **ألكمايون** مواطنًا من مدينة كروتون "Krotôn" بجزيرة صقلية، وكان تلميذًا من تلاميذ فيثاغورث، وألف معظم أعماله فى مجال الطب، غير أنه كان ما بين الفينة والأخرى يؤلف أعمالاً فى مباحث الفلسفة الفيزيقية، حيث يقول فى هذا الصدد : "**إن كثيرًا من القضايا البشرية مزدوجة فى طبيعتها**". ويبدو أنه كان أول من ألف مبحثًا فى علم الفيزياء، على نحو ما يخبرنا به **فابورنيوس** فى كتابه المسمى "أمشاج من التاريخ". ويُنسَبُ إليه أنه قال إن القمر وبوجه عام الأجرام السماوية لها طبيعة أزلية.

(**وألكمايون**) هو ابن **بيريثوس** "Perithos"، كما يخبرنا بنفسه فى بداية مبحثه (المشار إليه). وكلماته فى هذا الصدد على النحو التالى (١):

> "**ما يلى ذكره هو كلمات ألكمايون من مدينة كروتون، وهو ابن بيريثوس، الذى تحدث مع برونتيوس "Brontius"، وليون "Leôn"، وباثيلّوس "Bathyllus" عن : الكائنات غير المرئية "ta aphanê"، وكذا عن الموجودات الفانية التى تعلمها الآلهة علم اليقين؛ أما بالنسبة لنا نحن البشر فإن ما بوسعنا هو الاستدلال عليها من خلال البراهين**". وما إلى ذلك من كلمات. ثم إن **ألكمايون** يخبرنا أيضًا بأن الروح خالدة، وأنها تتحرك حركة دائبة مثل الشمس.

---

(١) انظر : كتاب الأستاذ ديلز "Diels" عن شذرات الفلاسفة السابقين على سقراط، شذرة رقم (١). [المراجع]

الفصل السادس

هيبّاسوس "Hippasos"

(ازدهر خلال القرن الرابع ق. م.)

(فقرة ٨٤)

كان **هيبّاسوس بن ميتابونطوس** "Metapontos" تلميذًا من تلاميذ المدرسة الفيثاغورثية، ولقد ذهب إلى القول بأن هناك وقتًا محددا سيقدر فيه للتغييرات "*metabolê*" الحادثة فى الكون أن تكتمل، وبأن الكل "*to pan*" متناه "*peperasmenon*" لا تتوقف حركته الدائبة "*aeikinêton*".

ويخبرنا **ديمتريوس** – فى عمله المسمى "الأشخاص الذين يحملون الاسم ذاته *Homônymoi*" – بأن **هيبّاسوس** لم يترك لنا أى عمل مدون "*syngramma*". وهناك شخصان يحمل كل منهما اسم **هيبّاسوس**، أولهما هو فيلسوفنا الذى نتحدث عنه، أما الثانى فهو مؤلف لكتاب يحمل اسم دستور الإسبرطيين "*Lakônôn Politeia*" يقع فى خمسة أجزاء، وكان هو نفسه مواطنا إسبرطيًا "Lakôn"(١).

---

(١) كلمة لاكون "Lakôn" صفة تعنى "شخصا من إقليم لاكونيا" الذى تقع به مدينة إسبرطة، أما إسبرطة ذاتها فكانت تسمى لاك يدايمون "Lakedaimôn"، وكانت عاصمة إقليم لاكونيا. ومن هنا كان الإسبرطيون يعرفون باسم اللاكيدايمونيين. [المراجع]

الفصل السابع

فيلولاؤوس "Philolaos"

(ازدهر على الأرجح خلال أواخر القرن الخامس ق. م.)

كان **فيلولاؤوس** مواطنًا من مدينة كروتون، وكان تلميذًا من تلاميذ المدرسة الفيثاغورثية. ولقد كتب **أفلاطون** (رسالة) إلى ديون "Diôn"، يطلب منه فيها أن يشترى لحسابه المؤلفات الفيثاغورثية[١] التى كانت فى حوزة **فيلولاؤوس**. ولقد أعدم **فيلولاؤوس** لأنهم ظنوا أنه كان يسعى إلى الظفر بمنصب الطاغية[٢]. وهاكم الإبجرامة التى قمتُ بنظمها عنه[٣]:

"إننى أعلن للناس جميعًا أن يتملقوا الظن وأن يداهنوه، ذلك أنه حتى لو لم ترتكب إثمًا ولكن بدا عليك (أنك تريد فعله)، فإنك هالك وبائس لا محالة! فعلى هذا النحو أقدمت مدينة كروتون على إعدام فيلولاؤوس، على الرغم من أنها كانت وطنه ومسقط رأسه، وذلك حينما تصوروا أنه طامح إلى الظفر بمنصب الطاغية".

---

(١) قارن الجزء الثالث من هذا العمل، الفصل التاسع أعلاه، وذلك فى المجلد الأول الذى تم نشره تحت رقم ١٠٣٣ بالمشروع القومى للترجمة، ص ص ٢٤٧ – ٢٤٨. [المراجع]

(٢) فاعل الفعل *eteleuta* (بمعنى "يقتل" أو "يعدم") هو فيلولاؤوس بطبيعة الحال على الرغم من عدم ذكره باسمه ولا حتى بضمير الغائب المفرد الذى يشير إليه، ولكن ناشر الطبعة الإنجليزية يعتقد أن الفاعل هو **ديون** "Diôn". ولكن استنادا إلى الإبجرامة التالية، فإننى أرجح أنه فيلولاؤوس وليس ديون. [المراجع]

(٣) انظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ١٢٦. [المراجع]

(فقرة ٨٥)

وتتلخص نظريته فى أن كل الموجودات قد وجدت بالضرورة من خلال الاتساق والانسجام. وكان **فيلولاؤوس** أول من أعلن أن الأرض تتحرك فى مسار دائرى[1]، على الرغم من أن هناك نفرًا من الرواة ينسبون ذلك إلى **هيكيتاس** "Hiketas" السراقوصى.

ولقد ألف **فيلولاؤوس** كتابًا واحدًا – وفقًا لما يخبرنا به **هيرميبوس** – ويقول واحد من الكُتّاب أن الفيلسوف **أفلاطون** عندما ذهب إلى (بلاط) **ديونيسيوس** (الطاغية) فى صقلية، قد اشترى هذا الكتاب من أقارب **فيلولاؤوس** بمبلغ مقداره أربعين مينا فضية من عملة الإسكندرية[2] (نحو ٤٠٠٠ دراخمة) [3]، وأن **أفلاطون** قام باقتباس محاورة "**طيمايوس**" من هذا الكتاب. ويقول نفر آخر من الرواة إن **أفلاطون** قد تلقى هذه الكتب كهدية عندما طلب من (الطاغية) **ديونيسيوس** الإفراج عن شاب من تلاميذ **فيلولاؤوس** وإطلاق سراحه من السجن.

ويقول **ديمتريوس** فى كتابه المسمى "الأشخاص الذين يحملون الاسم ذاته" أن (**فيلولاؤوس**) كان أول من نشر البحوث الفيثاغورثية بعد نسخها،

---

(١) حرفيًا: "تتحرك فى دائرة". والمعنى المقصود هنا أن الأرض تتحرك حول دائرة من النار. [المراجع]

قارن: T. L. Heath, Aristarchus, pp. 187 ff. [المراجع]

(٢) ربما غاب عن ذهن هيرميبوس (انظر كتاب: شذرات المؤرخين الإغريق، الجزء الثالث. شذرة رقم ٢٥) أن الإسكندر الأكبر لم يولد إلا بعد موت أفلاطون. قارن الجزء السابع أعلاه، فصل ١٨. [المراجع]

(٣) سبق أن ذكر ديوجينيس لانيرتيوس أن أفلاطون قد اشترى الكتب الفيثاغورثية الثلاثة من لدن فيلولاؤوس بمبلغ مئة مينا (نحو ١٠٠٠٠ دراخمة). وربما كانت المينا السكندرية مختلفة فى قيمتها عن المينا الأثينية. [المراجع]

وأنه أطلق على كتب فيثاغورث عنوان عن الطبيعة "*Peri Physeôs*"، وهــى تبدأ على النحو التالى:

"تألفت الطبيعة فى (نظام) الكون من عناصر غيــر محــدودة ومن عناصر محدودة أو متناهية، (وعلى هذا النحو) تــألف الكون بأسره وكذا كل الموجودات التى فيه".

الفصل الثامن

يودوكسوس "Eudoxos"

(من نحو عام ٤٠٧ – ٣٥٧ ق. م.)

(فقرة ٨٦)

كان **يودوكسوس بن أيسخينيس**، عالم فلك وعـالم هندسـة وطبيبًـا ومشرعًا[١] من مدينة كنيدوس. ولقد تعلم الهندسة على يد **أرخيطاس**، وتعلـم الطب على يد **فيليستيون** "Philistiôn" الصقلى، على نحو مـا يخبرنـا بـه **كالّيماخوس** فى قوائمه (التصنيفية) "*Pinakes*" ، ويخبرنا **سوتيون** فى كتابه تعاقب الفلاسفة "*Diadochai*" بأن **يودوكسوس** كان أيضًا تلميذًا لأفلاطـون. ذلك أنه عندما كان فى الثالثة والعشرين من عمره، وكان يكابد آنذاك أزمـة مالية طاحنة، اجتذبته شهرة الفلاسفة السقراطيين فأبحر إلـى مدينـة أثينـا بصحبة **ثيوميدون** الطبيب الذى كان يتكفل بإعالته وتلبية مطالبه، حتـى إن بعضًا أعلنوا أنه كان خليلاً أثيرًا إلى نفسه. وعندما هبط من السفينة فى ميناء بيرايوس (بيريه) اعتاد أن يذهب إلى مدينة أثينا كل يوم كى يتتلمذ على يد الأساتذة السوفسطائيين، ثم يقفـل عائـدًا أدراجـه منهـا إلـى (مينـاء بيرايوس)[٢].

---

(١) يقول بلوتارخوس إن يودوكسوس من مدينة كنيدوس، وأرسطو من اسـتاجيرا، وأفلاطـون، كانوا جميعًا معاصرين وأنهم هم الذين وضعوا القوانين. (المترجم)

(٢) سبق أن رويت هذه الواقعة ذاتها عن أنتيسثينيس. راجع الجزء السابع أعلاه. (المترجم)

(فقرة ٨٧)

وبعد أن أمضى شهرين هناك قفل عائدًا أدراجه إلى بلده، وبعد أن تلقى إعانة مالية من أصدقائه أبحر إلى مصر بصحبة **خريسيبّوس** الطبيب حاملاً معه رسائل توصية من لدن **أجيسلاؤوس** إلى **نيكتانابيس** "Nektanabis" كى يوصى الكهنة خيرًا **بيودوكسوس**. وهناك أمضى عامًا وأربعة أشهر، حيث حلق لحيته وحاجبيه، وهناك أيضًا – كما يقول بعض – ألف كتابه المسمى **فترة الثمانى سنوات** "*Oktaetêris*". ومن هناك يمم شطر قيزيقوس "Kyzikos" **وبروبونتيس** "Propontis" (بحر مرمرة) لإلقاء طائفة من المحاضرات، وبعدها وصل للإقامة فى (بلاط) **ماوسولوس** "Mausôlos"[١]. وفى خاتمة المطاف رجع إلى مدينة أثينا وبرفقته عدد كبير من التلاميذ. وطبقًا لما يقوله بعض فإنه فعل هذا كى يكدر صفو أفلاطون، نظرًا لأن الأخير كان قد تجاهله فى مبدأ الأمر[٢].

(فقرة ٨٨)

ويقول بعض: إن كان قد أقام حفل شراب "*Symposion*"، ولما كان عدد الحاضرين كبيرًا فقد أدخل **يودوكسوس** فكرة إعداد المضاجع على شكل نصف دائرة. ويخبرنا **نيقوماخوس** بن أرسطو بأن **يودوكسوس** كان يعلن أن

---

(١) ماوسولوس طاغية كاريا "Karia" بآسيا الصغرى. توفى عام ٣٥٣ ق. م. وشيدت له أخته ضريحًا ضخمًا سمى الماوسوليون "*Mausôleion*"، كان مربع الشكل يحيط به ستة وثلاثون عمودا ويعلوه هرم مدرج. (المترجم)

(٢) إن افتراض وجود علاقات عداء بين كل من أفلاطون ويودوكسوس أمر لا أساس له من الصحة، وفقا لما يراه كل من تانرى "Tannery" فى كتابه "علم الفلك القديم"، ص٢٩٦، رقم ٤، و ت. ل. هيث فى كتابه "أريسطارخوس"، ص١٩٢. (المترجم)

اللذة هى الخير[١]. ولقد جرى استقبال **يودوكسوس** فى وطنه وسط مظاهر تشريف واحترام فائقة، وينهض دليلاً على ذلك القرار الذى صدر بشأنه (فى هذه المناسبة). غير أنه حظى بشهرة بالغة بين الإغريق كافة بوصفه الرجل الذى سن القوانين لمصلحة المواطنين من بنى جلدته، وذلك كما يخبرنا **هيرميبّوس** فى الجزء الرابع من كتابه "عن الحكماء السبعة". ولقد كان **يودوكسوس** أيضا مؤلفا لبحوث فى علمى الفلك والهندسة ولكتب أخرى ذات قيمة وجدارة. وكانت له ثلاث بنات، هن: أكتيس "Aktis"، وفيلتيس "Philtis"، ودلفيس "Delphis".

(فقرة ٨٩)

ويخبرنا **إراتوسثينيس** فى كتاباته المهداة إلى باتون "Batôn:" بأن **يودوكسوس** قد ألف محاورات "عن الكلاب". غير أن هناك آخرين يذكرون أن المصريين هم الذين ألفوا (هذه المحاورات) بلغتهم (المصرية القديمة)، وأن **يودوكسوس** هو الذى اضطلع بترجمتها إلى اللغة اليونانية وبنشرها بين بنى جلدته من الإغريق. ولقد كان **خريسيبّوس بن إرينيوس**، من مدينة كنيدوس، واحدًا من تلاميذ **يودوكسوس**، وكان يواظب على سماع محاضراته عن الأرباب والعالم وعن الظواهر السماوية "*meteôrologoumena*"؛ أما فى مجال الطب فقد كان تلميذًا للطبيب **فيليستيون الصقلى**.

---

(١) الإشارة هنا إلى كتاب أرسطو "الأخلاق المهدى إلى نيقوماخوس" (.i.12. 1101 b 27: x. 2 1172 b 9 ff). والقول بأن نيقوماخوس هو الذى ألف الكتاب الذى يحمل اسمه هو خطأ شائع وقع فيه شيشرون نفسه. (12 . 7 عن الغايات = *De Finibus*). [المراجع]

ولقد ترك لنا **يودوكسوس** أيضًا عددًا من التعليقات الممتازة. وكان له ابن يـدعى **أريـسطاجوراس** "Aristagoras" الـذى أنجـب ابنـًا سـماه **خريسيبّوس**، وكان الأخير تلميذًا للأستاذ **آئثـليوس** "Aethlios" . ولقد نُسِبَ إلى خريسيبّوس هذا تأليف بحوث عن علاج العيون، ومباحث نظرية فى علم الفيزيقا كانت تشغل دومًا فكره وتشد اهتمامه.

(فقرة ٩٠)

وهناك ثلاثة أشخاص يحملون اسم **يودوكسوس**، أولهم: هو الفيلسوف الذى نحن بصدده، والثانى مؤلف مدونات تاريخية مـن جزيـرة رودوس؛ والثالث صقلى كان ابنًا **لأجاثوكليس**، وهو شاعر كوميدى فاز ثلاث مـرات بالجائزة فى مسابقات أعياد الديونيسيا المدنية وخمس مرات فـى مـسابقات أعياد اللينايا، طبقًا لما يذكره **أبولّودوروس** فـى كتابـه المـسمى "التقـويم الزمنى". ونجد كذلك طبيبًا آخر يحمل الاسم ذاته من مدينة **كنيدوس**، يحدثنا عنه **يودوكسوس**[١] فى كتابه "التجوال حول الأرض"، ويقول إنه دأب علـى إسداء النصح للناس وحثهم على تحريك أطرافهم بصفة مستمرة بكل صنوف التمرينات البدنية، وعلى معاملة أعضاء الحس عندهم بالطريقة نفسها.

ويخبرنا **أبولّودوروس** نفسه بأن **يودوكسوس** من مدينة كنيدوس قـد ازدهر خلال الفترة الأوليمبية الثالثة بعد المئة (أى إبان الفترة من عام ٣٦٨

(١) يرجح النقاد أن اسم هذا الطبيب لم يكن يودوكسوس، وإنما بالأحرى خريسيبّوس. ويعتقدون أنه ربما كان خريسيبّوس من مدينة كنيدوس الذى ورد ذكره أعلاه فى الفقرة رقم (١٨٦) من الجزء السابع. قارن: فيلاموفيتز، أنتيجونوس من كاريستوس، ص ص ٣٢٤ – ٣٢٦؛ وانظر موسوعة باولى – ڤـيسوڤا "Pauly - Wissowa" ، تحت كلمة خريسيبّوس، عمودى ١٥ ، ١٦. [المراجع]

– ٣٦٤ ق. م.)، وأنه اكتشف خـواص الخطـوط المنحنيـة أو المعقوفـة "*kampylai*". ولقد قضى **يودوكسوس** نحبه عندما بلغ الثالثة والخمسين مـن عمره. وعندما كان مقيمًا فى مصر بصحبة **خونوفيس** "Chonouphis" كاهن مدينة هليوبوليس (عين شمس)، أقدم **أبيس** "Apis" (الثور المقدس) على لعق عباءته. وبناء على ذلك، أعلن الكهنة أنه سيصبح شخصًا مـشهورًا ولكـنَّ عمره سيكون قصيرًا، طبقًا لما ذكره **فابورينوس** فى كتابه "**الذكريات**".

(فقرة ٩١)

ولقد نظمتُ فى رثائه القصيدة التالية[١]:

"هناك رواية متواترة مؤداها أن يودوكسوس قد علـم سـلفًا بالمصير الذى سيؤول إليه ذات يوم من الثـور ذى القـرون الجميلة.

ولم ينطق (الثور) بكلمة واحدة؛ فكيف يتأتى للثور أن يتكلم؟

ذلك أن الطبيعة لم تزود العجل أبيس بفم ثرثار.

ولكن (الثور) وقف أمامه ثم مال إلى ناحيته، وقام بلعق ردائه،

وكأنه بهذا كان يعلن له بوضوح:

"سوف يأفل نجم حياتك من الآن فصاعدًا!".

وبناء على ذلك سرعان ما حل به المصير المحتوم،

بعد أن شاهد بعينى رأسه كوكبة الثريا[٢] ثلاثًا وخمسين مرة".

---

(١) انظر: كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ٧٤٤. [المراجع]

(٢) كوكبة الثريا "*Pleiades*" هى مجموعة من النجوم تتدلى من عنق برج الثور، وكانـت فيمـا مضى قبل أن تتحول إلى كوكبة سبع بنات أبوهن التيتان أطلس Atlas وأمهن التيتانة بليـونى "Pleionē". [المراجع]

ولقد اعتاد الناس أن يطلقوا عليه اسم إندوكسوس "*Endoxos*" (ومعناها: ذو الصيت الذائع) بدلاً من يودوكسوس، وذلك بسبب ذيوع شهرته وبريقها. وحيث إننا قد فرغنا من معالجتنا لسير حياة مشاهير الفلاسفة الفيثاغورثيين، فدعنا الآن ننبرى لمناقشة سير حياة الفلاسفة الفرادى "*sporadên*"، كما يسمونهم؛ وينبغى علينا فى البداية أن نتحدث عن هيراقليطوس.

الجزء التاسع

"الفلاسفة الفرادى والشكاك"

(الدينامية – الإيلية – الذّرية – الشكاك)

الفصل الأول

هيراقليطوس "Hêrakleitos"

(فقرة ١)

كان **هيراقليطوس** بن **بلوسون** "Blosôn" ، أو – تبعًا للبعض – بن **هيراكون** "Hêrakôn"، مواطنًا من مدينة إفيسوس "Ephesos"[(١)]. ولقد ازدهر إبان الفترة الأوليمبية التاسعة والستين (أى إبان الفترة من ٥٠٤ – ٥٠٠ ق. م.)[(٢)]. وكان بطبعه مفطورًا على نبل المشاعر أكثر من أى شخص آخر[(٣)]، كما كان متعجرفًا ومتكبرًا، كما هو واضح من كتابه الذى يقول فيه "**كثرة المعرفة لا تعلم الذهن، وإلا لكانت قد علّمت كلاً من هيسيودوس وفيثاغورث، وكذا كلا من إكسينوفانيس وهيكاتيوس**"[(٤)]. وذلك لأن "**الحكمة تكمن فى أمر واحد، هو الوقوف على الفكرة التى تهيمن على جميع**

---

(١) إفيسوس مدينة إيونية على شاطئ أسيا الصغرى، تقع بين مدينتى كولوفون وميليتوس (ملطية)، وفى مواجهة جزيرة ساموس، وهى إحدى المدن الإيونية الاثنتى عشرة. (المترجم)

(٢) كان الفيلسوف فى الأربعين من عمره إبان الفترة الأوليمبية التاسعة والستين. (المترجم)

(٣) نلاحظ أن كتاب سير الحياة الذين استقى منهم مؤلفنا معلوماته قد ركزوا بشكل واضح على هذه الخصلة المتوافرة عند هذا الفيلسوف الإفيسى، حيث إن الفقرات ١ – ٣ تدور كلها تقريبًا حول هذا الموضوع. أما فيما يتعلق بالاتهام الموجه ضد فيثاغورث فيمكننا الرجوع إلى كليميس السكندرى، الطبقات، الجزء الأول، فقرة ١٢٩، حيث يخبرنا – فى معرض تناوله للترتيب الزمنى – بأن هيراقليطوس كان يعيش فى حقبة زمنية تالية لفيثاغورث، لأنه ذكر الأخير وأشار إليه فى أعماله. [المراجع]

(٤) وهى الشذرة رقم ٤٠ د ، ١٦ ب من الشذرات الباقية من أعمال هذا الفيلسوف. انظر ترجمة أحمد فؤاد الأهوانى لها فى صفحة ١٠٤ من كتابه سالف الذكر. (المترجم)

الموجودات فى كل مكان"[١]. ولقد اعتاد أن يقول إن هوميروس خليق بـأن يطرد من جميع (لوائح) المسابقات ويستحق أن يـضرب بالعـصا، ومثلـه **أرخيلوخوس** "Archilochos"[٢].

(فقرة ٢)

وكان من دأبه أن يقول أيضًا: "**إن إطفاء الغطرسة أمر أوجب من إطفاء لهيب النيران**"[٣]؛ "**ينبغى على الناس أن يقاتلوا من أجل القانون بمثل ما يقاتلون دفاعًا عن أسوار مدينتهم**"[٤]. ولقد هاجم أهل مدينته الإفيسيين لأنهم أقدموا على نفى صفيه **هيرمودوروس**، وفى هذا الصدد نجده يقول لهم: "**حرى بأهل إفيسوس أن يقتلوا كل شخص بالغ بينهم، وأن يتركوا أمر توجيه دفة الأمور فى مدينتهم للمرد من الغلمان، وذلك لأنهم أقدموا على نفى هيرمودوروس، أفضل رجل بين ظهرانيهم، (وكأن لسان حالهم) يقول: "لن ندع أحدًا بالغ الفضل بين ظهرانينا، لأنه لو وجد مثل هذا الشخص، فعليه أن يرحل إلى بلد آخر ليعيش بين قوم آخرين!**" [٥]. وعندما طلبوا منه أن يسن لهم قوانين (تنظم حياتهم)؛ ازدرى هذا الطلب بسبب أن المدينة (فى تصوره) كانت ترزح بالفعل تحت ربقة دستور فاسد.

---

(١) وهى الشذرة رقم ٤١ د ، ١٩ ب. انظر: الأهوانى، ص١٠٤. (المترجم)
(٢) وهى الشذرة رقم ٤٢ د ، ١١٩ ب. انظر: الأهوانى، ص١١١. (المترجم)
(٣) وهى الشذرة رقم ٤٣ د ، ١٠٣ ب. انظر: الأهوانى، ص١١٠. (المترجم)
(٤) وهى الشذرة رقم ٤٤ د ، ١٠٠ ب. انظر: الأهوانى، ص١١٠. (المترجم)
(٥) وهى الشذرة رقم ١٢١ د ، ١١٤ ب من الشذرات الباقية من أعمال هذا الفيلسوف. انظر: الأهوانى، ص١٠٩. (المترجم)

(فقرة ٣)

وعندما اعتكف في معبد الربة أرتميس، اعتاد أن يلعب مع الصبية لعبة النرد "*astragaloi*"[١]، وعندما تحلق حوله أهل إفيسوس (ينظرون) قال لهم: "**لماذا تَعْجَبُون، يا من لا نظير لكم في النذالة؟ أو ليس الانهماك في أداء هذه اللعبة أفضل من الانغماس في شئون سياسة مدينتكم؟**".

وفي خاتمة المطاف أصبح **هيراقليطوس** كارهًا للبشر، فطفق يهيم على وجهه واتخذ من الجبال مأوى يواصل فيه حياته، حيث كان يقتات على الحشائش والأعشاب. ومع ذلك، فعندما أصيب بمرض الاستسقاء جراء ذلك قفل أدراجه عائدًا إلى المدينة وطرح على الأطباء لغزًا مفاده: هل يا ترى في مقدورهم تحقيق الجفاف بعد سقوط وابل من المطر؟ ولما تعذر عليهم الاهتداء إلى حل (هذا اللغز)، عمد إلى دفن جسمه في حظيرة للبقر على أمل أن تتبخر من جسمه (الرطوبة الضارة) بفعل حرارة روث البقر. غير أن مسلكه هذا لم يجد فتيلاً، إذ إنه قضى نحبه (على أثر ذلك) عن عمر يناهز الستين.

---

(١) كانت كلمة "*astragalos*" تعني في الأصل واحدة من فقرات "vertebrae" العنق، ثم أصبحت تعني عظم الكاحل أو سلاميات الأصابع. ولكنها استخدمت في صيغة الجمع "*astragaloi*" لكي تدل على لعبة تشبه لعبة النرد عندنا، وذلك لأن من كانوا يلعبونها يستخدمون زهرًا مصنوعًا من عظام الكاحل (باللاتينية *tali*). وكان لهذا الزهر أربعة جوانب مسطحة فقط، في حين أن المكعبات "*kyboi*" كانت مكونة من ستة جوانب. وكانت أفضل رمية زهر عندما تأتي الأعداد المدونة على العظمة مختلفة عند كل لاعب، وتسمى هذه الرمية "رمية أفروديتي "*Aphroditē*" على اسم الربة (باللاتينية = رمية ڤينوس *iactus Veneris*")؛ أما أسوأ رمية زهر فكانت عندما تأتي الأعداد المدونة على العظمة متماثلة، وتسمى باسم "رمية الكلب "*kyōn*" (باللاتينية: *canis*). [المراجع]

(فقرة ٤)

ولقد نظمتُ في رثائه القصيدة التالية[١]:

"كثيرًا ما عجبتُ من أمر هيراقليطوس، وانتابتنى الدهشة من أنه احتمل أن يحيا فترة ما من عمره على هذا النحو، ثم يلقى حتفه بعدها.

ذلك أن الداء الوبيل الذى أصابه قد جعل جسمه يمتلئ بالماء، وأطفأ النور من مقلتيه وغمره بظلمة دامسة".

ولكن **هيرميبّوس** يخبرنا بأن **هيراقليطوس** قد سأل الأطباء عما إذا كان بوسع المرء أن يخرج الرطوبة من جسمه عن طريق إفراغ أمعائه، وعندما جزموا باستحالة ذلك بادر إلى وضع جسمه تحت أشعة الشمس وأمر خدمه بأن يكسوا بدنه بروث البقر. ونتيجة لتمدده على هذا النحو قضى نحبه فى اليوم التالى وتم دفنه فى ساحة السوق العامة. أما **نيانثيس** من قيزيقوس، فيذكر لنا أن الفيلسوف ظل على هذه الحال نظرًا لأنه عجز عن إزالة الروث عن بدنه، ونظرًا لتغير هيئته بسبب ذلك غدا كنهه غير معروف فأقدمت الكلاب على نهش لحمه.

(فقرة ٥)

وكان **هيراقليطوس** منذ حداثة سنه مثيرًا للدهشة والإعجاب، فعندما غدا شابًا دأب على أن يعلن أنه لا يعرف شيئًا، ومع ذلك فحينما بلغ سن

---

(١) انظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إيجرامة رقم ١٢٧. [المراجع]

النضج أعلن أنه يعرف كل شيء. ولم يتتلمذ **هيراقليطوس** على يد أحد من الأساتذة، ولذا فقد قال بناء على ذلك إنه بحث في أعماق نفسه وتعلم كل شيء من ذاته[1]. غير أن **سوتيون** يخبرنا بأن بعضًا قد قالوا إنه كان تلميذًا للفيلسوف **إكسينوفانيس**، كما يخبرنا أيضًا بأن **أريسطون** في كتابه المسمى "عن **هيراقليطوس**" قد ذكر لنا أن **هيراقليطوس** قد شفي من مرض الاستسقاء بعد علاجه، ولكنه قضى نحبه بسبب مرض آخر. ولقد روى لنا **هيبّوبوتوس** هذه القصة نفسها.

أما بالنسبة للكتاب الذى نُسِبَ إليه تأليفه، فهو عبارة عن بحث متصل يحمل عنوان "عن الفيزيقا"، بيد أنه ينقسم إلى ثلاثة أجزاء، أولها عن الكون، والثاني عن السياسة، والثالث عن اللاهوت.

(فقرة ٦)

ولقد أودع **هيراقليطوس** هذا الكتاب في معبد الربة أرتيميس، وتعمد – طبقًا لرأى بعض – تدوينه بطريقة أكثر غموضًا حتى لا يتمكن من قراءته أو من الاقتراب منه سوى الراسخين في العلم وحدهم[2]، وحتى لا يتولد من الألفة به شعور بالازدراء. ولقد رسم تيمون (في قصائده الهجائية الساخرة *silloi*) صورة له على النحو التالي[3]:

> **"ويبرز من بينهم هيراقليطوس الذى يتحدث بالألغاز، ويصيح مثل طائر الوقواق، ويكيل السباب والإهانات للدهماء!"** [4].

---

(١) ورد ذلك القول في الشذرة رقم ١٠١ د، ٨٠ ب. انظر الأهواني، ص١٠٩. (المترجم)

(٢) هناك رواية مؤداها أن سقراط حينما قرأ هذا الكتاب علق عليه بقوله: "إن ما فهمته منه كثيرا، ولكن ما لم أفهمه أكثر!". [المراجع]

(٣) وذلك في الشذرة رقم ٤٣ د من شذرات ديوانه. [المراجع]

(٤) قارن: هوميروس، الإلياذة، النشيد الأول، أبيات : ٢٤٧ ، ٢٤٨. [المراجع]

ويرجع **ثيوفراسطوس** عدم اكتمال طائفة من الأجـــزاء التـــى دونهـــا **هيراقليطوس**، وكذا ما هو موجود من خلط (متنافر) فى طائفة أخرى منها، إلى مزاجه السوداوى. أما **أنتيستثينيس**، فيخبرنا فى كتابه المـــسمى "تعاقـــب الفلاسفة" بأن هناك برهانًا على سمو فكر **هيراقليطوس** وشهامته، ألا وهـــو تنازله لأخيه عن عرش الملك. ولقد حظى كتابه (ســـالف الـــذكر) بـــشهرة عريضة وصيت ذائع لدرجة أنه تأسست فرقة مذهبية سميت بـــالهيراقليطيين تيمنًا باسمه.

(فقرة ٧)

وأعتقد أنه من المناسب أن أقدم هنا تلخيصًا شاملاً عن نظرياته علـــى النحو التالى:

* جميع الموجودات مؤلفة من النار ثم هى تتحلل إلـــى النـــار مـــرة أخرى. وعلاوة على ذلك، فإن جميع الكائنات قد وجدت عن طريـــق القـــدر المحتوم "*heimarmenê*"، وهذه الكائنات تصير إلى تآلف وانسجام بواســـطة صدام التيارات المضادة؛ وكل الكائنات زاخرة بالأرواح والأرباب. كذلك فقد حدثنا عن جميع الأحداث والوقائع الخاضعة للنظام والتى حدثت فى أرجـــاء الكون، وأعلن أن الشمس فى حجمها مماثلة للشكل الذى تبدو به لنا. ويروى عنه أنه قال: "**لن يقدر لك أن تجد حدودًا للروح حتى لو رحلت للبحث عنها فى كل جهة من الجهات، لأن قانونها (أو علتها logos) عميق الغور**"(١).

* ولقد كان من عادته أن يقول إن الغرور "*oiêsis*" (يقصد : الصرع) مرض مقدس، وأن الإبصار "*horasis*" حاسة كاذبة(٢). ومع ذلك، ففى بعض

(١) وهى الشذرة رقم ٤٥ د، ٧١ ب من الشذرات الباقية من أعمال هذا الفيلسوف. [المراجع]
(٢) وهى الشذرة رقم ٤٦ د ، ١٣٢ ب من الشذرات الباقية من أعمال هذا الفيلسوف. [المراجع]

الأحيان نجده يطرح فى كتابه عبارات متميزة وواضحة لدرجة أن أغبى الناس يستطيع أن يفهمها بسهولة ويسر، وأن يستقيها من خلال سمو النفس. وذلك لأن إيجازه وثقل مكانة تفسيره أو شرحه أمران يستعصيان على المقارنة بكل المقاييس.

(فقرة ٨)

أما فيما يتعلق بالتفاصيل الجزئية لمعتقدات **(هيراقليطوس)**، فهى على النحو التالى:

* النار عنصر، وجميع الموجودات عبارة عن تحولات "***amoibê***" (أو تبادلات) من النار، وهى توجد أو تنشأ عن طريق التخلخل والتكاثف[١]؛ ولكنه لا يقدم لنا تفسيرًا واضحًا عن ذلك. وجميع الكائنات تظهر إلى الوجود عن طريق صراع الأضداد "***enantiotês***"، أما جماع الأشياء فيتدفق بمثل تدفق المياه فى مجرى النهر. وعلاوة على ذلك، فالكل متناه بيد أنه يشكل عالمًا واحدًا. كما أن هذا (العالم) ذاته قد خلق (بدوره) من النار ومآله من جديد إلى النار وفقًا لدورات معينة على التعاقب إلى أبد الآبدين، وهذا الأمر محدد من قبل القضاء والقدر "***heimarmenê***".

* ومن الأضداد طائفة نزاعة إلى الخلق (أو الميلاد) تعرف باسم الحرب "***polemos***" والنزاع "***eris***"، ومنها طائفة أخرى نزاعة إلى الإحراق الشامل "***ekpyrôsis***" تعرف باسم الوئام والسلام[٢]. ويسمى **هيراقليطوس** التغيير "***metabolê***" بالطريق "***hodos***" المؤدية إلى أعلى وإلى أسفل، ويرى أنه هو الذى يحدد ميلاد العالم.

= وقارن كذلك قوله: "العيون والآذان شاهدان سيئان للإنسان". انظر: الأهوانى، ص١٠٣. (المترجم)

(١) وهى الشذرة رقم ٩٠ د ، ٢٢ ب من الشذرات الباقية من أعمال هذا الفيلسوف. [المراجع]

(٢) وهى الشذرة رقم ٨٠ د ، ٦٢ ب من الشذرات الباقية من أعمال هذا الفيلسوف. [المراجع]

(فقرة ٩)

* ذلك أن النار "*to pyr*" عن طريق التقلص أو الانكماش "*pyknoumenon*" تتحول إلى رطوبة "*exygrainesthai*"، وعن طريق التكثيف "*synistamenon*" تتحول إلى ماء "*hydôr*"، وعن طريق التجمد "*pêgnymenon*" يتحول الماء إلى تراب "*gê*". وهو يسمى هذه العملية باسم الطريق "*hodos*" الهابطة أو المؤدية إلى أسفل "*epi to katô*". ومن ناحية أخرى، فإنه عندما يتاح للتراب أن يتحول مرة أخرى إلى السيولة أو التميع "*cheisthai*" يتخلق منه الماء؛ ومن الماء تتخلق بقية الأشياء (التي ذكرت آنفًا). ويعزو **هيراقليطوس** نشأة جميع الموجودات تقريبًا إلى الزفير المتصاعد "*anathymiasis*" من البحر. وتسمى هذه العملية باسم الطريق "*hodos*" الصاعدة أو المؤدية إلى أعلى "*epi to anô*". (ومن رأيه) أن (عمليات) الزفير "*anathymiaseis*" تنشأ من الأرض بمثل ما تنشأ من البحر، غير أن تلك الناشئة من البحر تكون وضاءة "*lamprai*" ونقية "*katharai*"، أما تلك الناشئة من الأرض فتكون قاتمة مظلمة "*skoteinai*".

* وتتغذى[١] النار على الأبخرة الوضاءة النقية، في حين أن الرطوبة تتغذى على الأبخرة الأخرى (وأعني بها القاتمة المظلمة). غير أن **هيراقليطوس** لم يقم بتوضيح طبيعة العنصر الذي يغلف هذه الموجودات ويحيط بها "*periechon*"، ولكنه – على أي حال – يقول إن فيه تجاويف "*skaphai*" وأجسامًا مقعرة "*kata koilon*" متجهة "*epestrammenai*" صوبنا "*pros hêmas*"، حيث تتجمع فيها الأبخرة الوضاءة لتكون ألسنة اللهب "*phlogai*" التي تشكل قوام النجوم "*astra*".

---

(١) الفعل المستخدم هنا هو "*auxesthai*"، ومعناه الحرفي: "يزيد، ينمو، يتكاثر". [المراجع]

(فقرة ١٠)

* ويعد لهب الشمس هو أكثر هذه الألسنة من اللهب إشراقا وأشدها حرارة. أما النجوم الأخرى فهى بعيدة بمسافة كبيرة "*pleion*" عن الأرض، ومن أجل هذا السبب فإنها تعطى ضوءًا "*lampein*" أقل "*hêtton*" وحرارة "*thalpein*" أقل (من الشمس). أما القمر الذى هو أقرب مسافة (إلى الأرض)، فهو يتغلغل فى منطقة غير نقية. أما الشمس فتتحرك فى منطقة صافية "*diaugês*" ورائقة "*amigês*"، وهى تبقى على مسافة "*diastêma*" مناسبة "*symmetron*" منا. وهذا هو السبب فى أنها تمدنا بحرارة أكثر وضوء أشد. ويحدث كل من كسوف الشمس "*ekleipein hellion*" وخسوف القمر، عندما تتحول "*strephomenai*" التجاويف "*skaphai*" إلى أعلى *anô*، أما أوجه (أشكال *schêmatismoi*) القمر الشهرية فتحدث عندما يتحول التجويف إلى مكانه ذاته شيئًا فشيئًا. أما النهار والليل، وكذا الشهور والفصول والأعوام والسنوات، ومثلها الأمطار والرياح وما يماثلها من ظواهر طبيعية، فهى تنشأ عن طريق الأبخرة المختلفة.

(فقرة ١١)

* ذلك أن البخار الوضاء يتحول إلى لسان لهب فى قرص الشمس الفارغ ليصنع النهار، ولكن حينما تكون الغلبة للأبخرة المضاءة فإنها تحدث الليل. ويرجع ازدياد الحرارة "*to thermon*" إلى البخار الوضاء الذى يحدث الصيف "*theros*"، بينما يعود تكاثر الرطوبة "*to hygron*" إلى البخار القاتم المظلم الذى يُحدث الشتاء "*cheimôn*". ويتفق تعليله للظواهر الطبيعية الأخرى مع هذه التفسيرات. بيد أنه لا يقدم أى تفسير لطبيعة الأرض، ولا حتى للتجاويف (المشار إليها). تلك إذن كانت معتقداته ووجهات نظره.

أما عن الرواية التى قيلت على لسان سقراط وما أبداه من ملاحظات عندما وقع فى يده كتاب **هيراقليطوس** الذى حمله **يوريبيديس** إليه – وفقًا لما يرويه لنا **أريسطون** – فلقد انبريت لسردها فى معرض تناولى لحياة الفيلسوف **سقراط** (أعلاه) [١].

(فقرة ١٢)

غير أن **سيليوكوس** "Seleukos" عالم النحو – على أى حال – يخبرنا بأن مواطنًا من مدينة كروتون "Krotôn" بجزيرة صقلية قد قص علينا – فى كتابه الذى يحمل عنوان **الغواص** "*kolymbêtês*" – أن أول شخص أحضر الكتاب المذكور إلى بلاد اليونان كان شخصًا يدعى **كراتيس** "Kratês"، وأن **كراتيس** هذا قد قال (بعدها) إنه كان بحاجة إلى غواص من جزيرة ديلوس حتى ينجو من الغرق فى (محتويات الكتاب). ولقد أطلق بعض على هذا (الكتاب) اسم الموسيات "*hai Mousai*"[٢] (ربات الفنون)، بينما أطلق عليه نفر آخر اسم "عن الطبيعة"، غير أن **ديودوتوس** "Diodotos" كان يسميه[٣]:

"دفة محكمة لتوجيه رحلة الحياة!".

---

(١) انظر: الجزء الثانى، فقرة ٢٢، ص١٤٤ من المجلد الأول الذى تم نشره فى المشروع القومى للترجمة، تحت رقم ١٠٣٣. [المراجع]

(٢) كان الفيلسوف أفلاطون معتادًا – عند إشارته إلى هيراقليطوس – على أن يتحدث عن "ربات الفنون الإيونية" (محاورة السوفسطائى، فقرة 242 E). وتبعه فى ذلك كليميس السكندرى (الطبقات، الجزء الخامس، فقرة 9 .P. 262: "وكانوا حقًا يسمونه بوضوح ربات الفنون الإيونية"). وربما حاكاهما فى ذلك أيضًا لوكريتيوس الرومانى (الجزء الأول، بيت ٦٥٧)، حيث ترد كلمة *Musae* فى قراءات المخطوط. [المراجع]

(٣) انظر كتاب الأستاذ ناوك "Nauck"، شذرات كتاب التراجيديا الإغريقية، الطبعة الثانية، شذرة 287 Adesp (وهى شذرة مجهولة المؤلف). [المراجع]

غير أن هناك نفرًا آخر يطلقون عليه اسم : "**مرشد السلوك الخلقي، أو سفينة العالم بأسره، سواء بمفرده أو مع الكائنات كافة**". وعندما سئل **هيراقليطوس** لماذا يتذرع بأهداب الصمت، قال: "**من أجل أن تثرثروا أنتم!**". ولقد تاق الإمبراطور **داريوس** (دارا) إلى صحبته وكتب إليه الرسالة التالية[1]:

(فقرة ١٣)

"من الملك داريوس Dareios (دارا) بن هيستاسبيس Hystaspês إلى هيراقليطوس الرجل الحكيم من إفيسوس تحية وسلامًا.. لا ريب أنك مبدع البحث الذى يحمل عنوان "عن الطبيعة"، الذى هو كتاب عويص مستغلق على الأفهام مستعص على التفسير. ولو تسنى لنا تفسيره كلمة بكلمة فى بعض أجزائه، فيبدو أنه يتضمن مقدرة على التأمل فى الكون بأسره، وفى كل ما يحدث به اعتمادًا على حركة فائقة القداسة. ولكن فيما يختص بالشطر الأعظم منه فإن الحكم يُرجأ أو يُعلق لدرجة حدت بالراسخين فى العلم والمعرفة إلى الوقوع فى الاضطراب والحيرة، فعجزوا عن تفسير ما كتبته تفسيرًا صحيحًا. وبالتالى، فإن الملك داريوس بن هيستاسبيس يتمنى أن يستمع إلى محاضراتك، وأن يستمتع بثقافتك الإغريقية. ولذا فإن لك أن تفد لزيارتى فى قصرى على جناح السرعة.

(١) كان كليميس السكندرى (الطبقات، الجزء الأول. فقرة ٦٥) هو الذى ذكر هذه الرغبة من جانب الملك داريوس، وذلك بقوله: "ولقد دعاه (أى دعا هيراقليطوس) الملك داريوس كى يفد لزيارته فى بلاد فارس، ولكنه ضرب صفحا عن هذه الدعوة". ولكن الأرجح أن هذا الخطاب، وكذا الخطاب الذى رد به هيراقليطوس على الملك، كليهما مختلق لا أساس له من الصحة. [المراجع]

(فقرة ١٤)

ذلك أن الإغـريق فى الغـالب الأعـم ليسـوا ميالين إلـى التفاخـر بالحكماء من رجالهم، حيث إنهم يضربون صـفحًا عن الآراء المتميزة التى أعدت من أجـل الإصـغاء إليهـا وتعلمها. ولكنك فى بلاط قصـرى سـوف تجـد بـلا شـك المركـز المرمـوق بجميع صـوره وأشكاله، كما سـتضمن أن تحظى فيه ليلاً ونهارًا بأحاديث رصينة هادفـة وبحيـاة قوامها الشهرة تتفق مع نصائحك السديدة".

(ولقد رد عليه هيراقليطوس بالخطاب التالى):

"من هيراقليطوس من إفيسوس إلى الملـك داريـوس بـن هيستاسبيس، تحية وسلامًا.

إن جميع الناس الذين قدر لهم أن يحيوا على ظهـر الأرض أبعد ما يكونون عن الحقيقة والعدالة، فى حين أنهم بـسبب حماقتهم الشريرة يكرسون جل همهم للجشع المفرط والتحرق شوقًا إلى الشهرة. أما أنا - الذى ضربت صـفحا عـن كـل صنوف الشر، وعزفت عن البطر والتخمة بكل ألوانها لأنهـا ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالحسد، وحيث إننى نأيت بنفسى عن حب الظهور ومظاهر الأبهة- فإنه ليس بوسعى أن أذهب إلى بلاد الفرس، لأنه يتعين على أن أرضى بالقليل الذى من شأنه أن يناسب توجهى الفكرى".

على هذا النحو كانت خصال الرجل حتى وهو (يتعامل) مع ملك[١].

---

(١) يتشكك بيرنت فى صحة هذين الخطابين (المرسلين من الملك إلى هيراقليطوس والعكس)، ويقول الدكتور الأهوانى "أكبر الظن أنهما منتحلان. راجع كتابه ص١٠٠، والحاشية رقم ١. (المترجم)

(فقرة ١٥)

ويخبرنا **ديمتريوس** - فى كتابه الذى يحمل عنوان "الرجال الذين يحملون الاسم نفسه ***Homônymoi***" - أن **هيراقليطوس** كان يزدرى حتى الأثينيين على الرغم من أنهم أعلوا قدره فوق التصور؛ وأن أهل إفيسوس قد غمطوه حقه فإنه كان يؤثر وطنه على ما سواه. كذلك تحدث عنه **ديمتريوس الفاليرى** بدوره فى كتابه المسمى "**الدفاع عن سقراط** ***"Sokratous"*** ***Apologia***"[١]. وكان شراح كتاب **هيراقليطوس** بالغى الكثرة، وكان من بينهم: **أنتيستينيس، وهيراقليديس من بونطوس، وكليانثيس، واسفايروس** الفيلسوف الرواقى، بالإضافة إلى **باوسانياس** الملقب باسم "مقلد هيراقليطوس"، **ونيقوميديس، وديونيسيوس**؛ ومن بين علماء النحو نجد **ديودوتوس** الذى صرح بأن الكتاب الذى ألفه **هيراقليطوس** لم يكن عن الفيزيقا بل عن الحكم والدولة، وأن الجزء الفيزيقى منه كان من أجل التوضيح وضرب الأمثلة فحسب[٢].

(فقرة ١٦)

ويخبرنا **هييرونيموس** "Hierônymos" بأن **سكيثينوس** Skythinos شاعر الهجاء[٣] قد أخذ على عاتقه نظم محتويات كتاب هيراقليطوس المدونة نثرًا

(١) سيرد اسم هذا العمل مرة أخرى فى الجزء التاسع الذى نحن بصدده فى الفقرتين ٣٧، ٥٧. وربما كان هذا العمل هو المصدر الذى اعتمد عليه ديوجينيس لائيرتيوس فى معلوماته. [المراجع]

(٢) من الواضح أن ديوجينيس لائيرتيوس يعتمد هنا على مقتطفات استمدها - ضمن مصادر أخرى - من مؤلف ديودوتوس الذى استشهد به فى الفقرة (١٢) أعلاه ونقل عنه المعلومات نقلاً حرفيًا. [المراجع]

(٣) حرفيا: "الشاعر الذى ينظم أشعاره فى البحر الإيامبى "iamboi". وكان البحر الإيامبى فى بدايته هو البحر المستخدم فى شعر الهجاء. [المراجع]

فى صياغة شعرية. ولقد نُظِمت عن **هيراقليطوس** إبجرامات كثيرة، نذكر من بينها الإبجرامة التالية[1]:

"إننى أنا هيراقليطوس ! فلماذا، أيها الجهال، تجذبوننى تارة إلى أعلى وتارة إلى أسفل؟ إننى لم أكن أشقى وأكدح من أجلكم، بل من أجل هؤلاء الذين بوسعهم فهمى. وإن رجلاً واحدًا قد يعدل فى نظرى ثلاثين ألف رجل ممن سواه، فى حين أن الحشود التى لا تحصى ولا تعد لا تعدل عندى رجلاً واحدًا. هذا هو ما أعلنه حتى وأنا فى حضرة بيرسيفونى"[2].

وهاكم إبجرامة أخرى[3]:

"لا تتعجل فى الوصول إلى سرة "omphalon" كتاب هيراقليطوس الإفيسى، فالطريق أمامك بالغ الوعورة والمشقة! وهناك ظلام دامس وليل بهيم، الضوء فيه لا يستبين. لكن لو أن من يرشدك كان خبيرًا مطلعًا، (فإن طريقك) سوف يغدو أكثر سطوعًا من ضوء الشمس".

---

(١) انظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ١٢٨. [المراجع]

(٢) **بيرسيفونى** *"Persephonê"* هى ابنة الربة **ديميتر** فى الأساطير اليونانية، اختطفها الإله **بلوتو** **(هاديس)** إله العالم الآخر وتزوجها، فتوسلت إليه أمها **ديميتر** أن يردها إليها فوافق **بلوتو** على أن تقضى مع أمها ثلث العام وأن تقضى معه الثلث الثانى، وأن تترك لشأنها الثلث الأخير. وذلك بعد أن أغراها بأن تأكل من ثمرة رمان من رمان العالم الآخر فتحتم عليها أن تبقى فيه بعض الوقت، فضلاً عن أن الأرض كانت تصاب فلا تزرع وتثمر عندما تكون **بيرسيفونى** فى العالم السفلى، فإذا عادت إلى سطح الأرض ازدهرت الحياة من جديد. (المترجم)

(٣) انظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء التاسع، إبجرامة رقم ٥٤٠. [المراجع]

(فقرة ١٧)

وهناك خمسة أشخاص يحملون اسم **هيراقليطوس**: أولهم، فيلسوفنا الذى نتحدث عنه، وثانيهم شاعر غنائى نظم نشيد مديح "*enkômion*" عن آلهة (الأوليمبوس) الإثنى عشر، وثالثهم شاعر من مدينة هاليكارناسوس[١] كان ينظم أشعاره فى البحر الإليجى[٢]، ألف فى رثائه الشاعر (السكندرى) كاليماخوس الإبجرامة التالية[٣]:

> **"أى هيراقليطوس، لقد حمل إلى شخص نبأ وفاتك، ففاضت عيناى بدمع غزير، إذ تذكرت كم من مرة بأحاديثنا سويًا جعلنا الشمس تجنح للمغيب. والآن! ها أنت أيها الوافد من هاليكارناسوس ترقد حفنة من تراب عفا عليه الزمن فى مكان ما. لكن (أصوات) عنادلك الشجية ستظل دومًا حية، لأن هاديس مختطف كل شىء، لن يتمكن من أسرها فى قبضته"[٤].**

---

(١) هاليكارناسوس "Halicarnassos" مدينة قديمة من مدن آسيا الصغرى فى مواجهة جزيرة قوص "Kôs"، وهى موطن المؤرخ **هيرودوتوس**. (المترجم)

(٢) كان البحر الإليجى مكونا – كما سبق القول – من وحدة شعرية تتألف من بيتين: أولهما فى البحر السداسى والثانى فى البحر الخماسى. وكان هذا البحر مخصصًا فى مبدأ الأمر للرثاء وللقبريات التى كانت توضع على شواهد قبور من رحلوا عن الحياة، ثم أصبح بحرًا معبرًا عن شتى الأحاسيس الإنسانية. [المراجع]

(٣) انظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ٨٠. [المراجع]
وقد سبق لنا نشر ترجمة أقدم لهذه الإبجرامة فى كتابنا: الأدب السكندرى، دار الثقافة للنشر، القاهرة (١٩٨٥)، ص١٣٧. [المراجع]

(٤) هذه هى أشهر إبجرامة رثاء على الإطلاق فى رأى النقاد والباحثين المحدثين. وهناك من يعتقد أن كلمة "*aedones* = عنادل أو عنالب" تشير إلى عنوان لأحد مؤلفات هذا الشاعر =

أما رابعهم، فهو شخص من جزيرة ليسبّوس انبرى لتـــدوين التـــاريخ المقدونـى؛ وأما خامسهم، فهو مهرج من البهاليل "*spoudogeloios*"، امـــتهن هذه المهنة بعد أن كان قبلها عازف قيثارة.

= وعلى أى حال، فإن ديوجينيس لائيرتيوس يستحق الشكر منا لأنه كان له الفضل فى حفظ هذه الإبجرامة الرائعة للأجيال التالية. [المراجع]

الفصل الثاني

اكسينوفانيس "Xenophanês"

(٥٧٠ - ٤٧٨ ق. م.)

(فقرة ١٨)

اكسينوفانيس بن ديكسيوس "Dexios"، أو ابن **أورثومينيس** "Orthomenês"- وفقًا لما يذكره لنا **أبولودوروس** - هو مواطن من مدينة كولوفون. ولقد أثنى عليه **تيمون** - على أى حال - بالكلمات التالية:

"إنه اكسينوفانيس الذى لم يكن مختالاً فخورًا أو مزهوًا، بل كان منتقدًا لأشعار هوميروس الزاخرة باللغو والخيال".

ولقد تم نفى **اكسينوفانيس** من وطنه ومسقط رأسه، فأقام بعدها فى مدينة زانكلى "Zanklê" بجزيرة صقلية[1] [كما عاش أيضًا فى المستعمرة التى أقيمت فى مدينة إيليا "Elea"، حيث قام بالتدريس هنالك]، وأقام أيضًا فى مدينة كاتانا "Katana". وتبعًا للبعض فإن **اكسينوفانيس** لم يتتلمذ على يد أى أستاذ، ولكن هناك نفرًا آخر يعتقد أنه كان تلميذًا لأستاذ أثينى يدعى **بوتون** "Botôn"[2]، وتبعًا لنفر آخر فإن أستاذه كان **أرخيلاؤوس**

---

(١) يوجد بعد هذه الجملة جزء مفقود من النص قام الأستاذ ديلز "Diels" الذى نشر المخطوطة بإكماله على النحو الذى قمنا بترجمته بين قوسين مربعين، وهذا الجزء على النحو التالى [المراجع]:

"<*dietribe kai tês eis Elean apoikias koinônêsas edidasken ekei*>".

(٢) ربما كان بوتون هذا هو ذاته الأستاذ الذى علم ثيرامينيس "Theramenês" الريطوريقا. ولو صح هذا فإن ديوجينيس لائيرتيوس يكون قد نسب لإكسينوفانيس اقتطافًا كان مخصصًا للفيلسوف إكسينوفون. [المراجع]

"Archelaos". ووفقا لما يخبرنا به **سوتيون**، فإن **اكسينوفانيس** كان معاصرًا للفيلسوف **أناكسيماندروس** "Anaximandros". ولقد نظم **اكسينوفانيس** مؤلفاته فى البحور الخاصة بالملاحم وكذا فى البحرين الإليجى والإيامبى، وشن فيها هجومًا على كل من **هيسيودوس وهوميروس**، كما شجب ما قالاه فى حق الآلهة. وفضلاً عن ذلك، فقد اعتاد **إكسينوفانيس** أن يرتل قصائده التى نظمها. ويقال إنه كان يعارض كل من **طاليس وفيثاغورث**، وإنه كان يهاجم **إبيمينيداس** "Epimenidas"[١] ويسلقه بألسنة حداد. ولقد عاش **إكسينوفانيس** عمرًا بالغ الطول كما تشهد على ذلك كلماته التى قالها فى موضع آخر[٢]:

(فقرة ١٩)

"ها قد مضت الآن فترة سبعة وستين عامًا،

تقلبت فيها اهتماماتى وأنا أعيش فى بلاد اليونان.

كذلك انصرمت قبلها وبالإضافة إليها خمس وعشرين حولاً منذ مولدى، إلى أن قدر لى أن أعرف كيف أتحدث حقًا وصدقًا عن هذه الأمور"[٣].

(١) **إبيمينيداس** شاعر أسطورى قديم من جزيرة كريت، يقال إنه استغرق فى نوم عميق عندما كان صبيًا لمدة ٥٧ عامًا وأنه عاش عمرًا مديدًا. ويروى أنه زار مدينة أثينا فى عصر الحكيم **صولون**، ومن ثم يكون قد عاش حتى النصف الأول من القرن السادس ق. م. ولقد نسب إليه تأليف قصيدة باسم الثيوجونيا (أنساب الآلهة)، وهى قصيدة منظومة فى البحر السداسى، وكذا أعمال أخرى. وهو صاحب مغالطة الكذاب الشهيرة التى ذكرت أعلاه والتى تبدأ بالعبارة "Krêtes aei pseustai = الكريتيون دائمًا كاذبون". [المراجع]

(٢) انظر الشذرة رقم 8 D ، وفقا للنص الذى نشره الأستاذ ديلز. [المراجع]

(٣) وبناء على ما ورد فى هذه الشذرة، يكون الفيلسوف **اكسينوفانيس** قد عاش زهاء اثنين وتسعين عامًا. [المراجع]

ويذهب **اكسينوفانيس** إلى أن الكائنات مكونة من أربعة عناصر "*stoicheia*"، وإلى أن العوالم "*kosmoi*" لا متناهية "*apeiroi*" في العدد، ولكنها غير متداخلة في الزمان. وإلى أن السحب "*ta nephew*" تتكون عندما يُحمل البخار الذى تصنعه الشمس إلى أعلى ويرفعها إلى (الهواء) المحيط بها. وإلى أن جوهر "*ousia*" الإله كروى الشكل "*sphairoeidês*"، وأنه لا يشبه الإنسان على أى صورة. وإلى أن الله هو البصر الخالص وهو السمع الخالص، غير أنه لا يتنفس. وإلى أن الله هو العقل الكلى أو الشامل، وهو الفكر، وإلى أنه سرمدى. وكان **اكسينوفانيس** هو أول من أعلن أن كل شيء يُوجد أو يُخلق محكوم عليه بالفناء، وأن الروح هى النَفَس أو التنفس "*pneuma*"[(١)].

(فقرة ٢٠)

ولقد قال **اكسينوفانيس** أيضا: إن العقل يقصر عن إدراك كنه غالبية الموجودات؛ وإن المقابلات مع الطغاة ينبغى أن تكون قليلة قدر الإمكان أو بهيجة قدر الإمكان. وعندما أعلن الفيلسوف **إمبيدوقليس** "Empedoklês" أن من المحال العثور على رجل حكيم، قال اكسينوفانيس: **"إن هذا أمر طبيعي، لأنه يلزم وجود شخص حكيم لكى يتعرف على رجل حكيم!"**. ويخبرنا **سوتيون** بأن اكسينوفانيس كان أول

---

(١) من المعتقد أن الشاعر الصقلى إبيخارموس "Epicharmos" قد تبعه فى هذا الرأى حينما قال: "لقد كان تقيًا ورعًا فى فكره وعقله، حيث إنه لم يكابد أى شر بعد وفاته. أما نفسه "*pneuma*" فسوف يظل شامخًا يرتفع إلى عنان السماء". انظر:
Fr. 22. apud Clemens. Stromata, iv. 170, p. 640 P. [المراجع]

من صرح بأنه لا يمكن الإحاطة بجميع الأشياء، غير أن **سوتيون** قد جانبه الصواب في هذا القول[1].

ولقد نظم **اكسينوفانيس** قصيدة بعنوان "تشييد مدينة كولوفون *"Kolophônos ktisis"*، وقصيدة أخرى عنوانها "إنشاء مستعمرة في مدينة إيليا بإيطاليا *"ho eis Elean tês Italias Apoikismos"*، وهما قصيدتان نظِمَت كلتاهما من ألفي بيت في البحر الملحمي. ولقد ازدهر **إكسينوفانيس** إبان الفترة الأوليمبية الستين (أي خلال الأعوام ٥٤٠ – ٥٣٧ ق. م). ويخبرنا **ديمتريوس** الفاليرى في كتابه المسمى **عن الشيخوخة** *"peri Gêrôs"*، وكذا **بانايتيوس** "Panaitios" الفيلسوف الرواقي في كتابه المسمى **عن الابتهاج** *"peri Euthymias"*، بأن **اكسينوفانيس** قد قام بدفن أبنائه بيديه كما فعل **أناكساجوراس** فيما بعد[2]. ويبدو أن **اكسينوفانيس** قد بيع في سوق الرقيق كعبد على يد..... [وأنه قد جرى عتقه] على يد كل من الفيلسوفين الفيثاغورثيين **بارمينيسكوس** "Parmeniskos" **وأوريستاديس** "Orestadês"، وذلك وفقا لما يخبرنا به **فابورنيوس** في الجزء الأول من كتابه المسمى "الذكريات". وهناك شخص آخر يحمل اسم **اكسينوفانيس**، وهو شاعر كان ينظم الشعر الإيامبي[3] من جزيرة ليسبّوس.

وكان هؤلاء هم الفلاسفة الفرادى *"hoi sporadên"*.

---

(١) من التسرع أن نستنتج من هذه الملاحظة الوحيدة التي أبداها ديوجينيس لانيرتيوس أن سوتيون – الذي يعتبر أن اكسينوفانيس واحد من الفلاسفة الشكاكين – لم يضمه من حيث النشأة إلى فلاسفة المدرسة الفيثاغورثية من خلال الفيلسوف الفيثاغورثي تيلاوجيس الذي سبق ذكره. [المراجع]

(٢) قارن الجزء الثاني، فقرة رقم ١٣ أعلاه، المجلد الأول، المشروع القومي للترجمة، رقم ١٠٣٣، ص ص ١٣٧ – ١٣٨. [المراجع]

(٣) كان البحر الإيامبي *"iamboi"* يتكون من ست تفعيلات تتكون كل واحدة منها من مقطع قصير يليه مقطع طويل. وكان هذا البحر يستخدم غالبا في الهجاء في مبدأ الأمر، ثم صار يستخدم في الأجزاء الحوارية في الشعر الدرامي. [المراجع]

الفصل الثالث

بارمينيديس "Parmenidês"

(ازدهر نحو عام ٥٠٠ ق. م.)

(فقرة ٢١)

كان **بارمينيديس بن بيريس** "Pyrês" – وهو مواطن من إيليا "Elea" – تلميذًا للفيلسوف **اكسينوفانيس** "Xenophanês" ، (وإن كان **ثيوفراسطوس** فى كتابه المسمى "**المختصر** *Epitomê*" يعلن أنه كان تلميذًا للفيلسوف **أناكسيماندروس** Anaximandros). وعلى الرغم من أن **بارمينيديس** قد تتلمذ على يد الفيلسوف **اكسينوفانيس**(١)، فإنه لم يتبع منهجه وطريقته، ذلك أنه خالط الفيلسوف الفيثاغورثى **أمينياس** "Ameinias" بن ديوخايطاس "Diochaitas"، على نحو ما ذكره لنا **سوتيون**(٢). وكان **أمينياس** هذا رجلاً فقيرًا رغم كونه رجلاً خيرًا ونبيلاً. ومن ثم فقد كان **بارمينيديس** يتبع بالأحرى منهج **أمينياس** هذا، وعندما حضرته الوفاة شيد له **بارمينيديس** ضريحًا (على نفقته)، حيث إنه كان سليل أسرة نبيلة وشهيرة وكان واسع الثراء. وفضلاً عن ذلك، فقد كان **أمينياس** – وليس **اكسينوفانيس** – هو الذى جعله ينعم بحياة يلفها الهدوء وتغمرها السكينة (وهو يطلب العلم).

---

(١) يعتبر الأستاذ ديلز "Diels" أن هذه الجملة الواقعة بين قوسين دائريين عبارة عن حاشية دونها أحد الناشرين، وأنها تشير إلى إكسينوفانيس وليس إلى بارمينيديس. [المراجع]

(٢) ويتضح لنا أن سوتيون قد فصل بقوله هذا بين بارمينيديس وبين التتلمذ على يد اكسينوفانيس (قارن حاشية رقم ٢ فى الفقرة رقم ١٨ أعلاه). ولهذا، فإن الأستاذ ديلز "Diels" يقترح أن المرثية القبرية "*epitaph*" المذكورة عن الفلاسفة الفيثاغورثيين هى التى تظفر بالمصداقية التى يعول عليها فى هذا الصدد. [المراجع]

ولقد كان **بارمينيديس** هو أول من أعلن أن الأرض على شكل كـرة "*sphairoeidês*"، وأنها تقع فى منتصف (الكون)، وأن هناك عنصرين، هما: النار "*pyr*" والتراب "*gê*"، وأن العنصر الأول منهما هـو العنـصر الخـالق "*dêmiourgon*"، أما العنصر الثانى فهو المادة "*hylê*".

(فقرة ٢٢)

كما أعلن أن مولد الجنس البشرى قد نشأ من الشمس باعتبارها العلـة الأولى، وأن كلاً من الحـرارة "*to thermon*" والرطوبـة "*to psychron*" - وهما العنصران اللذان تتألف منهما جميع الموجودات - يسموان فوق الشمس ذاتها. كما أنه ذهب من ناحية أخرى إلى أن النفس "*psychê*" والعقل "*nous*" هما الشىء ذاته، على نحو ما يذكره **ثيوفراسطوس** فى كتابه "الفيزيقا" الذى جمع فيه تقريبًا معتقدات (المدارس الفلسفية) كافة. ولقد أعلن **بارمينيديس** أن الفلسفة تنقسم إلى قـسمين "*dissê*"، يتعلـق القـسم الأول منهمـا بالحقيقـة "*alêtheia*"، بينما يتعلق القسم الثانى بالظن "*doxa*". ومن هنا فهو يقول فـى موضع ما[١]:

> **"إنك لا بد محتاج إلى الاستوثاق من جميع أنواع المعارف،**
>
> **وكذا إلى التأكد من القلب الذى لا يهتز ولا يرتجف للحقيقـة التى تغرى بالإقناع،**
>
> **وأيضًا من ظنون البشر الفانين التى لا يمكن التعويـل علـى صدقها!"[٢].**

---

(١) انظر الشذرة D 1.23 من أعماله التى نشرها الأستاذ ديلز "Diels" . [المراجع]

(٢) تعرض نص الفيلسوف **بارمينيديس** لكثير من التحوير والتغيير على مدار الزمن، ففى هـذا الموضع، نجد أن **ديوجينيس لائيرتيوس** – مثله فى ذلك مثل الفيلسوف الرومانى **سكستوس**=

ولقد صاغ فيلسوفنا معتقداته الفلسفية شعرًا، على نحو ما فعل كل من **هيسيودوروس، وإكسينوفانيس وإمبيدوقليس** "Empedoklês". كما أعلن أن المنطق "*logos*" هو المعيار "*kritêrion*"، وأن الأحاسيس "*aistheseis*" غير متصفة بالدقة "*akribeis*". وكلماته في هذا الصدد كما يلي(١):

"لا تدع الألفة وطول المراس يدفعانك إلى ارتياد هذه الطريق بعين لاهية لا تبصر أو بسمع يردد الصدى ولسان (لا يفقه)، بل احكم بعقلك وفند بفهمك ما اختلف عليه الناس وتشاحنوا كثيرًا".

(فقرة ٢٣)

ومن هنا، فإن تيمون(٢) (الهجّاء) يقول عنه ما يلي(٣):

"وكذا قوة بارمينيديس ذى الفكر السامى الذى لم يكن من ذوى الظنون الكثيرة،

الذى أنتج أفكارًا وجعلها تحل محل خداع الخيالات والتصورات!".

= **إمبريكوس** "Sextus Empiricus" ومثل **بلوطارخوس** – يقرأ فى البيت الثانى من هذه الشذرة العبارة " *eupeitheos atrekes*" التى تعنى "الحقيقة التى تغرى بالإقناع". ولكن **بروقلوس** "Proclus" يقرأها بعد انصرام قرنين من الزمان "*euphengeos*" التى تعنى "الحقيقة اللامعة أو البراقة". أما **سيمبليكيوس** "Simplicius" – فى عمله المسمى "عن السماء *De caelo*" – فيساعدنا فى أن نمضى قدمًا فى فهم المغزى الحقيقى لما يريده **بارمينيديس** عن طريق إيراد أفضل قراءة، وهى "*eukykleos*" التى تعنى "الحقيقة الدائرية الطيعة". [المراجع]

(١) انظر الشذرة D 1.34 من أعماله التى نشرها الأستاذ ديلز. [المراجع]

(٢) انظر ديوان القصائد الهجائية "*Silloi*" للشاعر تيمون الشكاك، فقرة D 44 . [المراجع]

(٣) قارن ملحمة الأوديسية للشاعر هوميروس، النشيد الحادى عشر، البيت رقم ٦٠١. [المراجع]

ولقد ألف عنه **أفلاطون** محاورة بعنوان "بارمينيديس" وهـــى معروفـــة أيضًا بعنوان آخر هو "عن المُثل *Peri ideôn*".

ولقد ازدهر **بارمينيديس** إبان الفترة الأوليمبية التاسعة والستين (أى من عام ٥٠٤ – ٥٠٠ ق. م). ولقد ساد اعتقاد أنه كان أول من اكتـــشف كنـــه نجمة المساء "*Hesperos*" ذاتها، وكذا "نجمة الصباح "*Phôsphoros*"، علـــى نحو ما يخبرنا **فابورنيوس** فى الجزء الخامس من كتابه المسمى "الذكريات". وينسب بعض ذلك (الاكتشاف) إلى الفيلسوف **فيثـــاغورث**، فـــى حـــين أن **كاليماخوس** يذهب إلى القول بأن القصيدة التى يدور حولها الحديث ليست من تأليف (فيثاغورث). ويقال إن **بارمينيديس** كان مشرعًا للقوانين من أجل بنى وطنه، على نحو ما يخبرنا **سبيوسيبّوس** "Speusippos" فـــى كتابـــه "عـــن الفلاسفة". كذلك كان **بارمينيديس** أول من استخدم الحجة الجدلية المعروفـــة باسم "أخيليوس (والسلحفاة)" (١)، على نحو ما يذكره **فابورنيوس** فى كتابـــه المسمى "أمشاج من التاريخ".

وهناك شخص آخر يحمل اسم **بارمينيديس**، وهو ريطوريقى ألف كتابًا فى فن الريطوريقا.

---

(١) هذه إحدى الحجج الأربع التى استخدمها زينون الإيلى، تلميذ بارمينيديس، فى معرض إبطال الحركة، إلى جانب الحجج التالية:
- حجة الملعب: لا يمكنك اجتياز الملعب.
- حجة السهم: لا يمكن للسهم أن يتحرك.
- حجة الأجسام الثلاثة.

راجع كتاب الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى "فجر الفلـــسفة اليونانيـــة"، ص ص ١٥١ – ١٥٢. (المترجم)

الفصل الرابع

ميليسّوس "Melissos"

(فقرة ٢٤)

كان **ميليسّوس** بن **إيثايجينيس** "Ithaigenês" مواطنًا من (جزيرة) ساموس، وكان تلميذًا **لبارمينيديس**. وفضلاً عن ذلك، فقد ارتبط بعلاقة صداقة مع **هيراقليطوس**، وذلك حينما انبرى **ميليسّوس** للتوصية عليه لدى أهل إفيسوس الذين كانوا لا يعرفونه[١]، على نحو ما فعله **هيبوقراطيس** مع **ديموقريطوس** لدى أهل أبديرا. ولقد أصبح **ميليسّوس** واحدًا من رجالات السياسة ونال ثقة مواطنيه ولقى القبول والاستحسان منهم. ومن هنا تم اختياره قائدًا للأسطول "*nauarchos*" وحاز الإعجاب أكثر من أى شخص آخر بسبب جدارته واستحقاقه.

وكان من رأيه أن الكون "*to pan*" غير محدود "*apeiron*" وغير متغير "*alloiôton*" وغير متحرك "*akinêton*"، وأنه واحد "*hen*" ومتماثل مع ذاته "*homoion heautô*" وزاخر "*plêres*" بالمادة. كما كان يذهب إلى أنه ليست هناك حركة "*kinesis*" حقيقية، بل هى ظاهرية "*dokein einai*". وفضلاً عن ذلك، فقد كان من عادته أن يقول: إنه لا ينبغى علينا أن نتقول بمقولات عن الآلهة، نظرًا لأن معرفتهم غير ممكنة بالنسبة إلينا.

ويخبرنا **أبولّودوروس** بأن **ميليسّوس** قد ازدهر إبان الفترة الأوليمبية الرابعة والثمانين (أى فى الفترة من ٤٤٤ – ٤٠٠ ق. م).

---

(١) قارن الفصل الأول من هذا الجزء، الفقرة رقم ١٥ أعلاه. [المراجع]

الفصل الخامس

زينون الإيلى "Zênôn Eleatês"

(فقرة ٢٥)

كان **زينون** مواطنًا من مدينة إيليا "Elea". ويخبرنا **أبولّودوروس** فى كتابه المسمى التقويم الزمنى "*Chronika*" بأنه ابن **طيليوطاجوراس** "Teleutagoras" بالمولد "*physei*"، ولكنه ابن **بارمينيديس بالتبنى** "*thesei*"، وأن **بارمينيديس** كان ابنًا لشخص يدعى **بيريس** "Pyrês". ويتحدث (الكاتب الساخر) **تيمون** عن كل من **زينون** (الإيلى) **وميليسّوس** على النحو التالى[١]:

> **"وكذا القوة العظيمة التى يحظى بها زينون القادر على إفحام الفريقين وعلى انتقاد الناس كافة، وهى قوة لا سبيل إلى إضعافها أو الحد منها، ومعه ميليسّوس أيضًا الذى يسمو بمهارته على جميع التصورات الجوفاء (للفلاسفة) ولا يبزه سوى نفر قليل".**

كان **زينون** (الإيلى) إذن تلميذ **بارمينيديس** (الوفى) كما كان صديقه الحميم. وكان مديد القامة "*eumêkês*"، على نحو ما يرويه لنا أفلاطون فى محاورة **بارمينيديس**[٢]. كما يتحدث عنه **أفلاطون** نفسه فى محاورة **السوفسطائى**[٣] "*Sophistês*" وكذا فى محاورة

---

(١) انظر ديوان "القصائد الساخرة *Silloi*" للشاعر تيمون الهجّاء والفيلسوف الشكّاك، شذرة رقم ٤٥ د. وقارن أيضًا: هوميروس، الإلياذة، النشيد ٢٣، بيت رقم ٨٢٧؛ النشيد الخامس، بيت رقم ٧٨٣. [المراجع]

(٢) انظر أفلاطون، محاورة بارمينيديس، فقرة ١٢٧ ب. [المراجع]

(٣) انظر أفلاطون، محاورة السوفسطائي، فقرة ٢١٦ أ . [المراجع]

فايدروس[1] "*Phaidros*"، ويطلق عليه لقب **بالاميديس**[2] الإيلى " *Eleatikos Palamêdês*". ويذكر لنا **أرسطو** أن (زينون الإيلي) هو مكتشف فن الديالكتيكا (الجدل الفلسفى)، بمثل ما كان **إمبيدوقليس** هو مبتكر فن الريطوريقا.

(فقرة ٢٦)

ولقد كان زينون (الإيلى) رجلاً فائق النبل سواء فى مجال الفلسفة أو فى مضمار السياسة. وعلى أى حال، فإن كتبه (التى بقيت لنا) زاخرة بكثير من الحصافة والحكمة. ومن ناحية أخرى، نجد أنه كان ضالعًا فى مؤامرة للإطاحة بالطاغية **نيارخوس** "Nearchos" (ويقول آخرون إنه كان ضالعًا فى مؤامرة للإطاحة بالطاغية **ديوميدون** Diomedôn)، ولكن تم القبض عليه، على نحو ما يخبرنا به **هيراقليديس** فى كتابه المختصر "*Epitomê*" عن **ساتيروس**. وإثر هذا جرى استجوابه لمعرفة شركائه (فى الجريمة)، ولمعرفة الأسلحة التى قام بحملها إلى مدينة ليبارا "Lipara"، فانبرى للإبلاغ عن جميع أصدقاء الطاغية، وكان يرمى من وراء ذلك إلى عزله وتجريده (من كل دعم). ثم أعلن أن هناك أمرًا يود أن يسر به فى أذن الطاغية عن طائفة من الأشخاص، بعدها أنشب أسنانه فى أذن الطاغية ولم يتركها إلا بعد أن قاموا بطعنه (حتى لقى حتفه)، فلقى المصير ذاته الذى كابده **أريسطوجيتون** "Aristogeitôn" قاتل الطاغية **بيسستراتوس**.

---

(١) انظر أفلاطون، محاورة فايدروس، فقرة ٢٦١ د. [المراجع]

(٢) كان بالاميديس واحدًا من أبطال حرب طروادة، وكان عبقريًا ألمعيًا، روى عنه أنه ابتكر عددًا من الحروف الأبجدية، كما اخترع لعبة الداما. وكان هو الذى كشف تصنع أوديسيوس للجنون بغية التنصل من الاشتراك فى حرب طروادة. ولذا انتقم منه أوديسيوس بأن زيف خطابًا زعم أنه مرسل من لدن برياموس، ملك طروادة، يقول فيه إنه قد منح بالاميديس مقدارًا من الذهب كى يقنعه بخيانة الإغريق. ودبر أوديسيوس أمر إخفاء الذهب فى خيمة بالاميديس، وحينما وجد الذهب فيها قام الإغريق برجم بالاميديس حتى الموت. [المراجع]

(فقرة ٢٧)

ويخبرنا **ديمتريــوس** فى كتابه المسمى الرجال الذين يحملون الاسم ذاته "*Hoi Homônymoi*" بأن **زينون الإيلى** لم ينــشب أســنانه فــى أذن الطاغية بل فى أنفه. أما **أنتيستينيس**، فيقول فى كتابه المــسمى تعاقــب الفلاسفة "*Hai Diadochai*" إن **زينون الإيلى** قد سئل من قبل الطاغيــة- بعد أن قام بالإبلاغ عن أصدقاء الطاغية المتآمرين ضده – عما إذا كــان هناك شخص آخر ضالع فى المؤامرة، فأجاب بقوله : "**أجل! إنه أنت، يا لعنة المدينة!**". ثم خاطب الواقفين حوله بقوله: "**إننى مندهش من جبــنكم وتخاذلكم، ومن أنكم ترضوا) أن تظلوا عبيدًا للطاغية بسبب خوفكم من تلك التصرفات التى أكابدها الآن!**". وفى خاتمة المطاف قام **زينون الإيلى** بعض لسانه ثم أقدم على البصق فى وجه الطاغية. وهنا اندفع المواطنون وبادروا من فورهم برجم الطاغية بالحجارة حتى لقى حتفــه(١). ويتفــق غالبية الكُتّاب تقريبًا على هذه الرواية ذاتها، وإن كان **هيرميبّوس** يــذكر لنا أنه قد تم قذف **زينون الإيلى** فى هاون حيث أشبع ضربًا حتى الموت.

(فقرة ٢٨)

ولقد نظمتُ فى معرض تكريمه الإبجرامة التالية(٢):

---

(١) هذه الميتة البطولية التى لاقاها **زينون الإيلي**، وهذا التحدى الذى واجه بــه الطاغيــة كانــا موضوعًا انبرى لتدوينه كتّاب كثيرون مختلفو المشارب والميول. ومنهم على ســبيل المثــال كاتب السير **بلوتارخوس** الذى وضعه فى عدد من أعماله فى مصاف **ســقراط** و**فيثــاغورث** و**أنطيفون**. قارن أيضًا: كليميس السكندري، الطبقات، الجزء الرابع، فقرة ٥٧. [المراجع]

(٢) انظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ١٢٩. [المراجع]

"لقد أردت، يا زينون – وكانت رغبتك سامية نبيلة – أن تقتل الطاغية، وأن تحرر مدينة إيليا من ربقة الاستعباد.

ولكن تم إخضاعك وسحق إرادتك، فلقد قبض عليك الطاغية

وكال لك الضربات فى الهاون. ولكن ما هذا الذى أتفوه به؟

فإنه لم يضرب منك سوى الجسد، أما أنت فقد استعصيت عليه!".

ولقد كان **زينون** (الإيلى) فى الجوانب الأخرى شخصًا نبيلاً (حقًا)، كما كان يكن الازدراء للأشخاص المتعالين المختالين بطريقة مماثلة لطريقة هيراقليطوس. فعلى سبيل المثال، نجد أنه أحب مسقط رأسه الذى كان مستوطنة فوكية – كانت تعرف فيما مضى باسم هييلى "Hyelê" ثم أصبحت فيما بعد تسمى إيليا، وهى مدينة ذات حجم متوسط "*eutelês*" ولكن أُثِر عنها أنها تربى صناديد الرجال– احبه بأكثر مما أحب فخامة مدينة الأثينيين وروعتها؛ ولذا فإنه لم يقطن قط بين ظهرانيهم (فى مدينة أثينا)، بل فضل العيش طوال حياته فى وطنه.

(فقرة ٢٩)

وكان **زينون الإيلى** هو أول من انبرى لطرح الحجة المنطقية "*logos*" المعروفة باسم "حجة أخيليوس" – التى عزاها **فابورنيوس** إلى **بارمينيديس** – كما انبرى لطرح حجج منطقية أخرى من الكثرة بمكان. وكانت الآراء التى تلقى هوى فى نفسه على النحو التالى:

– هناك عوالم (شتى)، ولكن ليس ثمة مكان خاو فيها.

- يتكون جوهر كل الموجودات من الحرارة والبرودة ومن الجفاف والرطوبة، ويحدث التغير فيما بينها من عنصر إلى آخر بطريقة تبادلية.

- بدأ خلق الإنسان من التراب، وتشكلت النفس من مزيج من العناصر المذكورة سلفًا، حيث لا تكون السيادة لعنصر واحد منها على باقى العناصر.

وهم يقصون علينا أنهم حينما سخروا ذات مرة من زينون الإيلى وأحس بالإهانة، شعر بحنق وغيظ شديدين، وأنه قال ردًا على شخص لامه على ذلك التصرف ما يلى:

"لو أننى تظاهرت بعدم الاكتراث فى مواجهة شخص سخر منى واستهزأ بى، فلا ريب أننى لن أشعر أو أحس حينما يكال الثناء علىَّ"[(١)].

ولقد سبق لنا أن ذكرنا فى معرض حديثنا عن الفيلسوف **زينون** من كيتيون أن هناك ثمانية أشخاص كانوا يحملون اسم **زينون**. ولقد ازدهر فيلسوفنا زينون الإيلى إبان الفترة الأوليمبية التاسعة والسبعين (أى خلال الفترة من ٤٦٤ - ٤٦٠ ق.م).

---

(١) وهناك إجابة مماثلة لهذه الإجابة تنسب إلى الفيلسوف **إمبيدوقليس**، وردت فى المخطوطة الباريسية التى تحتوى على مجموعة من الحكم والأقوال المأثورة "Gnomologion Parisinum"، وذلك تحت رقم ١٥٣. [المراجع]

الفصل السادس

ليوقيبّوس "Leukippos"

(فقرة ٣٠)

كان ليوقيبّوس من مدينة إيليا، وتبعًا لما يقوله نفر من الباحثين، فإنه كان من مدينة أبديرا "Abdêra"، وهناك نفر ثالث منهم يذكر أنه كان من مدينة ميليتوس "Milêtos" (ملطية). وكان تلميذاً من تلاميذ الفيلسوف زينون (مؤسس المدرسة الرواقية). وكانت الآراء التي تصادف هوى في نفسه على النحو التالي:

- الموجودات على وجه الإجمال لا محدودة "*apeira*"، وجميعها تتغير بعضها إلى بعض آخر.
- الكل "*to pan*" يشتمل على الفراغ "*kenon*" وعلى الامتلاء "*plêres*" (المؤلف) من الذرات "*sômata*"(١).
- العوالم "*kosmoi*" قد تشكلت عندما هوت الذرات "*sômata*" في الفراغ "*kenon*"، والتحم "*periplokomena*" بعضها مع بعض آخر؛ وينشأ جوهر النجوم من حركتها عندما تزداد كتلتها.
- الشمس تدور في دائرة أكبر حجمًا حول القمر.

---

(١) الفراغ عند ليوقيبّوس يعني المكان، أما الامتلاء فيعني المادة أو الذرات. ونلاحظ هنا أن ليوقيبّوس يستخدم كلمة "*sômata*" للإشارة إلى الذرات التي شكلت قوام المادة، لكنه يستخدم كلمة "*atomoi*" للإشارة إلى الذرات بصورتها الأولى قبل اندماجها لتشكيل المادة. [المراجع]

- الأرض تنطلق فى الفضاء بثبات واطراد، وتلف بسرعة حول مركزها "*to meson*"، وشكلها "*schema*" أشبه ما يكون بالطبلة "*tympanôdes*".

- وكان ليوقيبّوس أول من جعل الذرات "*atomoi*" هى المبادئ الأولى "*archai*".

كانت تلك هى خلاصة "*kephalaiôdôs*" آرائه؛ أما تفاصيلها "*epi merous*"، فهى على النحو التالى:

(فقرة ٣١)

على الرغم من أن ليوقيبّوس أعلن أن الكل لا محدود "*apieron*"– كما سبق أن ذكرنا – فإن هناك جزءًا (من هذا الكل) قوامه الامتلاء وجزءًا آخر قوامه الفراغ؛ وهو يطلق على هذين الجزءين اسم العناصر "*stoicheia*". ومن هذه العناصر تتشكل العوالم – التى هى غير محدودة – ثم تتحلل (تارة أخرى) إليها، وتلك هى الكيفية التى تشكلت وفقًا لها العوالم. وفى قسم "*apotomê*" معين منها توجد ذرات "*sômata*" كثيرة من كل نوع من الأشكال والصور "*schemata*" يتم حملها من اللا محدود إلى الفراغ الشاسع، حيث تتجمع هذه الذرات لتؤلف دوامة "*dine*" واحدة. وفى هذه الدوامة تتصادم "*proskrouonta*" (هذه الذرات) بعضها مع بعض آخر، وتدور فى دوائر وحلقات "*kykloumena*" من كل نوع وصنف "*pantodapôs*"، بطريقة منفصلة حيث تتجمع المتشابهات منها مع المتشابهات. ونظرًا لكثرة هذه الذرات كثرة بالغة لدرجة أنها تغدو غير قادرة على الدوران باتزان، فإن الذرات الخفيفة "*ta lepta*" منها تنتقل إلى الفراغ الخارجي، كما لو كانت خاضعة لهبوب الريح أو كما لو كانت تذرى بمذراة "*diattômena*".

أما ما تبقى "*ta loipa*" من الذرات فيظل معًا "*symmenein*" ويلتحم معًا "*periplekomena*"، ويجرى فى مساره بسرعة "*synkatatrechein*" بعضه مع بعض آخر، حيث يشكل نظامًا أوليًا كرويًا "*sphairoeides*".

(فقرة ٣٢)

وينقسم هذا النظام بمثل انقسام الغشاء "*hymen*" الذى يحتوى بداخله على الذرات "*sômata*" التى هى من كل نوع وصنف. وكلما دارت "*peridinoumena*" هذه الذرات حول نفسها بفعل المقاومة الشديدة "*antereisis*" للمركز، أصبح الغشاء المحيط بها أكثر رقة ونحافة "*leptos*". أما الذرات المتدفقة المتاخمة "*syrroenta*"، فتواصل تجمعها معًا وتراكمها عندما تلامس "*kat' epipsausin*" الدوامة "*dine*". وبهذه الكيفية تشكلت الأرض عن طريق مقادير محددة قدر لها الالتحام معًا والاندماج مع المركز. ومن جديد، فإن الغشاء المحيط يغدو أكبر حجمًا "*auxesthai*" بفعل تدفق "*epekkresis*" الذرات من الخارج "*exôthen*". ولما كان هذا الغشاء محمولاً بواسطة الدوامة، فإنه يكتسب ويضيف إلى ذاته كل ما يقدر له أن يلمسه "*epipsausê*" من ذرات. ومن بين هذه الذرات هناك مقادير معينة تلتحم معًا "*symplekomena*" لتشكل كتلة أو نظامًا "*systêma*"، تكون فى البداية بالغة الرطوبة "*kathygron*" أشبه ما تكون بالطمى "*pêlôdes*". لكنها عندما تجف "*xêranthenta*" وتدور مع الدوامة الكونية "*tou holou*"، فإنها تتحول فيما بعد إلى نار "*ekpyrôthenta*" وتشكل جوهر النجوم "*ta astra*".

(فقرة ٣٣)

ومدار "*kyklos*" الشمس هو المدار الأقصى بعدًا عن الأرض، أما مدار القمر فهو الأدنى قربًا منها، وأما مدارات الأجرام السماوية الأخرى فتقع بين

هذين المدارين. وجميع النجوم تـصبح نـارًا "*pyrousthai*" بفعـل سـرعة حركتها، أما النار المتأججة "*ekpyrousthai*" من الشمس فهى ناتجـة عـن النجـوم كذلك، وأما القمر فإنه لا يتخذ من النار إلا مقدارًا ضئيلاً. ويحـدث خسوف "*ekleipein*" الشمس وكسوف القمر عندما*******[1] ولكن ميـل "*loxôsis*" دائرة البروج "*zôdiakos*" ينشأ عند انحراف "*keklisthai*" الأرض تجاه الجنوب "*pros mesêmbrian*". أما منـاطق الـشمال "*ta pros arktô*"، فهى دائمًا مغطاة بـالثلوج "*niphesthai*" وشـديدة البـرودة "*katapsychra*" ومتجمدة "*pêgnysthai*". ولا يحدث خسوف الشمس إلا نادرًا، أمـا كـسوف القمر فمتكرر "*syneches*" الحدوث، ويرجع السبب فى ذلك إلى أن مـدارات كل منهما غير متساوية "*anisoi*". وحيث إن العالم له ميلاد "*geneseis*"، فمن ثم فإن له نماء وازديادًا "*auxêseis*" بمثل ما لـه ذبـول "*phthiseis*" وفنـاء "*phthorai*" بناء على ضرورة ما؛ غير أن لبوقيبـوس لم يوضح "*ou diasaphei*" كنه هذه (الضرورة).

(١) النجوم تشير إلى موضع تتعذر فيه قراءة نص المخطوطة. والنص المترجم أعلاه يسير وفق قراءة الأستاذ ديلز "Diels" الذى انبرى لنشر المخطوطة. قارن أيضًا:

T. L. Heath, Aristarchus, p. 122, note 3.

حيث يقترح الأستاذ هيث إضافة العبارة التالية: "عند انحراف مدارات النجوم". [المراجع]

الفصل السابع

ديموقريطوس "Dêmokritos"

(٤٦٠ – ٣٥٧ ق. م.)

(فقرة ٣٤)

ديموقريطوس هو ابن **هيجيسيستراتوس** "Hêgêsistratos"، على الرغم من أن هناك نفرًا من الباحثين يذكرون أنه ابن **أثينوقريطوس** "Athênokritos"، فى حين أن نفرًا آخر يزعمون أنه ابن **داماسيبّوس** "Damasippos". وكان **ديموقريطوس** مواطنًا من مدينة أبديرا[١] أو – تبعًا لما يذكره بعض – مواطنًا من مدينة ميليتوس (ملطية). وكان تلميذًا لمعلمين من المجوس "*Magoi*" أو من الكلدانيين "Chaldaioi". ذلك أن **أجزركسيس** (أخشورش) ملك (الفرس)– عندما كان ضيفًا على والد **ديموقريطوس** – ترك نفرًا من الرجال بوصفهم مسئولين عن المدينة، على نحو ما يروى (المؤرخ) **هيرودوتوس**[٢]. ولقد تعلم **ديموقريطوس** على يد هؤلاء الرجال – عندما كان لا يزال فى ميعة الصبا – قسطًا من معارفه عن اللاهوت والفلك.

---

(١) تقع مدينة أبديرا فى إقليم **ثراكيا (طراقيا)**، وتعد مهد المدرسة الذرية (أى التى تنادى بأن الذرة هى أصل جميع الكائنات). ولقد وقعت هذه المدينة فى يد الإمبراطور الفارسى **أجزركسيس**، ومكث بها فترة من الزمن أثناء تقهقره عام ٤٨٠ ق. م.، وفقًا لما يرويه **هيرودوتوس** فى تاريخه. ويقال إن **ديموقريطوس** قد تلقى العلم فى صباه على يد نفر من المجوس – كما هو واضح من النص أعلاه – كانوا بصحبة إمبراطور الفرس إبان مكوثه فى مدينة أبديرا. (المترجم)

(٢) يرى الأستاذ ديلز "Diels" أن هذه المعلومة الواردة فى هذا الجزء من الفقرة عبارة عن تفسير شخصى للمؤرخ **هيرودوتوس**، تم إيراده فى الجزء السابع من تاريخه، فقرة ١٠٧، وكذا فى الجزء الثامن، فقرة ١٢٠. [المراجع]

ثم من بعد ذلك أتيح لـه أن يلتقـى بالفيلسوف **ليوقيبـوس**، وكـذا بالفيلسوف **أناكساجوراس** كما يذكر بعض، وكان **ديموقريطوس** أصغر منـه سنًا بنحو أربعين عامًا. غير أن **فابورنيوس** – فى كتابه **أمشاج من التاريخ** *"Pantodapê Historia"* – يخبرنا بأن **ديموقريطوس** عنـدما تحـدث عـن **أناكساجوراس** أعلـن أن آراءه عن الشمـس والقمـر لم تكن من عندياتـه (أصيلة)، ولكنها كانت آراء قديمة (للغاية) بيد أنه سطا عليها وانتحلها.

(فقرة ٣٥)

ولقد انتقد **ديموقريطوس** أيضًا آراء **أناكساجوراس** المتعلقة بنظريتـه عن نشأة الكون *"diakosmêsis"* وعن العقل *"nous"* ومزقها شر ممزق، نظرًا لأنه كان مناهضًا له ويقف منـه موقـف المعـارض، وذلـك بـسبب أن **أناكساجوراس** لم يكن متوافقًا معـه. ومـن ثـم فكيـف تـأتى أن يكـون **ديموقريطوس** تلميذًا له على نحو ما زعم بعض؟

ويخبرنا **ديمتريوس** فى كتابه المسمى **رجال يحملـون الاسـم ذاتـه** *"Homônymoi"*، وكذا **أنتيسيثينيس** فى كتابه المـسمى **تعاقـب الفلاسـفة** *"Diadochai"*، بأن **ديموقريطـوس** قد شد الرحال إلى مـصر كـى يـتعلم الهندسة *"geômetria"* على يد كهنتها. كما يذكران أيضًا أنه ذهب إلى بـلاد فارس (*Gê*) *"Persis"* بهدف زيارة الكلدانيين، كما قام أيضًا برحلة إلى البحر الأحمر *"Erythra Thalassa"*. ويذكر بعض أن **ديموقريطـوس** قـد خـالط *"symmixai"* حكماء (الهنود) العراة *"Gymnosophistai"*، فى بلاد الهند، وأنه سافر إلى أثيوبيا "Aithiopia". وقالوا أيضًا إنه – باعتباره الابن الثالث (فى أسرته) – قد قام بتقسيم أملاك *"ousia"* الأسرة. ويخبرنا غالبية *"hoi pleious"* الباحثين بأن **ديموقريطوس** قد اختار لنفسه النصيب *"moira"* الأصغـر من الأملاك الذى كان عبارة عن مبلغ من المال *"argyrion"*، نظرًا لأنه كان فى

حاجة "*chreia*" إلى هذا المال للإنفاق منه على (تكاليف) رحلاته "*dia to apodêmêsai*"، فضلاً عن أن أخويه كانا من الحصافة والذكاء "*doliôs*" ؛ حيث توقعا أن يكون (ذلك هو اختياره).

(فقرة ٣٦)

ويخبرنا **ديميتريوس** بأن حصته "*meros*" من الميراث بلغت ما يربو على مئة من التالنتات "*talanta*"[١]، وأنه أنفقها عن آخرها. ويذكر لنا المؤلف ذاته أن **ديموقريطوس** كان مُجِدًا ومثابرًا "*philoponos*" بصورة لافتة للنظر، لدرجة أنه اقتطع مساحة في حديقة المنزل وجعلها بمثابة غرفة "*dômation*" ينعزل فيها "*katakleistos*". وفي ذات مرة أحضر والده ثورًا "*bous*" كي يضحي به ويجعله قربانًا "*pros thysian*"، وقيده في ذلك المكان "*autothi*". ولم يفطن **ديموقريطوس** إلى ذلك الذي حدث لفترة من الزمن ليست بالقليلة، إلى أن أيقظه والده وأنهى إليه نبأ القربان وروى له حكاية الثور. ويواصل **ديميتريوس** روايته فيقول: "**كما يبدو لي أنه سافر أيضًا إلى مدينة أثينا، ولكنه لم يكن متلهفًا إلى أن يعرفه أحد فيها، نظرًا لأنه كان يزدري الشهرة "*doxa*"؛ وعلى الرغم من أنه كان يعرف سقراط فإن ديموقريطوس لم يكن معروفًا لسقراط** . وكانت كلماته في هذا الصدد على النحو التالي: "**لقد وفدت إلى أثينا ولم يعرفني فيها أحد!**"[٢].

---

(١) التالنت "*talanton*" مثقال وعملة أتيكية تبلغ قيمتها ٦٠ مينا "*mnâ*" ، أما المينا فعملة تبلغ قيمتها ١٠٠ دراخمة "*drachmê*"؛ وأما الدراخمة فعملة مقدارها ستة أوبولات (أي ما يساوي دينار روماني)، وأما الأوبول "*obolos*" فعملة مقدارها ٨ خالكوي "*chalkoi*"، وهي أصغر عملة أثينية معروفة لنا. [المراجع]

(٢) يقول أستاذنا الدكتور **الأهواني**: "من الغريب أن **أفلاطون** لا يذكر **ديموقريطوس** قط في محاوراته؛ ولسنا ندري السبب في ذلك، لأن **ديموقريطوس** لم يكن مجهولا بل كان معاصرا لسقراط..... إلخ". انظر كتابه سالف الذكر، ص٢١٨. (المترجم)=

(فقرة ٣٧)

ويقول ثراسيلوس "Thrasylos": "لو أن (كِتاب المتنافسين على العشق *Anterastai*" كان من تأليف أفلاطون، لكان ديموقريطوس هو الشخصية التى لا اسم لها "*anônymos*"، ولكان شخصًا آخر "*heteros*" بخلاف كل من أوينوبيديس "*Oinopidês*" وأناكساجوراس. كذلك فإن ديموقريطوس هو الذى كان يتحاور فى المناقشة "*homilia*" مع سقراط عن الفلسفة، كما أنه هو الذى قال له سقراط إن الفيلسوف أشبه ما يكون باللاعب الرياضى الذى يؤدى لعبة الخماسى[(١)]. والحق إن ديموقريطوس كان ضليعًا ومتمكنًا فى كل فرع من فروع الفلسفة[(٢)]، ذلك أنه تمرس فى كل من الفيزيقا والأخلاق، كما تمرس كذلك فى الرياضيات وفى موضوعات التعليم الموسوعى، فضلاً عن أنه كان صاحب خبرة تامة فى الفنون (على اختلاف أنواعها)".

= وفى تصورى أن سبب عدم الإشارة إلى الفيلسوف ديموقريطوس يرجع إلى أسباب عدة ذكر واحدًا منها فى فقرة (٤٠) أدناه، ومنها أنه لم يقم بزيارة أثينا فيما هو مرجح، على الرغم من ورود إشارة إلى ذلك على لسان ديميتريوس. ذلك أننا نلاحظ أن هذا الباحث قد بدأ جملته بالعبارة "*dokei moi*" (بمعنى: يبدو لي)، ومعنى هذا أنه غير متأكد من معلوماته أو غير واثق منها. ومصداقًا لهذا تأتى رواية ديميتريوس الفاليرى التى سنوردها بعد برهة فى هذه الفقرة ذاتها. [المراجع]

(١) وردت هذه المعلومات فى محاورة أفلاطون المسماة "المتنافسين على العشق"، فقرة ١٣٢ أ – ج. أما الخماسى "*pentathlon*" فهو مسابقة رياضية كانت تتألف من خمس لعبات، هى: القفز "*halma*"، رمى القرص "*diskos*"، العدو (الجري) "*dromos*"، المصارعة "*pale*" والملاكمة "*pygmê*"، ولكن رمى الرمح "*akontisis*" أو "*akôn*" حل محل الملاكمة فى فترة زمنية لاحقة. [المراجع]

(٢) استخدم ديوجينيس لائيرتيوس كلمة "*pentathlos*" بمعنى اللاعب الذى يؤدى لعبة الخماسى هنا لكي يعبر بها عن خبرة ديموقريطوس العريضة ومعرفته الواسعة. وكان هذا اللقب قد منح للأديب والرياضى الأشهر إراتوسثينيس السكندرى من قبل، نظرًا لتعدد مواهبه وملكاته. [المراجع]

ومن أقواله راجت المقولة التى تعلن أن: "**الكلمـــة هـــى ظـــل** "*skia*" **العقل**". ويذكر لنا **ديميتريوس** الفاليرى – فى كتابه المسمى **دفـــاع ســـقراط** "*hê Sôkratous Apologia*" – أن **ديموقريطوس** لم يزر قط مدينـــة أثينـــا، وأن هذا التصرف (من جانبه) كان بمثابة زعم أكبر مفاده أنه كان يـــزدرى هذه المدينة العظيمة السامية، بسبب أنه لم يكن راغبًا فى كسب الشهرة مـــن أى مكان أو موقع، ولكنه كان يفضل أن يصبح المكان شهيرًا (بانتسابه إليه).

(فقرة ٣٨)

وبوسعنا أن نستوضح شخصيته من كتاباتـــه. ذلـــك أن **ثراســـيلوس** "Thrasylos" يقول: "**ويبـــدو أن ديموقريطـــوس كـــان معجبًـــا بالفلاســـفة الفيثاغورثيين، وعلاوة على ذلك فقد انبرى ديموقريطوس لذكر فيثاغورث نفسه، كما أثنى عليه فى كتاب من تأليفه (عنوانه: فيثاغورث)**[١]. **وفيمـــا يبدو فإن ديموقريطوس قد استقى أفكاره كافة عن هذا الفيلسوف، وأغلـــب الظن أن ديموقريطوس كان تلميذًا لهذا الفيلسوف، ما لم يقف تعاقب السنين حجر عثرة فى سبيل ذلك!**".

وعلى أى حال، فمما لا ريب فيه أن **جلاوكوس** "Glaukos" من مدينة ريجيون "Rhegion" قد ذكر أن **ديموقريطوس** قد تلقى دروسه ومعارفه على يد واحد من (الفلاسفة) الفيثاغورثيين، كان **جلاوكوس** معاصـــرًا لـــه. كمـــا يخبرنا **أبولّودوروس** من مدينة **قيزيقوس** "Kyzikos" بأن **ديموقريطوس** قـــد عاش فى عصر واحد مع **فيلولاؤوس** "Philolaos".

---

(١) انظر عن هذا الكتاب قائمة أعمال **ديموقريطوس**، فقرة ٤٦ أدناه من هذا الفصل. [المراجع]

ويذكر لنا **أنتيستينيس** أن **ديموقريطوس** كان معتادًا على تدريب نفسه بطرق شتى على اختبار انطباعاته الحسية "*phantasiai*"، وذلك بأن يخلد أحيانًا إلى العزلة "*erêmazôn*" وكذا بأن يذهب إلى المقابر "*taphoi*".

(فقرة ٣٩)

ويحدثنا الباحث نفسه (أى أنتيستينيس) أن **ديموقريطوس** حينما قفل راجعًا من رحلاته خارج وطنه، كان يحيا حياة بالغة التواضع والتقشف "*tapeinotata*"، وكان ذلك بسبب أنه أنفق كل ثروته وممتلكاته التى آلت إليه، وأن شقيقه المدعو داماسوس "Damasos" كان يقوم بإعالته والإنفاق عليه بسبب فقره المدقع "*aporia*". ولقد ذاع صيت **ديموقريطوس** لأنه تنبأ بحدوث طائفة من الأحداث فى مستقبل الأيام، وعلى أثر ذلك اعتبره غالبية الناس شخصًا جديرًا بالتمجيد "*doxa*" الذى يمنح للأرباب[١]. ويذكر لنا **أنتيستينيس** أنه كان هناك قانون يقضى بعدم دفن أى شخص قام بتبديد ميراثه - الذى ورثه عن والده - فى مسقط رأسه، كما يخبرنا بأن **ديموقريطوس** قد فهم ذلك ووعاه. ولكنه خوفًا من أن يقع تحت سطوة "*hypeuthynos*" أى شخص من حاسديه أو من الوشاة "*sykophantountes*" ، انبرى لتلاوة كتابه عن **العالَم الكبير** "*Megas Diakosmos*"[٢] على الناس، وهو كتاب من أفضل كتبه

(١) تعد هذه الجملة التى تبدأ من "ولقد ذاع صيت **(ديموقريطوس)**"، وتنتهى عند "الذى يمنح للأرباب" جملة مصوغة فى القول المباشر تأتى عرضا داخل الاقتباس المأخوذ عن الباحث **أنتيستينيس** المذكور أعلاه. وهى تشير إلى واحدة من القصص التى راجت عن **ديموقريطوس**، ونسبت إليه المقدرة على التنبؤ بالطقس وعلامات الفصول بفضل إنجازاته العلمية. قارن:

- بلينى الأكبر، التاريخ الطبيعى، الجزء الثامن عشر، الفقرتان ٢٧٣ ، ٣٤١.
- كليميس السكندرى، الطبقات، الجزء السابع، فقرة ٣٢. [المراجع]

(٢) هذا الكتاب عبارة عن دراسة لتكوين الكون وتنظيمه. ويمكن أن تكون المحاضرات التى ألقاها **ديموقريطوس** أسطورية تشبه إحدى حكايات **سوفوكليس**. طالع مثلا مسرحية "أوديب=

وأسماها، وعندئذ كرمه الناس، ومنحوه مكافأة مقدارها خمسمئة من التالنتات (ثلاثة ملايين دراخمة). ولم تقتصر مكافأته على هذا فحسب، بل وكرم كذلك بإقامة تماثيل من البرونز له. وعندما قضى نحبه أعدت له جنازة عامة بعدما عاش ما يربو على مئة عام.

(فقرة ٤٠)

غير أن **ديميتريوس** يخبرنا بأن من تلا كتاب "العالم الكبير"[١] لم يكن **ديموقريطوس** بل كانوا أشخاصًا من ذوى قرباه، وأن المبلغ الذى منح له كمكافأة كان مئة من التالنتات (٦٠٠ ألف دراخمة) فقط، وهى رواية يتفق فيها معه **هيبّوبوتوس** "Hippobotos" أيضًا.

ويذهب **أريسطوكسينوس** "Aristoxenos" فى كتابه المسمى **ملاحظات تاريخية** "*Historika Hypomnêmata*" إلى القول بأن **أفلاطون** أراد أن يضرم النار "*symphlexai*" فى مؤلفات **ديموقريطوس** التى تمكن من جمعها، ولكن **أميكلاس** "Amyklas" **وكلينياس** "Kleinias"، الفيلسوفين الفيثاغورثيين، انبريا للحيلولة بينه وبين هذه الفعلة بقولهما: إنه ليست هناك فائدة ترجى من ذلك، نظرًا لأن الكتب المعنية كانت قد راجت وانتشرت بالفعل بين الجماهير. والدليل الواضح على ذلك أن **أفلاطون** – الذى ذكر تقريبًا جميع الفلاسفة القدامى – لم يشر إطلاقًا إلى **ديموقريطوس**، حتى عندما كان الأمر يستلزم

= فى كولونا". ويرجح الدكتور **الأهوانى** (فى كتابه المذكور سلفا، ص٢١٨) أن هذا الكتاب المذكور من تأليف **ليوقيبّوس**. (المترجم)

(١) كان اليونانيون القدماء يطلقون على الكون اسم "العالم الكبير"، وعلى الإنسان اسم "العالم الصغير". (المترجم)

الإشارة إليه لتفنيد آرائه، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أنه كان يعلم حق العلم أن عليه أن يتنافس مع أفضل الفلاسفة طرًا، ونعنى به الفيلسوف **ديموقريطوس** الذى أغدق عليه الفيلسوف الهجّاء **تيمون**(١) الثناء على النحو التالى:

"مثل ديموقريطوس ذى الحكمة الوافرة، راعى القول والخطاب، المجادل ذى الذكاء المتوقد، أفضل من تَلَوتُ أعمالهم على الإطلاق"(٢).

(فقرة ٤١)

أما بالنسبة إلى لعمره الذى عاشه، فقد كان- كما يذكر هو نفسه فى كتابه **العالَم الصغير** "*Mikros Diakosmos*" - شابًا عندما كان الفيلسوف **أناكساجوراس** شيخًا، إذ إنه كان أصغر من الأخير بأربعين سنة. ثم إنه (أى **ديموقريطوس**) يقول بعد ذلك إن كتابه "العالَم الصغير" قد تم تأليفه بعد الاستيلاء على مدينة إليون (طروادة) بسبعمئة وثلاثين عامًا. وتبعًا لما يقوله **أبولّودوروس** فى كتابه المسمى **التقويم الزمنى** "*Chronika*"، فعلى الأرجح أن **ديموقريطوس** قد ولد إبان الفترة الأوليمبية الثمانين (أى فى الفترة من عام ٤٦٠ – ٤٥٧ ق. م.). ولكن تبعًا لما يقوله **ثراسيلوس** – فى مقاله الذى يحمل عنوان "مقدمة فى قراءة مؤلفات **ديموقريطوس**" – فإن **ديموقريطوس** قد ولد خلال السنة الثالثة من الفترة الأوليمبية السابعة

---

(١) انظر ديوانه "القصائد الهجائية الساخرة"، شذرة ٤٦ د. [المراجع]

(٢) قارن ملحمة هوميروس، الإلياذة، النشيد الأول، بيت رقم ٢٦٣؛ والنشيد الرابع، بيت رقم ٣٤١. [المراجع]

والسبعين (أى خلال عام ٤٧٠ ق. م.)، ومن ثم فإنه كان أكبر سنًا من **سقراط** بسنة واحدة. وبناء على ذلك فلا بد أنه كان معاصرًا للفيلسوف **أرخيلاؤوس**، تلميذ **أناكساجوراس**، وكذا للفيلسوف **أوينوبيديس** "Oinopidês" وتلاميذه الذين كانوا معه؛ وفى الحق إن **ديموقريطوس** قد ذكر **أوينوبيديس** فى مؤلفاته.

(فقرة ٤٢)

ومن ناحية أخرى، فقد انبرى **ديموقريطوس** للإشارة إلى نظرية "**الواحد**" التى اعتنقها تلاميذ كل من **بارمينيديس** **وزينون**، حيث إنهما كليهما كانا الفيلسوفان اللذان حظيا بشهرة فائقة على أيامه. ثم إنه يذكر أيضًا **بروتاجوراس** فيلسوف مدينة أبديرا الذى كان معاصرًا **لسقراط** وفق ما تم الإقرار به من الكافة.

ويقص علينا **أثينودوروس** – فى الجزء الثامن من كتابه المسمى **النزهات** "*Peripatoi*" – حكاية مؤداها أنه عندما وفد **هيبّوقراطيس** "Hippokratês" لزيارة **ديموقريطوس** طلب منه أن يحضر له حليبًا "*gala*"، وبعدما قام بفحص الحليب أعلن أنه حليب عنزة سوداء اللون أنجبت وليدها الأول، الأمر الذى جعل الدهشة تنتاب **هيبّوقراطيس** من دقة ملاحظته. وفضلاً عن ذلك، فقد كانت هناك خادمة فى معية **هيبّوقراطيس**، فحياها **ديموقريطوس** فى اليوم الأول بقوله: "**سلامًا وتحية، أيتها العذراء**!". ولكنه فى صباح اليوم التالى حياها بقوله: "**سلامًا وتحية، أيتها المرأة**!". ولقد اتضح أن هذه الخادمة كانت قد مارست الجنس (وفُضَّت بكارتها) فى غضون تلك الليلة.

(فقرة ٤٣)

ويروى لنا **هيرميبوس** قصة وفاة **ديموقريطوس** على النحو التـالي: عندما أصبح **ديموقريطوس** شيخًا طاعنًا في السن وحانت منيته بالفعل، كانت شقيقته تتألم حزنًا عليه لأنه كان على وشك الرحيل عن الحياة، وقضاء نحبه إبان الاحتفال بعيد الثيسموفوريا "*Thesmophoria*"(١)، ومعنى هذا أنها لـن تقوم بتأدية واجب العبادة للربة ديميتر. ولكن فيلسوفنا شجعها وبث الطمأنينة في نفسها وطلب منها أن تحضر له عدة أرغفة ساخنة "*artoi thermoi*" كل يوم. ثم قام **ديموقريطوس** بوضع أرغفة الخبز على مقربة من منخاريه ثـم شمها؛ وبهذا ظل على قيد الحياة حتى ما بعد الاحتفـال بالعيـد. وبمجـرد انقضاء أيام الاحتفال بالعيد – وكانت أيامًا ثلاثة – أسلم نفسه لمفارقة الحياة دون أدنى إحساس بالألم، وكان قد بلغ من العمر – علـى نحـو مـا يـذكر **هيبَّارخوس** – عامه التاسع بعد المئة.

ولقد أَلَّفْتُ عنه – في كتابي الذي يحمل عنوان **بحـر الـشعر الـوافر** "*Hê Pammetros*" – المرثية التالية(٢):

> **"ترى من عساه يكون صاحب هذه الحكمة الـوافرة؟ ومـن عساه يكون صاحب مثل هذا الكم الهائل من المؤلفات التـي انبرى ديموقريطوس – العارف بكل شيء – لتأليفها؟ ذلك أنه**

(١) كانت أعياد الثيسموفوريا أعيادًا قديمة تحتفل بها النساء الأثينيات تكريمًا للربة ديميتر الملقبة باسم الربة "واهبة القوانين *Thesmophoros*"، وكانت تستمر لمدة أيام ثلاثة تبـدأ مـن اليـوم الحادي عشر من شهر بيانيبسيون "*Pyanepsiôn*"، وهو الشهر الرابع في التقويم الأتيكي القديم. ولقد سمي هذا الشهر على اسم احتفالات البيانيبسيا "*ta Pyanepsia*" تكريمـًا للإلـه أبولـون، ويقابل هذا الشهر الجزء الأخير من شهر أكتوبر والجزء الأول من شهر نوفمبر في التقـويم الجولياني. [المراجع]

(٢) انظر: كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ٥٧. [المراجع]

هو الذى (استطاع) أن يحتجز الموت ثلاثة أيام عندما وفد إليه الموت فى منزله وصار قاب قوسين أو أدنى منه، فأتاح له أن يستمتع بأبخرة الخبز الساخنة!".

كانت تلك هى حياة رجلنا (الفيلسوف الأشهر).

(فقرة ٤٤)

أما آراء **ديموقريطوس** فهى على النحو التالى:

- مبادئ الكون الأولى هى الذرات "*atomoi*" وكذا الفراغ "*to kenon* "، أما كل الأشياء الأخرى فيُظَن (فحسب) أنها موجودة.
- العوالم غير محدودة "apeiroi"، وهى تولد ثم تفنى.
- لا شىء يولد من العدم، ولا شىء يفنى ويعود إلى العدم.
- الذرات غير محدودة، سواء فى حجمها أو فى عددها، وهى تحمل فى دوامة خلال الكون كله، وبذلك تولد جميع الموجودات المركبة: النار "pyr"، الماء "hydôr"، الهواء "aêr"، والتراب "gê"، وهذه الموجودات المركبة عبارة عن أخلاط أو تجمعات "systêmata" لذرات بعينها. وبسبب صلابتها "stereotês"، فإن هذه التجمعات من الذرات تكون غير قابلة للحركة "apathê" ولا للتغيير "analloiôta".
- تألفت الشمس وكذا القمر من تلك الكتل (أى الذرات) الرقيقة "leioi " ذات الشكل الكروى "peripheroi" ، وينطبق الأمر ذاته مع النفس "psychê" التى هى متماثلة "tauton" مع العقل "nous".
- إننا نستطيع الرؤية "horan" بفعل وقوع "emptôseis" الصور "eidola" أمام أعيننا.

(فقرة ٤٥)

- كل الموجودات تنشأ بفعل الحتمية "anankê"، والدوامة "dine" هي السبب في خلق جميع الموجودات، وهي التي يطلق عليها **ديموقريطوس** اسم الحتمية.

- غاية الفعل هي الجذل والانشراح "euthymia"[١]، وهو أمر غير مماثل للذة "hêdonê"، وفقًا لما فهمها بعض بناء على تفسير مغلوط. ولكنها الحال التي تظل النفس فيها في هدوء وسكينة "galênôs" وكذا في رسوخ وثبات "e"ustathôs"، حيث لا يصيبها الاضطراب بسبب أي خوف "phobos" أو خزعبلات "deisidaimoniai" أو أي انفعال آخر. ويسمي **ديموقريطوس** هذه الحال باسم الرفاهة "euestô" وبأسماء أخرى كثيرة.

- تعرف صفات الأشياء ونوعياتها من خلال القانون أو العرف السائد)، ولا يوجد في الطبيعة سوى الذرات "atoma" والفراغ "kenon".

- كانت تلك هي آراء الفيلسوف **ديموقريطوس**.

- ولقد ألف **ثراسيلوس** قائمة بكتبه "biblia" ومؤلفاته ورتبها في قوائم رباعية "tetralogia"، على نحو ما فعل مع مؤلفات الفيلسوف **أفلاطون**.

(فقرة ٤٦)

وفيما يلي مؤلفات **ديموقريطوس** الأخلاقية "*ta ethika*":

---

(١) هناك ترجمات ومعاجم تفسر هذه الكلمة (أي *euthymia*) على أنها تعني "السكينة والطمأنينة"، بناء على التفسير الذي ساقه **ديوجينيس لاثيرتيوس** نفسه في هذه الفقرة أدناه. ولكن ترجمتها الحرفية تعني "الجذل" أو "الحبور" أو "الانشراح". [المراجع]

* أولاً:

- فيثاغورث "Pythagorês".
- عن مزاج الحكيم.
- عن أولئك الذين فى هاديس (عالم الموتى أو العالم السفلى).
- التريتوجينيا "Tritogeneia"[(١)] (وسمى هذا الكتاب بهذا الاسم بسبب أن هناك ثلاثة أشياء تعتمد عليها الحياة الإنسانية قد نشأت منها).

* ثانيًا:

- عن النبل والشجاعة "andragathia" أو عن الفضيلة "arête".
- قرن الوفرة والخصوبة "Amaltheiês".
- عن الطمأنينة والسكينة أو عن الانشراح "euthymiê"[(٢)].
- ملاحظات أو شروح أخلاقية "Hypomnêmata êthika". ونلاحظ أن الكتاب الذى يتعلق بالرفاهة "Euestô" غير موجود.
- * تلك كانت مؤلفاته الأخلاقية "ta êthika".
- * أما مؤلفاته الفيزيقية "ta physika"، فهى على النحو التالى:

---

(١) كلمة "*Tritogeneia*" تعنى حرفيًا "المولودة من تريتونيس"، حيث إنها كانت صفة للربة أثينا العذراء (مينرفا Minerva عند الرومان). وهى لفظة مشتقة من اسم بحيرة تريتونيس "*Tritônis*" فى ليبيا، وهى بحيرة ولدت الربة أثينا بالقرب منها، ولقد استخدمها ديموقريطوس كعنوان لكتابه هذا. [المراجع]

(٢) لعل القارئ سيلاحظ أن أسماء مؤلفات ديموقريطوس مدونة باللهجة الإيونية التى تفضل حرف الإيتا (ê) على حرف الألفا (a) الذى تحبذه اللهجة الأتيكية. مثال ذلك اسم الفيلسوف فيثاغورث الذى يُكتب باللهجة الإيونية "*Pythagorês*". [المراجع]

* **ثالثًا:**

- العالم الكبير "Megas Diakosmos" (وهو الكتاب الذى نسبه تلاميذ ثيوفراسطوس إلى ليوقيبوس).
- العالم الصغير "Mikros Diakosmos".
- وصف العالم "Kosmographiê".
- عن الكواكب السيارة "Peri Planêtôn".

* **رابعًا:**

- عن الطبيعة، الجزء الأول.
- عن طبيعة الإنسان (أو عن طبيعة الجسد)، الجزء الثانى.
- عن العقل "nous".
- عن الحواس "aisthêseis" (وهناك نفر من الباحثين يدونون هذين الكتابين تحت عنوان واحد، هو: "عن النفس").

* **خامسًا:**

- عن النكهات "chymoi".
- عن الألوان "chroai".

(فقرة ٤٧)

- عن الأشكال المختلفة "diapherontes rhysmoi" للذرات.
- عن التغييرات فى الأشكال "ameipsirhysmiai".

* سادسًا:

- توكيدات وإثباتات "kratyntêria" (وهو عبارة عن ملخصات "epikratika" للكتب المذكورة سلفًا).

- عن الصور "eidola" أو عن التنبؤ بالمستقبل "pronoia".

- عن المنطق "logikoi" أو عن معيار"kanôn" الفكر، فى ثلاثة أجزاء.

- المعضلات (المشكلات) "aporêmata".

* تلك كانت مؤلفاته الفيزيقية.

* أما المؤلفات التالية فلا تندرج تحت عنوان بعينه "***asyntakta***":

- أسباب "aitiai" الظواهر السماوية "ouraniai".

- أسباب الظواهر المتعلقة بالهواء "aerioi".

- أسباب الظواهر المتعلقة بسطح الأرض "epipedoi".

- الأسباب المتعلقة بالنار "pyr" وبالأشياء التى فى النار.

- الأسباب المتعلقة بالأصوات "phônai".

- الأسباب المتعلقة بالبذور "spermata" والنباتات "phyta" والثمار "karpoi".

- الأسباب المتعلقة بالحيوانات "zôa"، فى ثلاثة أجزاء.

- أسباب متفرقة (مختلفة) "symmiktoi".

- عن حجر المغناطيس "lithos".

* تلك كانت مؤلفاته غير المصنفة.

* أما مؤلفاته المتعلقة بالرياضيات، فهى على النحو التالى:

* سابعًا:

- عن درجة الاختلاف "diaphorê" فى الزاوية "gônié"، أو عن التَماس "psausis" مع الدائرة "kyklos" والكرة "sphairê".
- علم الهندسة "geômetrika".
- الأعداد "arithmoi".

* ثامنًا:

- عن الخطوط "grammai" غير المنتظمة "alogai"[١] والأجسام الصلبة "nastoi"، فى جزءين.
- الامتدادات (الإسقاطات) "ekpetasmata"[٢].

(فقرة ٤٨)

- السنة الكبيسة (العظيمة megas) أو علم الفلك "astronomiê" والتقويم الفلكى "parapêgma".
- نزاع "hamilla" حول الساعة المائية "klêpsydra" (وحول السماء ouranos).

* تاسعًا:

- وصف السماء "ouranographiê".

---

(١) يرى بعض الناشرين أن المقصود بـ "الخطوط غير المنتظمة أو غير السوية" هى "الأعداد الصماء". (المترجم)

(٢) اعتمادًا على ما ورد بكتاب بطلميوس، الجغرافيات "*Geôgraphika*"، الفصل السابع، فقرة ٧، يرى الأستاذ ديلز "Diels" أن العنوان "*Ekpetasmata*" قد يعنى: "إسقاط المُحلقة – التى هى آلة فلكية قديمة مؤلفة من حلقات تمثل مواقع الدوائر الرئيسية فى الكرة السماوية – على سطح مستوٍ". [المراجع]

- الجغرافيا "geôgraphiê".
- وصف القطب "polographiê".
- وصف الأشعة الضوئية "aktinographiê".

* تلك كانت مؤلفاته فى مجال الرياضيات.
* أما مؤلفاته فى ميدان الموسيقى، فهى على النحو التالي:

* **عاشرًا:**

- عن الإيقاع "rhythmoi" والهارمونية "harmoniê".
- عن الشعر "poiêsis".
- عن جمال "kallosynê" الأشعار "epea".
- عن الحروف ذات الصوت العذب "euphôna" والحروف ذات الصوت المتنافر "dysphôna".

* **حادى عشر:**

- عن هوميروس أو عن الأسلوب الملحمى الصائب "orthoepeiê" وعن الحواشى التفسيرية "glôssea".
- عن الأغنية "aoidê".
- عن الكلمات والألفاظ "rhymata".
- الأسماء والمسميات "onomastika".

* تلك كانت مؤلفاته فى ميدان الموسيقى.
* أما مؤلفاته فى ميدان الفنون "*technai*"، فهى على النحو التالى:

* ثانى عشر:

- التكهن أو الكهانة "prognosis".
- عن نظام الغذاء "diaitê" أو أسلوب اتباع الحِمية "diaitêtikon".
- القواعد الطبية "iatrikê".
- الأسباب المتعلقة بالأمور التى تأتى فى أوانها "epikairiai" وتلك التى تأتى فى غير أوانها "akairiai".

* ثالث عشر:

- عن الزراعة "geôrgiê" أو وسائل قياس الأرض "geômetrikon".
- عن الرسم "zôgraphiê".
- مبحث فى تنظيم القوات الحربية "taktikon".
- مبحث فى القتال بالعدة الحربية الثقيلة "hoplomachikon".

* تلك كانت قائمة بأعماله ومؤلفاته.

(فقرة ٤٩)

وهناك نفر من الباحثين يصنفون أعمالاً مأخوذة من ملاحظاته "***hypomnêmata***" ضمن قائمة أعماله المنفصلة أو القائمة بذاتها "***kat' idian***"، وهى على النحو التالى:

- عن الكتابات المقدسة "hiera grammata" فى بابل "Babylôn".
- عن الكتابات المقدسة فى مروى "Meroê".
- رحلة طواف "periplous" حول المحيط "okeanos".
- عن (الاستخدام الصائب) للتاريخ.

- مبحث عن الكلدانيين.
- مبحث عن الفريجيين.
- عن الحمى "pyretos" وعن أولئك الذين يصابون بالسعال "bêssontes" جراء المرض.
- أسباب قانونية (أو مشروعة) "nomika".
- مشكلات "problêmata" خطها بيده "cheirokmêta"[(١)].

أما المؤلفات الأخرى التى ينسبها بعض إلى **ديموقريطوس**، فهى إما عبارة عن تجميع معد "*dieskeustai*" من أعماله وإما اتفق الباحثون على أنها ليست أصلية "*allotria*" "*homologoumenôs*". ويكفى هذا القدر بالنسبة إلى كتبه التى ألفها وبالنسبة إلى أعدادها.

وهناك ستة أشخاص يحمل كل منهم اسم **ديموقريطوس**:

- أولهم فيلسوفنا الذى نتحدث عنه.
- وثانيهم موسيقار "mousikos" من جزيرة خيوس كان معاصرًا للفيلسوف "**ديموقريطوس**".
- وثالثهم نحات "andriantopoios" أورد ذكره **أنتيجونوس**.

---

(١) كلمة "خطها بيده *cheirokmêta*" هى تصويب انبرى لاقتراحه الأستاذ **سالماسيوس** "Salmasius"، بناء على ما ورد عند كل من **بلينيوس الأكبر**، التاريخ الطبيعى "*Naturalis Historia*"، الجزء الرابع والعشرون، فقرة ١٦٠؛ **وفيتروفيوس** "Vitruvius"، الجزء الحادى عشر، الفصل الأول، فقرة (١٤). أما المخطوطات فتحتوى إما على كلمة "*cherniba*" بمعنى "أوانى الماء المقدس"، وإما على كلمة "*chernika*" وهى كلمة غير معروفة المعنى. [المراجع]

- ورابعهم شخص قام بتأليف "gegrophôs" كتب عـــن المعبـــد "hieron" القائم فى مدينة إفيسوس، وكذا عن مدينة ســـاموطراقيا (ســـاموثراقيا) "Samothrakê".

- وخامسهم كاتب إبجرامات جنائزية أسلوبه واضـــح "saphês" ومنمـــق "anthêros".

- وسادسهم مواطن من مدينة بيرجامون، تعزى شهرته "eudokimêsas" إلى تأليف الخطب الريطوريقية.

الفصل الثامن

بروتاجوراس "Prôtagoras"

(فى الفترة من عام ٤٨١ – ٤١١ ق. م.)

(فقرة ٥٠)

كان **بروتاجوراس بن أرطيمون** "Artemôn" أو- طبقًا لما يرويه **أبولودوروس**، وكذا **دينون** "Deinôn" فى الجزء الخامس من كتابه المسمى **تاريخ الفرس** *"Persikon"* - **بن مايانذريوس** "Maiandrios"، مواطنًا من مدينة أبديرا "Abdêritês"، على نحو ما يذكره **هيراقليديس** من بونطوس فى كتابه المسمى "عن القوانين"، الذى يذكر أيضًا أنه هو الذى سن قوانينا لمدينة ثوريبى "Thourioi"(١)، أو قوانينا لمدينة تيوس "Teôs" ، طبقًا لما يخبرنا به **يوبوليس** "Eupolis" فى كتابه الذى يحمل عنوان **المداهنون** "***Kolakes***". وفى هذا الصدد يقول الأخير:

"وبين ظهرانينا كان يقيم بروتاجوراس من مدينة تيوس".

---

(١) كانت **ثوريبى** مستعمرة إغريقية تأسست عام ٤٤٣ ق. م. فى إقليم لوكانيا فى جنوب إيطاليا، بالقرب من مدينة **سيباريس** "Sybaris" التى دُمرت وصارت قاعًا صفصفًا عام ٥١٠ ق. م. ولقد طلب أهل **سيباريس** من مدينتى أثينا وإسبرطة العون من أجل إعادة بناء مدينتهم، فاستجابت مدينة أثينا، وقرر زعيمها **بريكليس** أن يضفى على المستعمرة الجديدة طابعًا هيلينيًا شاملاً، فوجه الدعوة إلى الدويلات الإغريقية الأخرى للمشاركة فى تأسيس هذه المدينة الجديدة، فلبوا الدعوة مرحبين. وكان من بين المستوطنين فى مدينة **ثوريبى** المؤرخ **هيرودوتوس** والفيلسوف **بروتاجوراس** الذى انبرى لمراجعة دستورها وتنقيحه. وغدت هذه المدينة مدينة مزدهرة تنعم بالرفاهة، كما غدت مركزًا مهمًا للثقافة الأثينية، ولكنها لم تحفظ العهد ولم تظل على وفائها لمدينة أثينا، بل تنكرت لها وقلبت لها ظهر المجن، وأضمرت تجاهها العداوة والبغضاء. [المراجع]

ولقد كان كل من (**بروتاجوراس**) و**بروديكوس** "Prodikos" من جزيرة كيوس (وكلاهما من السوفسطائيين) يقوم بإلقاء خطب عامة، وكانا يتقاضيان على ذلك أجرًا. ويخبرنا **أفلاطون** فى محاورته المسماة "بروتاجوراس"[١] بأن **بروديكوس** كان صاحب صوت جهورى "*baryphônes*"؛ وكان **بروتاجوراس** تلميذًا للفيلسوف **ديموقريطوس**. وكان الأخير يكنى بلقب الحكمة "*Sophia*"[٢]، طبقًا لما يذكره **فابورنيوس** فى كتابه المسمى **أمشاج من التاريخ** "*Pantodapês Historia*".

(فقرة ٥١)

وكان **بروتاجوراس** هو أول من ذهب إلى القول بأن هناك جانبين *logoi* (حرفيًا: مبحثين) لكل مسألة "*pragma*" يناقض "*antikeimenoi*" كل جانب منهما الجانب الآخر، كما ذهب إلى أنه جادل فى هذه الموضوعات وأنه كان أول من انبرى لفعل ذلك. وفضلاً عن ذلك، فقد بدأ **بروتاجوراس** كتابه على النحو التالى:

"الإنسان هو مقياس كل شىء *"pantôn chrêmatôn metron anthropos"*، **ما هو كائن** "*ontôn*" **منها على نحو ما هو كائن، وما هو غير كائن منها على نحو ما هو غير كائن"**[٣]. وكان من عادة **بروتاجوراس** أن يقول: إن النفس "*psyche*" ليست شيئًا آخر سوى الحواس "*aisthêseis*"

(١) انظر: **أفلاطون**، محاورة **بروتاجوراس**، فقرة ٣١٦ أ. [المراجع]
(٢) قارن: **كليمياس السكندري**، الطبقات، الجزء السادس، فصل رقم ٣٢؛ معجم سودا (أو سويداس)، تحت كلمة "**ديموقريطوس**". [المراجع]
(٣) هذه العبارة هى افتتاحية كتاب **بروتاجوراس** الذى يحمل عنوان عن الحقيقة "*peri alêtheias*". [المراجع]

"– على نحو ما يخبرنا به **أفلاطون** فى محاورة **ثيايطيطوس** "*Theaitêtos*"[(١)]
– وأن كل شىء حقيقى "*alêthê*". ولقد استهل **بروتاجوراس** عملاً آخر من أعماله على النحو التالى:

> **"أما فيما يتعلق بالأرباب، فليست لدى أدنى معرفة عما إذا كانوا موجودين أو غير موجودين، فهناك أمور كثيرة تحول بينى وبين معرفة هذا الأمر، منها غموض الموضوع ومنها قصر عمر الإنسان".**

(فقرة ٥٢)

وبسبب هذه المقدمة التى استهل بها الكتاب تم طرد **بروتاجوراس** من قبل الأثينيين، ثم أضرموا النار فى مؤلفاته فى ساحة السوق، بعد أن بعثوا رسولاً "*kêryx*" يضطلع بجمعها من كل شخص كان يقتنيها فى حوزته.

وكان **بروتاجوراس** هو أول من تقاضى أجرًا "*misthos*" على قيامه بالتدريس مقداره مئة مينا (١٠٠٠٠ دراخمة)، كما كان أول من ميز بين أزمنة الفعل المختلفة، وأول من أوضح أهمية اغتنام الفرصة المتاحة أمام الإنسان، وأول من أدخل المجادلة فى المناقشات، وأول من أقنع الخصوم المنافسين باستخدام المماحكات اللفظية فى مناقشاتهم. وفضلاً عن ذلك، فقد ضرب **بروتاجوراس** صفحًا عن مضمون المعنى "*dianoia*" لصالح المراوغة

---

(١) راجع محاورة **أفلاطون** التى تحمل عنوان "**ثيايطيطوس**"، وذلك من ترجمة د. **أميرة حلمى مطر** فى كتابها عن محاورات **أفلاطون**، الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٧٣)، ص ص ٩٠ – ٩٥. (المترجم)
ولقد ورد هذا المعنى فى الفقرة رقم ١٥٢ أ، من محاورة **ثيايطيطوس** **لأفلاطون**. [المراجع]

اللفظية، ثم إنه هو مُوجد "*egennêsen*" ذلك الضرب "*genos*" من المناقشات الجدلية "*eristika*" الذى قدر له الرواج والشهرة فى الآونة الراهنة، لدرجة أن **تيمون** (الفيلسوف الهجّاء الساخر) يقول عنه ما يلى[1]:

"إنه بروتاجوراس، لطيف المعشر الذى يعلم حق العلم كيف يتجادل ويتحاور بالألفاظ !"[2].

(فقرة ٥٣)

وكان **بروتاجوراس** أيضًا هو أول من ابتكر ذلك النوع "*eidos*" من الجدال "*logoi*" المسمى "الجدل السقراطى "*sôkratikon*". كما أنه من ناحية أخرى – وفقًا لما يقوله **أفلاطون** فى محاورة يوثيديموس "*Euthydêmos*"[3]– كان أول من استخدم فى النقاش حجة "*logos*" **أنتيستينيس** التى يحاول من خلالها أن يبرهن على أن التناقض "*antilegein*" أمر مستحيل. كذلك كان **بروتاجوراس** هو أول من أوضح "*katedeixe*" الكيفية التى يتسنى بها للمحاور أن يدحض القضايا المطروحة "*protheseis*"، وفقًا لما يخبرنا به **أرتيميدوروس** "Artemidôros" الفيلسوف الجدلى فى كتابه المسمى **الرد على خريسيبّوس** "*Pros Chrysippon*". كما أنه كان أيضًا أول من ابتكر ما يسمى باسم لِبَّادة الكتف "*tylê*" التى يحمل عليها الحمالون أثقالهم "*phortia*"، طبقًا لما يرويه لنا أرسطو فى كتابه المسمى **عن التربية والتعليم** "*Peri Paideias*"،

(١) **تيمون**، ديوان القصائد الهجائية الساخرة "*Silloi*"، فقرة ٤٧ د. [المراجع]
(٢) قارن: **هوميروس**، الإلياذة، النشيد الخامس عشر، بيت رقم ٦٧٩. [المراجع]
(٣) انظر: **أفلاطون**، محاورة **يوثيديموس**، فقرة ٢٨٦ د. [المراجع]

ذلك أن بروتاجوراس كان هو نفسه حمالاً "*phormophoros*"[١]، وفقًا لما ذكره الفيلسوف إبيقوروس (إبيقور) فى أحد مؤلفاته[٢]. وعلى هذه الحال التقى الفيلسوف ديموقريطوس الذى شاهده وهو يحمل حزمة من الأخشاب مربوطة معًا بإحكام. كذلك كان بروتاجوراس هو أول من قسَّم الخطاب "*logos*" إلى أربعة أقسام، هى: التمنى "*euchôlê*"، السؤال "*erôtêsis*"، الجواب "*apokrisis*" والأمر "*entolê*"[٣].

(فقرة ٥٤)

فى حين يقسم آخرون الخطاب إلى سبعة أقسام، هى: السرد "*diêgêsis*"، السؤال "*erôtêsis*"، الجواب "*apokrisis*"، الأمر "*entolê*"، القص أو الحكى "*apangelia*"، التمنى "*euchôlê*" والحث أو الحض "*klêsis*"، ولقد أطلق بروتاجوراس على هذه الأقسام (السبعة) للخطاب أو الحديث اسم الأشكال الأساسية "*pythmenes*". على حين يخبرنا ألقيداماس "Alkidamas" بأن هناك أربعة أقسام (فقط) للحديث، هى: الإثبات "*phases*"، النفى "*apophasis*"، السؤال "*erôtêsis*" والخطاب "*prosagoreusis*".

وأول كتاب انبرى بروتاجوراس لقراءته على الملأ هو كتابه عن الأرباب "*peri Theôn*"، وهو الكتاب الذى اقتبسنا افتتاحيته أعلاه. ولقد تلا

---

(١) كلمة "*phormophoros*" مكونة من لفظين، أولهما "*phormos*" بمعنى "سلة من الخيزران"، وثانيهما "*phoros*" بمعنى "الحامل" وهى مشتقة من الفعل "*pheresthai*" بمعنى "يحمل". ولكن الكلمة المركبة تستخدم بمعنى "الحمال" الذى يحمل الأثقال. [المراجع]

(٢) ولقد وردت هذه المعلومة فى واحدة من رسائل إبيقوروس يدور موضوعها "حول المهن أو الحرف "*peri Epitêdeumatôn*". قارن أثينايوس، مأدبة الفلاسفة، الجزء الثامن، فقرة ٣٥٤ جـ. [المراجع]

(٣) وهذه الأقسام تقابل ما يلى: صيغة التمنى، صيغة السؤال، الصيغة الإخبارية وصيغة الأمر. [المراجع]

بروتاجوراس هذا الكتاب فى مدينة أثينا داخل منــزل (شــاعر التراجيــديا) **يوريبيديس**، أو – كما يذكر بعض – فى منزل **ميجاكليديس** "Megakleidês". وهناك نفر آخرون (من الباحثين) يذكرون أن ذلــك حــدث فــى مدرســة (أرسطو) الليقيون "Lykeion"[١]، وأن قارئ الكتاب كان تلميذه **أرخاجوراس** "Archagoras" بن ثيودوتوس "Theodotos"، وأن (فيلسوفنا بروتاجوراس) قد منحه هذه المكرمة بسبب جمال صوته. وعقب ذلــك انبــرى **بيثــودوروس** "Pythodôros" بن بوليزيلوس "Polyzylos" – وهو واحد من حزب الأربعمئــة– لتوجيه الاتهام ضد **بروتاجوراس**؛ وإن كان **أرسطو** يــذكر أن مــن اتهمــه كان **يواثلوس** "Euathlos".

(فقرة ٥٥)

أما كتبه التى بقيت لنا، فهى على النحو التالى[٢]:

- فن الجدل "technê eristikôn".
- عن المصارعة "pale".
- عن الرياضيات.
- عن الدولة.
- عن الطموح "philotimia".

---

(١) لم تكن مدرسة **أرسطو** المعروفة باسم الليقيون قد أنشئت بعد إبان هذه الحقبة الزمنية، ومــن ثم فإن المقصود بها هنا هو قطعة الأرض التى تأسست فوقها مدرسة **أرســطو** فيمــا بعــد. (المترجم)

(٢) ويتبين لنا من القائمة التالية أنها قائمة مشوبة بالنقص وعدم الاكتمال، والدليل على هــذا أن أشهر كتابين **لبروتاجوراس**، وهما كتاب "عن الحقيقة" (فقرة ٥١ أعلاه)، وكتاب "عن الأرباب" (فقرة ٥٤ أعلاه) ليسا مذكورين ضمنها. [المراجع]

- عن الفضائل.
- عن النظام القديم (للأشياء).
- عن القاطنين فى العالم السفلى (هاديس).
- عن الأخطاء التى يقترفها بنو البشر.
- كتاب التعاليم والوصايا "prostaktikos".
- خطبة قضائية دفاعا عن الأجر "misthos"، وكتابان من جزءين عن الحجج المعارضة "antilogiai".

تلك كانت قائمة بمؤلفات **بروتاجوراس**. وفضلاً عن ذلك فقد كتب عنه **أفلاطون** إحدى محاوراته.

ويخبرنا **فيلوخوروس** بأن سفينة **بروتاجوراس** قد غرقت، عندما كان فى رحلة بحرية إلى جزيرة صقلية، وأن (شاعر التراجيديا) **يوريبيديس** قد ألمح إلى ذلك فى مسرحية له تحمل عنوان "إكسيون ***Ixiôn***"[(١)]. ويذهب بعض إلى القول بأن وفاة **بروتاجوراس** قد حدثت أثناء قيامه برحلة عندما كان عمره قد قارب على التسعين عامًا.

---

(١) كان **إكسيون** فى الأساطير الإغريقية مواطنًا من إقليم ثيساليا، تزوج من ديا "Dia" ابنة **ديونيوس** "Deioneus" (أو **إيونيوس** Euoneus). وعندما قدم حموه لكى يأخذ منه هدايا العرس التى وعده بها **إكسيون**، دبر الأخير مكيدة يسقط بموجبها الحم فى حفرة عميقة مليئة بالجمرات الملتهبة. ولقد رضى الإله **زيوس** بأن يكفر **إكسيون** عن جرمه هذا بعد أن يتطهر منه، ولكن **إكسيون** الجاحد لم يحمد له هذا الصنيع، بل أقدم على مغازلة زوجته الربة **هيرا** وإغوائها. وهنا شكل له الإله **زيوس** سحابة "*nephelê*" على شكل الربة **هيرا** وأوحى إليه أنها هى الربة. فلما ضاجعها **إكسيون** وهى على صورة السحابة أنجب منها سلالة القناطير (الكنتاوروى *Kentauroi*)، وهى مخلوقات نصفها الأعلى على شكل إنسان ونصفها الأسفل على شكل فرس. ولقد عوقب **إكسيون** على فعلته الشنعاء هذه بأن قيد إلى عجلة ظلت تدور به إلى الأبد فى العالم السفلى. [المراجع]

(فقرة ٥٦)

غير أن **أبولّودوروس** يخبرنا بأن **بروتاجوراس** كان فى السبعين من عمره عندما وافته المنية، حيث إنه أمضى أربعين عامًا من حياته فى الاشتغال بالفلسفة بوصفه سوفسطائيًا، ويرى أنه ازدهر إبان الفترة الأوليمبية الرابعة والثمانين (أى خلال الفترة من ٤٤٤ – ٤٤١ ق.م.).

ولقد ألفت فى رثائه الإبجرامة التالية التى تسير أبياتها على النسق الآتى[(١)]:

> **"أى بروتاجوراس، لقد سمعت عنك قولاً مؤداه أنك قضيت نحبك وأنت رجل هرم، عندما كنت تقوم برحلة خارج بلاد الأثينيين.**
>
> **ذلك أن مدينة كيكروبس "Kekrops" قد اختارت أن تقوم بنفيك. ولكن على الرغم من أنك قد غادرت مدينة الربة بالاّس "Pallas"، لم يقدر لك أن تذهب إلى عالم بلوتوس "Ploutos" السفلى"[(٢)].**

وهناك قصة تروى عن **بروتاجوراس** مؤداها أنه عندما طالب ذات مرة تلميذه **يواثلوس** (المذكور أعلاه) بأجره، أجابه الأخير بقوله: **"ولكننى لم أكسب القضية بعد". فرد عليه بروتاجوراس قائلاً: "ولكن لو قدر لى أن أكسب هذه القضية المرفوعة ضدك، فلا بد أن أتقاضى أجرى منك، لأننى**

---

(١) انظر: كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ١٣٠. [المراجع]

(٢) سبق القول بأن **كيكروبس** هو ملك أسطورى كان يحكم مدينة أثينا فى بداية نشأتها وأنه كان يصور على شكل ثعبان. أما الربة **بالاس** فهى الربة **أثينا** وهذا لقب من ألقابها. وأما **بلوتوس** فهو رب العالم السفلى وهذا أيضا من ألقابه. [المراجع]

ربحتها. أما إذا ربحتها أنت (فلا بد أن أتقاضى منك أجرى) حيث إنك ربحتها"[١].

وهناك شخص آخر يحمل اسم **بروتاجوراس**، وهو عالم فلك *"astrologos"* ، دون (الشاعر) **يوفوريون** "Euphoriôn" قصيدة رثاء تكريمًا له. وهناك شخص ثالث بنفس الاسم، وهو فيلسوف رواقى.

(١) كان **بروتاجوراس** قد اتفق مع تلميذه **يواثلوس** "Euathlos" أن يعطيه ألف دراخمة عندما يكسب أول قضية يترافع فيها، لكنه بعد أن فرغ من دروسه أخذ يماطل فرفع عليه أستاذه قضية كان دفاعه فيها أمام المحكمة كالآتى:
إذا خسر **يواثلوس** هذه القضية وجب أن يدفع لى المبلغ بمقتضى حكم المحكمة، وإذا كسبها وجب أن يدفعه لى بمقتضى اتفاقه معى.
وهو إما أن يخسر هذه القضية وإما يكسبها، وفى الحالتين لا بد أن يدفع المبلغ. فرد تلميذه بما يأتى:
إذا كسبت هذه القضية فلا ينبغى على أن أدفع شيئًا بمقتضى حكم المحكمة، وإذا خسرتها فلا ينبغى على أن أدفع شيئًا بمقتضى اتفاقى مع **بروتاجوراس**، وفى الحالتين لن أدفع شيئًا.
وتسمى هذه الطريقة فى المنطق بـ "برد الإحراج". راجع كتابنا "الفلسفة"، سلسلة الشباب، العدد الأول، الهيئة العامة لقصور الثقافة. (المترجم)

الفصل التاسع

ديوجينيس من أبولّونيا "Diogenês Apollôniatês"

(فقرة ٥٧)

ديوجينيس من أبولّونيا[١] هو ابن **أبولّونياتيس** "Apollôniatês"، وكان فيلسوفًا فيزيقيًا وواحدًا من أكثر الناس شهرة وذيوع صيت "*ellogimos*" (في عصره). ويخبرنا **أنتيسثينيس** بأنه كان تلميذًا للفيلسوف **أناكسيمينيس** "Anaximenês"، بيد أنه عاش في عصر **أناكساجوراس**. ويخبرنا **ديميتريوس** الفاليرى في كتابه المسمى **الدفاع عن سقراط** "*Apologia Sokratous*" بأن هذا الرجل (أى **أناكساجوراس**) تعرض لخطر محقق إبان وجوده في مدينة أثينا بسبب كثرة الحسد والحقد عليه.

وكانت آراء **ديوجينيس** على النحو التالى[٢]:

---

(١) لعل الدهشة تنتاب القارئ حينما يجد أن مؤلف هذه الموسوعة قد أدمج **ديوجينيس** من أبولّونيا بين الفيلسوف **بروتاجوراس** والفيلسوف **أناكسارخوس**، وكلاهما – كما هو مفترض – من تلاميذ **ديموقريطوس**، والتفسير الوحيد المقترح لهذا هو أن ننبرى لتأمل مدى معرفة الفيلسوف **ديوجينيس** من أبولّونيا بموضوع بحثه. وفي الواقع إن هناك فيلسوفًا آخر يدعى **ديوجينيس** من أزمير "Smyrna"، وهو أحد أتباع مدرسة أبديرا، وصاحب أسلوب غامض وعويص.
وربما ارتج الأمر على **ديوجينيس لايرتيوس** – مؤلف الموسوعة – أو على أحد مصادره التى اعتمد عليها – فخلط بين **ديوجينيس** الأزميرى وسميه **ديوجينيس** الأبولّونى الذى كان أكثر منه شهرة وتميزًا. [المراجع]

(٢) قارن: **يوسيبيوس**، العدة الإنجيلية، الجزء الأول، الفصل الثامن، فقرة ١٣، حيث يستشهد باقتطاف من **بلوتارخوس**؛ وقارن أيضًا: **ثيوفراسطوس**، المعتقدات الفيزيقية، شذرة ٢. [المراجع]

- الهواء هو العنصر الشامل، وهناك عوالم لا حصر لها وفـراغ غيـر محدود.
- الهواء هو الذى ينتج "gennêtikos" العـوالم عـن طريـق التكـاثف "pyknoumenos" والتخلخل "araioumenos".
- لا شيء يوجد من لا شيء، ولا شيء يفنى ويصير إلى العدم.
- الأرض ذات شكل كروى "strongylê" وترتكز بثبات علـى المركـز "mesê"، ولقد حصلت على "eilêphyia" تكوينها "systasis" من الدوران "periphora" الناتج عن الحرارة "thermon"، وكذا من الـصلابة pêxis الناتجة عن البرودة "psychron".

أما بداية مقاله فهى على النحو التالى:

أعتقد أنه فى بداية كل حديث، ينبغى أن تكون البداية التـى نتزود بها واضحة ومؤكدة "anamphisbêtêtos"، وأن يكـون تفسيرها "hermêneia" بسيطًا "haplê" وجليلاً "semnê".

الفصل العاشر

أناكسارخوس "Anaxarchos"

(فقرة ٥٨)

كان **أناكسارخوس** مواطنًا من مدينة أبديرا، وكان تلميذًا للفيلسوف **ديوجينيس** من أزمير "Smyrnê"(١)، أما الأخير فقد تتلمذ على يد **مترودوروس** "Mêtrodôros" من جزيرة خيوس، الذى اعتاد أن يردد القول بأنه لا يعرف شيئًا حتى ولا واقعة أنه لا يعرف شيئًا ***"mêd' auto tout ' eidenai hoti ouden oiden"***(٢). وكان **مترودوروس** بدوره تلميذًا للفيلسوف نيسَّاس "Nessas" من جزيرة خيوس، على الرغم من أن بعضنا يذهب إلى القول بأنه كان تلميذًا للفيلسوف **ديموقريطوس**. وكان **أناكسارخوس** قد رافق الإسكندر (الأكبر فى حملته)، حيث إنه ازدهر إبان الفترة الأوليمبية

(١) ذكر مؤلف الموسوعة هنا – كما أشرنا أعلاه فى الحاشية رقم (١) على الفقرة (٥٧) – الفيلسوف **ديوجينيس** من أزمير بوصفه حلقة وصل بين **ديموقريطوس** و**أناكسارخوس**.
قارن: **كليميس السكندري**، الطبقات، الجزء الأول، ص٣٠١ د: "كان كل من **بروتاجوراس** من أبديرا ومترودوروس من خيوس تلميذين للفيلسوف **ديموقريطوس**. كما كان **ديوجينيس** من أزمير تلميذًا (للفيلسوف) **مترودوروس** الذى كان معلمًا **لأناكسارخوس**. وكان الأخير أستاذًا للفيلسوف **بيرون** (الشكاك)، الذى كان بدوره تلميذًا **لناوسيفانيس**". وقارن أيضًا: **يوسيبيوس**، العدة الإنجيلية، الجزء الرابع عشر، فصل ١٧، فقرة ١٠؛ **إبيفانيوس**، عن الإيمان، الفصل التاسع، ص٥٩١. [المراجع]

(٢) وهو قول مشابه لما قاله سقراط من قبل: "أعرف شيئًا واحدًا، هو أننى لا أعرف شيئًا! *hen oida hoti ouden oida*"، وإن كان **مترودوروس** يذهب إلى أبعد مدى مما قاله **سقراط**؛ فالحقيقة المؤكدة عند شيخ الفلاسفة هى أنه لا يعرف شيئًا على وجه اليقين سوى أنه جاهل، أما **مترودوروس**، فلا يعرف شيئًا على الإطلاق حتى ولا واقعة أنه جاهل. [المراجع]

العاشرة بعد المئة (أى خلال الفترة من عام ٣٤٠ – ٣٣٧ ق. م.). وكان **أناكسارخوس** عدوًا لطاغية جزيرة قبرص المدعو **نيقوقريون** "Nikokreôn". وذات مرة عندما سأله الإسكندر أثناء مأدبة "*symposion*" كان يقيمها عما إذا كانت هذه المأدبة تروق له، أجاب بقوله: "**مولاى الملك، إن كل ما فيها رائع وفخيم "*polytelôs*"، ولا ينقصها سوى رأس وال بعينه كان ينبغى أن تقدم على المائدة"**.

(فقرة ٥٩)

وكان يلمح (بهذا القول) إلى **نيقوقريون** الذى لم يغفرها له قط، بل أضمر فى نفسه الحقد "*mnêsikakêsas*". وبعد وفاة الملك (الإسكندر)، اضطر **أناكسارخوس** للإبحار إلى جزيرة قبرص، فبادر الطاغية **نيقوقريون** إلى القبض عليه، وأمر بالقذف به فى هاون ضخم "*holmos*" وبضربه بيد هاون حديدية "*sidêroi hyperoi*". لكن **أناكسارخوس** لم يكترث بالعقاب وقال فى هذا الصدد قولته التى غدت مثلاً سائرًا "*peripheromenon*": "**اسحق "*ptisse*" ذلك الوعاء الذى يحوى (جسد) أناكسارخوس، فإنك مع ذلك لن تسحق أناكسارخوس!**". وعندما أمر **نيقوقريون** بقطع "*ektmêthênai*" لسان **أناكسارخوس**، تقول الرواية إن الأخير بادر إلى قضم "*apotragôn*" قطعة من لسانه ثم بصقها فى (وجه الطاغية). وإليكم القصيدة التى نظمتها عنه، وهى على النحو التالى[1]:

"اسحق واطحن، يا نيقوقريون، بشدة كما بدا لك! ، فلست تسحق سوى الوعاء وأيم الحق! فإن (روح) أناكسارخوس

---

(١) انظر كتاب "المختارات البالاتينية"، الجزء السابع، إبجرامة رقم ١٣٣. [المراجع]

قد غدت مستقرة عند زيوس منذ أمد بعيد! وإن الربة بيرسيفونى – بعد أن تجتذبك نحوها بأمشاطها التى تمشط بها الصوف، سوف تصرخ فى وجهك بالكلمات التالية:

"ألا فلتخسأ، أيها الطحان الشرير!".

(فقرة ٦٠)

ولقد سمى **أناكسارخوس** – بسبب جَلَدِه "*apathia*" وقناعته "*eukolia*" أو رضاه بحياته– باسم الرجل السعيد ، وكان قادرًا على أن يرد أى شخص إلى العقل والصواب بأيسر طريقة ممكنة. وعلى أى حال، فقد تسنى له أن يثنى الإسكندر (الأكبر) عن مقصده حينما تصور الأخير نفسه إلهًا. ذلك أنه عندما رأى الدماء "*haima*" وهى تسيل من جرح "*plêgê*" (كان قد أصيب به)، قال: "**أجل ! إن هذه دماء وليست كما قال الشاعر:**

"ذلك السائل "ichôr" الذى يجرى فى شرايين الأرباب المباركين *makaressi*"[١].

غير أن **بلوتارخوس** حكى لنا أن هذه العبارة جاءت على لسان الإسكندر، وكانت موجهة منه إلى أصدقائه وخلانه[٢]. وفضلاً عن ذلك، ففى مناسبة أخرى كان **أناكسارخوس** يرفع الكأس "*kylix*" ليشرب نخب (الإسكندر الأكبر)، فقال ما يلى:

"إن واحدًا من الأرباب سوف يسقط بضربة يد إنسان فان"[٣].

---

(١) هذا بيت نظمه **هوميروس** فى ملحمة الإليـاذة، النشيد الخامس، بيت رقم ٣٤٠. [المراجع]

(٢) انظر: **بلوتارخوس**، سيرة حياة الإسكندر الأكبر، فصل ٢٨. [المراجع]

(٣) وهذا بيت مأخوذ من مسرحية أورستيس لشاعر التراجيديا **يوريبيديس**، بيت رقم ٢٧١. [المراجع]

الفصل الحادى عشر

بيرّون "Pyrrhôn"

(من نحو عام ٣٦٠ – ٢٧٠ ق.م.)

(فقرة ٦١)

كان **بيرّون** من إليس "Êlis" هو ابن **بليسطارخوس** "Pleistarchos"، على نحو ما يقصه علينا **ديوكليس**؛ ولكن وفقًا لما يذكره لنا **أبولّودوروس** فى كتابه المسمى "**التقويم الزمنى**" "*Chronika*"، فإن **بيرّون** كان فى مبدأ الأمر رسامًا "*zôgraphos*"، وإنه تلقى دروسه على يد **استلبون** "Stilpôn" **بن بريسون** "Brysôn"[١]، وذلك وفقًا لما ورد عند **أليكساندروس** فى كتابه **تعاقب الفلاسفة** "*Diadochai* ". ثم من بعد ذلك درس **بيرّون** على يد **أناكسارخوس** وتبعه فى تجواله فى كل مكان، إلى أن التقى بالحكماء العراة "*Gymnosophistai*" وبالمجوس "*Magoi*" فى الهند. وانطلاقًا من هذا اعتنق **بيرّون** أعظم نظريات الفلسفة نبلاً، وهى تلك النظريات التى اتخذت صورة اللا أدرية "*akatalêpsia*" والامتناع عن إبداء الحكم "*epochê*"[٢]، على نحو ما يخبرنا به **أسكانيوس** "Ascanios" من أبديرا. ولقد أنكر **بيرّون** أن يكون هناك أمر جميل أو قبيح، عادل أو غير عادل[٣]. ولقد ذهب **بيرّون** بالمثل

---

(١) من الواضح أن الترتيب الزمنى يمنع الافتراض بأن بيرّون كان تلميذا لاستلبون أو لبريسون. [المراجع]

(٢) المقصود "باللا أدرية" الفلاسفة الذين لا يقطعون رأيًا فى أى مسألة، ويقولون "لا أدرى"، فهى التوقف عن الإثبات أو النفى، أو بعبارة أخرى، هى تعليق الحكم. (المترجم)

(٣) وهذا يعنى أن الفعل الجزئى لا يكون عادلا أو غير عادل. [المراجع]

إلى أنه لا يوجد شيء من الأشياء كافة له وجود فى الحقيقة أو فى الواقع(١)، وأن ما يسود السلوك البشرى هو التقاليد والعادة، لأنه لا شيء فى ذاته أكثر من هذا أو ذاك.

(فقرة ٦٢)

ولقد اتبع **بيرّون** فى حياته ما يتوافق مع هذه النظرية، ولم يَحِدْ عن هذا المنهج ولم يتخذ الحيطة منه، بل واجه جميع المخاطر، سواء كانت عربات أو حظوظ أو شفا جرف هاو أو كلاب أو ما خلا ذلك، دون أن يدع شيئًا لحكم الحواس. وكان أصدقاؤه الذين اعتادوا على السير خلفه يقومون بإنقاذه من الخطر فى كثير من الأحيان، على نحو ما يذكره لنا **أنتيجونوس** من كاريستوس والذين معه. بيد أن **آينيسيديموس** "Ainesidêmos" يخبرنا بأن **بيرّون** كان يعتمد فى فلسفته على تعليق الحكم أو الامتناع عن الإدلاء به، وأنه لم يكن يفتقر إلى التبصر فى سلوكه اليومى، وأنه عاش حتى بلغ التسعين من عمره.

ويخبرنا **أنتيجونوس** من كاريستوس فى كتابه المسمى "عن بيرّون" بالمعلومات التالية عنه، وهي: إنه كان فى مبدأ الأمر رسامًا مغمورًا "*adoxos*" وفقيرًا "*penês*"، وإن هناك لوحة متواضعة من رسمه تمثل المتسابقين فى سباق المشاعل "*Lampadistai*" قد حفظت لنا فى مبنى الجمناسيون الكائن فى مدينة إليس.

---

(١) قارن ما يقوله **باسكال** "Pascal" فى خواطره "*Pensées*": "يقول المذهب البيرّونى إن كل شيء حقيقى من ناحية، وكاذب من ناحية". (الخاطرة رقم ٣٨٥ من نشرة برونشفيك). (المترجم)

(فقرة ٦٣)

ويخبرنا كذلك بأن **بيرّون** قد هجر المجتمع وعاش فى عزلة، وكان نادرًا ما يظهر أمام ذوى قرباه وبنى جلدته. وكان السبب في إقدامه على فعل ذلك هو أنه سمع أحد الهنود وهو يوبخ **أناكسارخوس** قائلاً له إنه لن يتسنى له أبدًا أن يعلم سواه الخير مادام أنه يقوم على خدمة (الملوك) فى البلاط الملكى. وكان حريصًا على الاحتفاظ برباطة جأشه على الدوام، فحتى ولو انصرفت عنه أثناء حديثه، فإنه كان يرى لزامًا عليه أن ينهى الحديث الذى بدأه دون وجود من يستمع إليه، على الرغم من أنه كان فى شبابه سريع التأثر [بتصفيق الجمهور المحتشد وبالطموح إلى الشهرة] (١). ويضيف محدثنا قائلاً إن: (**بيرّون**) كان يرتحل خارج مدينته دون أن يخبر أحدًا بذلك، وكان يتجول بصحبة من يريد. وذات مرة حينما سقط **أناكسارخوس** فى وهدة موحلة، مر **بيرّون** بجواره دون أن يمد له يد المساعدة. وعلى الرغم من أن بعضًا لام بيرّون على هذه الفعلة، فإن **أناكسارخوس** نفسه أثنى عليه نظرًا لعدم اكتراثه "*adiaphoros*" وبرود أعصابه "*astorgos*".

(فقرة ٦٤)

وعندما ضبط **بيرّون** ذات مرة متلبسًا بمحادثة نفسه، وسُئل عن السبب فى ذلك أجاب بقوله إنه كان يتدرب على أن يكون شخصًا فاضلاً "*chrêstos*". وفى المناقشات، لم يكن أحد ينظر شذرًا إلى **بيرّون** أو يزدريه، نظرًا لأنه كان يتحدث باستفاضة كما كان يصمد أمام طرح الأسئلة. ومن هنا فقد افتتن به **ناوسيفانيس** "Nausiphanês" بالفعل عندما كان شابًا،

---

(١) ما بين الأقواس المربعة هى العبارة التى أضافها الأستاذ **ديلز** "Diels" إلى النص فى الثغرة الموجودة فى هذا الموضع من المخطوطة. [المراجع]

وكان من عادة **ناوسيفانيس** – على أى حال – أن يصرح بأنه حرى به أن يقتفى خطى **بيرّون** فى تصرفاته فقط، وأن عليه أن يتمسك بمنصبه هو. كذلك اعتاد **ناوسيفانيس** أن يقول مرارًا إن الفيلسوف **إبيقوروس** (إبيقور) كان معجبًا بطريقة **بيرّون** فى الحياة، وإنه كان يستفسر منه على الدوام عن أحوال **بيرّون**. وكان من دأبه أن يقول كذلك إن **بيرّون** كان يلقى صنوفًا من التكريم من وطنه، لدرجة أنهم عينوه فى منصب الكاهن الأعظم "*archiereus*"، كما صوتوا إكرامًا لخاطره بإعفاء جميع الفلاسفة من الضرائب "*ateleia*".

(فقرة ٦٥)

وفضلاً عن ذلك، فقد كان هناك كثيرون ممن حاكوه ونسجوا على منواله فيما يختص بالامتناع عن إصدار الحكم "*apragmosynê*"، ومن هنا فإن الفيلسوف **تيمون** قال عنه فى عمله المسمى بيثو "*Pythô*" ....[١]، كما قال عنه فى قصائده الهجائية الساخرة "*Silloi*"[٢] ما يلى[٣]:

"أى بيرّون، أيها الشيخ، كيف تسنى لك أن تعثر على مهرب من استعباد السوفسطائيين ومن ترهاتهم وخواء عقولهم؟ وكيف تسنى لك أن تحرر نفسك من أغلال كل صنوف الخداع والمخاتلة والإغواء؟

---

(١) نلاحظ أن الاقتطاف الذى تم اقتباسه من عمله المسمى **بيثو** مفقود فى المخطوطة، وهذه النقط تدل على ذلك. [المراجع]

(٢) انظر: ديوان القصائد الهجائية الساخرة "*Silloi*"، شذرة رقم ٨٤ د. [المراجع]

(٣) قارن: **هوميروس**، الإلياذة، النشيد الثانى، بيت رقم ٧٩٦؛ الأوديسية، النشيد السادس عشر، بيت رقم ٤٦٥. [المراجع]

ذلك أنك لم تكلف نفسك عناء البحث فى المسائل التاليـة: مـا النسمات التى تهب على بلاد اليونان، ومن أين تهب، وإلى أين يقدر لكل منها أن تبلغ مسارها !".

كذلك قال عنه فى عمله المسمى **الأوهام** "*Indalmoi*" ما يلى(١):

"أى بيرّون، لعمرى إن هذا لأمر يتوق قلبى بشدة إلى سماعه،

ترى كيف تسنى لك وأنت رجل فان أن تصل إلـى الطمأنينـة الفكرية بمثل هذه السهولة؟

ولماذا تظفر وحدك بمقعد الصدارة بين البشر وكأنك رب مـن الأرباب؟".

(فقرة ٦٦)

ولقد كرمه الأثينيون بمنحه حق المواطنة فى مدينتهم، على نحـو مـا يذكر **ديوكليس** "Dioklês" ، وذلك بسبب أنه أقدم على ذبح **كوتيس** "Kotys" الثراقى، فضلاً عن أنه عاش بتقوى وورع مع شقيقته التى كانت تعمل قابلة "*maia*"، على نحو ما يحدثنا به **إراتوستينيس** فى عمله المسمى **عن الثراء والفقر** "*Peri Ploutou kai Penias*". وكان **بيرّون** يحمل من آن لآخر سلعًا مما يقدر له أن يعثر عليها، مثل الدجاج "*ornithia*" أو الخنازير "*choiridia*"، لكى يقوم ببيعها فى ساحة السوق، ولم يكن يكترث "*adiaphorôs*" مثقال ذرة بتنظيف الأثاث الموجود فى منزله. ويقال إنه لم يكن يقوم بغسل الخنـوص (الخنزير الصغير) "*delphax*" الذى كان يقوم بتسمينه بسبب عـدم اهتمامـه "*adiaphoria*".

(١) انظر: "ديوان القصائد الهجائية الساخرة"، شذرة ٦٧ د. [المراجع]

وعندما استبد به الغضب "*cholêsas*" ذات مرة من مسلك شقيقته التـــى كانت تدعى فيليستا "Philista"، رد على الشخص الذى انتقده ولامه بقوله إن أخته ليست امرأة من النوع الذى يحجم المرء عن إظهار عـــدم الاكتـــراث بأمره. وعندما هاجمه كلب ذات مرة وجعله يصاب بالرعب قال لمن انتقده: إنه قد يكون من الصعب على المرء أن يتنصل بالكامل من ضعفه البشرى، ولكن على المرء أن يناضل أولاً بكل ما أوتى من قوة الأعمال ضد الوقائع، فإن لم يستطع فليكافح بالكلمات.

(فقرة ٦٧)

ويقولون إن **بيرّون** قد صمد وتحمل عندما وضعت أدوية مضادة للتقيح "*septika*" على جرح كان قد أصيب به، وكذا عندما أجريت له جراحة وكى على الجرح نفسه. ولقد ألقى **تيمون** الضوء على ميول **بيرّون** فى سياق عمله المسمى "بيثون". فضلاً عن أن **فيلـــون** "Philôn" الأثينى الذى كان صـــديقه، اعتاد على أن يقول إن (**بيرّون**) كان لا يفتأ يذكر **ديموقريطـــوس** بـــشغف، وكان مغرمًا من بعده بالشاعر **هوميروس** كما كان معجبًا به، وكان من دأبه أن يتلو البيت التالى(١):

"مَثَلُ أجيال البشر كمَثَلِ أوراق الأشجار!".

وكان سر إعجابه بهوميروس يرجع إلى أن الأخير شبه البشر أيـــضًا بالزنابير "*sphêkes*"، والذباب "*myiai*"، والطيور "*orneioi*". وكـــان لا يفتـــأ يردد كذلك الأبيات التالية(٢):

---

(١) قارن: هوميروس، الإلياذة، النشيد السادس، بيت رقم ١٤٦. [المراجع]
(٢) قارن: هوميروس، الإلياذة، النشيد الحادى والعشرون، بيت رقم ١٠٦ وما بعده. [المراجع]

"وأنت أيضًا، يا صديقى، آن لك أن تلقى الآن نحبك، فلماذا تنتحب حزنًا على مصيرك هكذا؟ فلقد قضى باتروكلوس نحبه كذلك، مع أنه كان أفضل منك بكثير!".

وكان معجبًا أيضًا بكل الفقرات التى (وردت فى أعمال هوميروس)، وكانت تدور حول تذبذب مصائر البشر وطموحهم الأجوف وحماقاتهم الطفولية(١).

(فقرة ٦٨)

ويروى عنه **بوسيدونيوس** أيضًا رواية من هذا القبيل، ذلك أنه عندما كان المبحرون معه على متن السفينة يشعرون بالحزن والكدر بسبب العاصفة العاتية، كان **بيرّون** هو وحده الذى تحلى بالهدوء ورباطة الجأش، حيث طفق يشير إلى خنزير صغير فى السفينة كان منهمكًا فى تناول طعامه، ثم أخبرهم بأن الشخص الحكيم هو الذى ينبغى عليه أن يحافظ على مثل هذا الاطمئنان. ونلاحظ أن **نومينيوس** "Noumênios" هو وحده الذى يروى عنه طائفة من المعتقدات الفكرية، فقد كان **بيرّون** يحظى بتلاميذ مشهورين، وكان من بينهم تلميذ يدعى **يوريلوخوس** "Eurylochos" رُويت عنه المثلبة التالية: ذلك أنهم

---

(١) يبدو أن المادة التى استقاها **ديوجينيس لائيرتيوس** عن **أنتيجونوس** من كاربستوس تنتهى فى هذا الموضع. ولا يتيسر لنا أن نعرف مصدر المادة التى يستخدمها فى الفقرات التالية ٦٩ – ١٠٨، وفى الفقرتين ١١٥ – ١١٦. وربما يجوز لنا أن نفترض أن **ديوجينيس لائيرتيوس** – الذى كان ملتزمًا بالحياد عند عرضه لتعاليم مدرسة الشكاك – قد حرص على أن يستمد معظم مادته على قدر استطاعته من مصادر متعددة. ولقد قيل إن **ديوجينيس لائيرتيوس** كان يرجع فى هذا الصدد إلى عمل عن الشكاك كان بحوزته، ولو صح ذلك فلا بد أن هذا العمل كان من تأليف شخص معاصر له، أو من تأليف كاتب ليس أقدم زمنيا من **سيكستوس إمبيريكوس** (الذى سيرد ذكره فى الفقرة ٨٧ أدناه)، أو **أنطيوخوس** من لاؤوديكيا (الذى سيرد ذكره فى الفقرة رقم ١٠٦ أدناه). [المراجع]

يقولون إنه شعر بحنق بالغ ذات مرة، لدرجة أنه حمل السفود وقطع اللحم مثبتة فيه، وشرع في مطاردة الطباخ والسفود في يده حتى بلغ ساحة السوق.

(فقرة ٦٩)

وذات مرة كان **بيرّون** فى مدينة إليس "Elis"، فضاق ذرعًا بأسئلة السائلين من تلاميذه، فما كان منه إلا أن خلع عنه رداءه وطوح به بعيدًا وشرع فى السباحة عبر نهر ألفيوس "Alpheios". ولقد حدثنا **تيمون** فقال إن **بيرّون** كان شديد العداء للسوفسطائيين. أما **فيلون** "Philôn" الذى اعتاد أن يحادث نفسه كثيرًا جدًا، فقد وردت إشارة عنه فى البيتين التاليين(١):

"أجل إنه هو ذلك الشخص الذى ينشغل بنفسه عن الناس ليتحدث مع نفسه،

إنه فيلون الذى لا يبالى بالشهرة ولا يأبه بالمنازعات أو التشاحن".

وبالإضافة إلى هؤلاء، كان هناك تلاميذ آخرون تتلمذوا على يدى **بيرون**، من بينهم **هيكاتيوس** من أبديرا "Hekataios Abdêritês"، **وتيمون** من فليوس "Timôn Phliasios" ناظم القصائد التهكمية الساخرة "*Silloi*" الذى سبق أن تحدثت عنه، وكذا **ناوسيفانيس** من جزيرة تيوس"Nausiphanês Têios" الذى يقولون إنه كان تلميذًا للفيلسوف **إبيقوروس**. وهؤلاء جميعًا يُسمون الفلاسفة البيرونيين "*Pyrrôneioi*" نسبة إلى اسم أستاذهم ومعلمهم، كما

(١) قارن: هوميروس، الأوديسية، النشيد الحادى والعشرون، بيت رقم ٣٦٤. [المراجع]

يسمون أيضا: الفلاسفة المرتابين أو المتحيرين "*Aporêtikoi*"، والشكاك "*Skeptikoi*"، ومن يعلقون الأحكام "*Ephektikoi*" وكذا المستقصين "*Zêtêtikoi*"، بناء على محتوى معتقداتهم.

(فقرة ٧٠)

ولقد سُموا بالمستقصين أو الباحثين نظرًا لأنهم كانوا يبحثون دائمًا عن الحقيقة؛ وسُموا بالشكاك نظرًا لأنهم كانوا يبحثون دائمًا عن حل ولكنهم لا يعثرون عليه أبدًا؛ وسُموا بمعلقى الأحكام أو المرتابين نظرًا للحالة الذهنية التى كانت تلى بحثهم، وأعنى بها حالة تعليق الحكم أو الامتناع عن إبدائه؛ وسُموا بالمرتابين نظرًا لما يحسون به من تحير وارتباك هم والفلاسفة الدوجماطيون "*Dogmatikoi*"؛ أما تسميتهم بالفلاسفة البيرّونيين فهى ناتجة عن أستاذهم **بيرّون**. وينكر **ثيودوسيوس** "Theodosios" فى كتابه المسمى **فصول عن الشكاك** "*Skeptika Kephalaia*" أن مدرسة الشكاك يجب أن تسمى المدرسة البيرّونية، لأنه إذا كانت حركة الذهن فى أى من الاتجاهين أمر لا يمكن التوصل إليه، فلن يتيسر لنا أن نعرف ما الذى يقصده **بيرّون**، ودون معرفتنا لذلك فلن يتسنى لنا أن نُسَمى **بيرّونيين**. وإلى جانب هذا (وهذا هو كلامه) فهناك الحقيقة القائلة بأن بيرّون ليس هو مؤسس مدرسة الشكاك، وأنه فضلاً عن ذلك ليس لديه مذهب من نوع ما. ولكن يمكن القول بأن البيرّونى هو من يشبه (بيرّون) فى عاداته وطريقة حياته.

(فقرة ٧١)

ويذهب بعض إلى أن (الشاعر الملحمى) **هوميروس** هو مؤسس هذا المذهب، نظرًا لأنه كان يجيب عن القضايا ذاتها بإجابات مختلفة فى أوقات

مختلفة، كما أنه لم يكن محددًا أو جازمًا فى إجابته. ثم من بعد ذلك اعتبروا أن أقوال الحكماء السبعة "*Hepta Sophoi*" منتمية إلى الشك "*Skeptika*"، مثال ذلك: "**لا تتبع الشطط**"، "**العَهدُ وبالٌ وشيكُ الحدوث**"، وهذا يعنى أن من قطع على نفسه عهدًا بثقة وإخلاص فسوف يجلب على نفسه الوبال. كذلك فقد كان كل من (شاعر الهجاء) **أرخيلوخوس** "Archilochos" و(شاعر التراجيديا) **يوريبيديس** ذوى نزعة شكاكة، ومن ذلك قول **أرخيلوخوس**(١):

"**أى جلاوكوس يا ابن ليبتينيس، مَثَلُ النفس بالنسبة للبشر**

كمَثَلِ يوم (قصير) يمر على الفانين، يمنحه لهم الإله زيوس".

وكذا قول **يوريبيديس**(٢):

"**(أى زيوس)، ترى لماذا يقولون إن لدى البشر الفانين التعساء عقول يفكرون بها؟ ألسنا نعتمد عليك فى فعل الأمور**

التى تريدها وتلك التى قد تلقى هوى فى نفسك عند حدوثها ؟".

(فقرة ٧٢)

وفضلاً عن ذلك فقد اعتبروا أن كلاً من **اكسينوفانيس** "Xenophanês" **وزينون الإيلى** "Eleatês Zênôn" **وديموقريطوس** هم أنفسهم من الشكاك. أما **إكسينوفانيس** فلأنه قال ما يلى(٣):

"**ليس هناك إنسان رأى، ولا شخص تسنى له أن يعرف الحق الواضح الصراح!**".

---

(١) انظر الشذرة رقم ٧٠ ب. [المراجع]

(٢) وهذه الأبيات الثلاثة مقتطفة من مسرحيته "الضارعات"، ٧٣٥ - ٧٣٧. [المراجع]

(٣) انظر: الشذرة رقم ٣٤ د. [المراجع]

وأما **زينون الإيلى** فقد اعتبر شكاكًا؛ لأنه أبطل الحركة بقوله: "إن الجسم المتحرك لا يتحرك فى المكان الذى يوجد فيه، ولا فى المكان الذى لا يوجد فيه". وأما **ديموقريطوس** فلأنه رفض الكيفيات "*poiotêtai*" وذلك بقوله: **[(يقول) الظن إن الشىء بارد أو ساخن، ولكن الواقع (يقول) إن ما هو موجود ذرات "*atoma*" وخلاء "*kenon*".]** ويقول أيضًا: **"نحن لا نعرف شيئًا عن الحقيقة، لأن الحقيقة فى جُب "*bythos*" (سحيق)"**[١]. كذلك فقد ترك أفلاطون الحقيقة للآلهة ولأبناء الآلهة، وطفق يبحث عن التفسير المحتمل "*logos eikôs*". وأما **يوريبيديس** فلأنه قال[٢]:

(فقرة ٧٣)

"من ذا الذى يعرف ما إذا كانت الحياة هى الموت،

وأن ما يعتقد الفانون فى أنه الموت هو الحياة؟".

وأما **إمبيدوقليس** "Embedoklês" فلأنه قال [٣]:

"وهكذا، فإن هذه الأمور لا يمكن للناس رؤيتها ولا سماعها

ولا حتى إدراكها بالعقل".

ولأنه قال قبل ذلك[٤]:

"كل شخص يثق فحسب فيما حصله (عن طريق الخبرة)".

---

(١) الترجمة الحرفية للعبارة "*en bythô*" تعنى "فى هاوية سحيقة"، وهذا أفضل من قولنا "الجُب" أو "البئر"، حيث إنه قول غير ملائم. [المراجع]

(٢) انظر: **ناوك**، شذرات كتاب التراجيديا الإغريق، الطبعة الثانية، شذرة رقم ٦٣٨ من شذرات **يوريبيديس**؛ وشذرة رقم ٧ من شذرات **بوليدوس**، الشاعر السوفسطائى. [المراجع]

(٣) انظر: الشذرة رقم ٢، ١، ٧. [المراجع]

(٤) انظر: الشذرة رقم ٢، ١، ٥. [المراجع]

أما هيراقليطوس "Herakleitos" فلأنه قال[١]:

"دعنا لا نلجأ إلى التخمين بطريقة عشوائية فى أشد القضايا خطورة وجسامة".

ثم من بعد ذلك نجد **هيبوقراطيس** "Hippokratês" الذى أظهر نفسه شكاكا "*endoiastôs*" ولكن بطريقة إنسانية. ومن قبلهم جميعًا نجد **هوميروس** الذى قال[٢]:

"لسان الفانين ذرب وطيع، فالحكايات التى يقصونها كثيرة (تفوق الحصر)".

وقال أيضًا:

"إن المرعى مفعم بالكلمات التى تتناثر هنا وهنالك".

وقال أيضًا:

"إن ما تفوهت به من ألفاظ سوف يتردد على مسامعك مرة أخرى".

وذلك حينما يتحدث عن القيمة المتساوية للأقوال المتناقضة.

(فقرة ٧٤)

وكان الفلاسفة الشكاك آنذاك يمضون جل وقتهم فى تقويض دعائم معتقدات المدارس الأخرى دون أن يقدموا معتقدات خاصة بهم؛ وعلى الرغم من أنهم كانوا يمضون إلى الحد الذى يفسرون فيه معتقدات الآخرين، فإنهم

---

(١) انظر: الشذرة رقم ٤٧ د، والشذرة رقم ٤٨ ب. [المراجع]
(٢) انظر: الإلياذة، النشيد العشرون، أبيات ٢٤٨ – ٢٥٠. [المراجع]

كانوا هم أنفسهم لا يعرضون شيئًا محددًا ولا يؤسسون شيئًا ما من عندياتهم. ولقد بلغ بهم الحال أنهم كانوا ينبرون لدحض ما قصروا في وضعه أو إظهاره (من أسس)، وكانوا يقولون في هذا الصدد: "**نحن لا نفسر ولا نحدد شيئًا**"، وذلك حيث إنهم لو عرضوا ما عندهم (لانزلقوا) إلى التفسير أو التحديد[1]، وهذا هو ما قالوه: "**لو أننا عرضنا شيئًا؛ من عندياتنا وعبرنا عن آرائنا أو نظرياتنا، فإننا نعرضه بغرض توضيح موقفنا غير المتهور، وبالتحديد مثلما نفعل لو أننا قبلنا هذه الآراء وأقررنا بها بالفعل. ومن ثم فإن التعبير القائل: نحن لا نفسر ولا نحدد شيئًا؛ يشير إلى حالة شعورية من التوازن المطرد**". وهذا مماثل لما هو وارد في التعبيرات الأخرى، مثل: "**ليس هناك شيء أكثر وجودًا من شيء آخر**"، ومثل: "**كل مقولة لها مقولة مضادة لها**"، وما شابه ذلك من تعبيرات.

(فقرة ٧٥)

غير أن التعبير القائل: "**ليس هناك شيء أكثر وجودًا من شيء آخر**" يمكن النظر إليه من منظور إيجابي، حيث إنه يشير إلى تماثل الأمرين، وهو مماثل للتعبير القائل: "**إن القرصان ليس أكثر شرًا من الكذاب**". غير أن الفلاسفة الشكاك لا يأخذون هذه التعبيرات من منظور إيجابي بل من منظور سلبي، وذلك مثلما ينبري المرء لدحض حجة فيقول: "**ليس لاسكيلا *Skylla* وجود أكثر من الخيمايرا *Chimaira***"[2]، أو مثلما نقول: "**إن هذا الأمر ذاته**

(١) انظر أدناه: الفقرة رقم ١٠٤. [المراجع]

(٢) سبق القول بأن **اسكيلا** كانت ابنة **فوركيس** "Phorkys" من الربة هيكاتي، ولقد أحبها الإله **بوسيدون**، رب البحر، ولكن **أمفيتريتى** "Amphitritē" منافستها على حب الإله قامت بتحويلها عن طريق أعشاب سحرية إلى وحش بحرى كان يقبع في كيف في مضايق ميسيني، وصار الوحش يقبض على السفن المارة ويحطمها ويلتهم بحارتها. وكانت هناك في مواجهة **اسكيلا** دوامة رهيبة تدعى **خاريبديس** "Charybdis" تفتك بمن يفلح في النجاة من براثن **اسكيلا**. أما=

يمكن أحيانًا **مقارنته على نحو أشمل**"، أو مثلما نقول: "**إن العسل أكثر حلاوة من العنب**". وأحيانًا يكون التعبير إيجابيًا وسلبيًا فى آن واحد، وذلك مثلما نقول: "**الفضيلة تفيد أكثر مما تضر**"، وذلك لأننا (فى هذه العبارة) نشير إلى أن الفضيلة تفيد ولا تضر.

(فقرة ٧٦)

غير أن الفلاسفة الشكاك يدحضون هذه العبارة القائلة: "**ليس هناك شيء أكثر وجودًا من شيء آخر**"، فكما أن التفكير المتروى ليس أكثر وجودًا من عدم الوجود، فمن ثم ليس هناك شيء أكثر وجودًا من شيء آخر. ومن ثم فإن العبارة تعنى – كما يقول **تيمون** فى كتابه الذى يحمل عنوان "**بيثون** *Pythôn*": "**غياب التفسير أو التحديد والامتناع عن إبداء الموافقة**". أما العبارة الأخرى القائلة: "**بأن كل مقولة لها.... إلخ**"(١) فتتطلب بالمثل تعليق الحكم والكف عن إبدائه. ذلك أنه عند اختلاف الوقائع أو تعارضها، وعندما تكون العبارات المتناقضة تحظى بالثقل ذاته، فإن النتيجة الضرورية لهذا تكون هى الجهل بالحقيقة. ولكن حتى هذه العبارة القائلة بأن "**كل مقولة لها مقولة مضادة**" لها نقيض يقابلها، حتى إنه بعد دحضها العبارات الأخرى فإن هذه العبارة تعود لتدحض نفسها، ومثلها فى ذلك مثل الأدوية المطهرة (المسهلة) التى تقوم (أولاً) بطرد المادة غير المرغوب فيها خارجًا، ثم من بعد ذلك تتحلل وتدمر نفسها بدورها.

= **الخيمايرا**، فكانت وحشًا له رأس أسد وجسم عنز وذيل ثعبان ضخم، وكان هذا الوحش من نسل **تريفون** "Tryphôn" الذى أنجبها من **إيخيدنا** "Echidna". [المراجع]

(١) أى التعبير القائل (انظر أعلاه: فقرة رقم ٧٤) بأن كل مقولة لها مقولة مضادة لها. [المراجع]

(فقرة ٧٧)

ويرد الفلاسفة الدوجماطيون على هذا بقولهم إن (الشكاك) لا ينكـرون العبارة بل يؤكدونها بوضوح، ولذا فهم يستخدمون فحسب الكلمات كما لـو كانت خُدّامًا "*diakonoi*"؛ لأنه ليس من الميسور عدم دحض عبارة بعبـارة أخرى، وكأننا اعتدنا[١] القول إنه ليس ثمة شيء اسمه المكان وأنـه ينبغـى الحديث عن المكان بغرض البرهنة والحجة وليس بسبب الاعتقاد الإيجـابي. تمامًا مثلما نقول إنه لا شيء يظهر إلى الوجود بالضرورة، ومع ذلك فيتعين علينا أن نتحدث عن الضرورة. وهذا هو نـوع التفـسير الـذى اعتـادوا استخدامه، فعلى الرغم من أن الأمور تبدو أنها على هذه الصورة أو تلـك، فإنها ليست هكذا بطبيعتها فى الواقع، بل تبدو فقط أنها على هذا النحو. ثـم إنهم قد يقولون إنهم يبحثون لا عن الأفكار، مادامت الأفكار واضحة بوصفها أفكارًا، ولكن عن الأمور التى تشارك فيها الأحاسيس بنصيب.

(فقرة ٧٨)

وبناء على ذلك، فإن المبدأ البيرّونى - كمـا يقـول **أينيـسيديموس** "Ainesidêmos" فى مقدمة كتابه المسمى "مدخل إلى الفلـسفة البيرّونيـة" - عبارة عن تقرير إعلامى "*mênysis*" عن الظواهر أو الأحكام العقلية أيًا كان نوعها، وهو تقرير يتم فيه إحضار جميع الأشياء التى تُـؤثِّرُ إحـداها فـى الأخرى، والتى يتضح بالمقارنة أنهـا موجـودة أو ماثلـة بطريقـة شـاذة

(١) نلاحظ أن المؤلف هنا - سواء كان هو **ديوجينيس لائيرتيوس** أو المصدر الذى ينقل عنه - يبدو كما لو كان يتخذ سمة الفيلسوف الشكاك، ويتكرر هذا فـى الفقـرة رقـم ١٠٤ أدنـاه. [المراجع]

ومضطربة. أما فيما يتعلق بالتناقضات فى شكوكهم، فإنهم كانوا يبينون (فى البداية) الطرائق التى تكتسب الأمور عن طريقها المصداقية، ثم إنهم كانوا بواسطة هذه الطرائق ذاتها يقدمون على دحض التصديق أو الإيمان بها، ذلك أنهم دأبوا على القول بأن هذه الأمور تكتسب المصداقية إما عن طريق الحواس طبقًا لاتفاقها معها، وإما عن طريق ما هو ثابت لا يتغير قط أو نادرًا ما يتغير، مثلما تصبح الأشياء المألوفة أو التى تحددت بواسطة القوانين أو تلك التى تُسْعِدُ أو تثير الدهشة.

(فقرة ٧٩)

ومعنى ذلك أنهم كانوا يبينون – عن طريق ما هو عكسى أو مناقض لما يمكن تصديقه والإيمان به – أن الاحتمالات متساوية فى رجحانها على الجانبين معًا. وتتبدى المعضلات أو الارتباكات "*aporiai*" من التوافقات القائمة بين المظاهر والأحكام العقلية. وهم يميزون هذه الارتباكات عن طريق عشر حجج تظهر فيها موضوعات القضايا بصورة متنوعة. وفيما يلى الحجج العشر التى وضعوها[(١)]:

- الحجة الأولى تتعلق بالاختلافات القائمة بين الكائنات الحية بخصوص ما يقدم لأى منها اللذة أو الألم، والضرر أو النفع. ويستدل من ذلك على أن هذه الكائنات لا تتلقى الانطباعات ذاتها

(١) هذه الحجج العشر جمعت من قبل فلاسفة المدرسة الأكاديمية الجديدة الذين أوردوها لتبرير تعليق الحكم، وقد لخصيا الأستاذ **يوسف كرم** فى كتابه: "تاريخ الفلسفة اليونانية" تلخيصا جيدًا. (المترجم). قارن عنها ما كتبه الفيلسوف الشكاك **سيكستوس إمبيريكوس** "Sextus Empiricus" فى كتابه المسمى "مدخل إلى الفلسفة البيرّونية *Pyrrôneioi Hypotypôseis*" [الذى قام بنشره كل من **هـ. موتشمان** H. Mutschmann، ليبزج (١٩١٢) و **آي. بيكر** I. Bekker، برلين (١٨٤٢)]، الجزء الأول، فقرات ٣٦ – ١٦٣. [المراجع]

من هذه الأشياء نفسها، وهذا لأن مثل هذا الصراع يؤدى (بالضرورة) إلى تعليق الحكم أو الامتناع عن إبدائه "epechein". وذلك لأن هناك كائنات حية تتكاثر دون معاشرة، مثل الكائنات التى تعيش فى النار "ta pyribia"، ومثل طائر العنقاء "phoenix" العربى(١)، أو مثل الديدان "eulai". كما أن هناك كائنات حية أخرى تتكاثر عن طريق المعاشرة أو الجماع "epiplokê"، مثل بنى الإنسان وسائر الكائنات.

(فقرة ٨٠)

كذلك فإن كل طائفة من هذه الكائنات الحية تتميز عن سواها بطريقة أو بأخرى، ولهذا السبب فإنها تختلف بعضها عن بعض فى الحواس أيضًا، فالصقور "*kirkoi*" – على سبيل المثال– ذات إبصار حاد جدًا، والكلاب "*kynes*" ذات حاسة شم بالغة الدقة. من المنطقى إذن أنه إذا كانت الحواس – مثل حاسة الإبصار – بالنسبة إلى الكائنات الحية مختلفة، فسوف تكون الانطباعات المتولدة لديها مختلفة كذلك. فأغصان النباتات مثلاً بالنسبة إلى العنز طيبة المذاق فى الأكل، فى حين أنها بالنسبة إلى الإنسان مرة لاذعة؛ كما أن نبات الشوكران "*kôneion*" (٢) بالنسبة إلى الطائر السمان طعام يقتات عليه، فى حين أنه (سم) قاتل بالنسبة إلى الإنسان؛ كما أن الغائط بالنسبة إلى الخنزير طعام مستساغ، فى حين أنه بالنسبة إلى الفرس ليس كذلك.

- أما الحجة الثانية فتتعلق بطبائع البشر وخصوصياتهم فى المزاج والبنية، فعلى سبيل المثال نجد أن **ديموفون** "Demophôn" ،

(١) العنقاء: طائر خرافى زعم القدماء المصريون أنه يعمر خمسة أو ستة قرون، وبعد أن يحرق نفسه يولد مرة أخرى من رماده وهو أتم ما يكون شبابًا ونضرة وجمالاً. (المترجم)

(٢) ثمرة نبات الشوكران سامة، وهى التى شربها سقراط عندما حكم عليه بالإعدام. (المترجم)

ساقى الإسكندر (الأكبر)، كان معتادًا على أن يشعر بالحر عندما يجلس إلى مائدته فى الظل، وأن يشعر بالبرد ويرتجف حينما يجلس فى الشمس.

(فقرة ٨١)

كما أن **أندرون** من أرجوس "Andrôn Argeios" – وفقًا لما يرويه عنه **أرسطو**(١) – قد سافر عبر صحراء ليبيا التى لا زرع فيها ولا ماء دون أن يشرب. وفضلاً عن ذلك فإن هناك من يتوق إلى امتهان الطب ومن يتوق إلى امتهان الزراعة ومن يهفو إلى امتهان التجارة، كما أن طرائق الحياة ذاتها تضر نفرًا من الناس ولكنها تفيد نفرًا آخر منهم.

- وأما الحجة الثالثة فتعتمد على الاختلافات القائمة بين مسارات الحس، فالتفاحة مثلاً عند مشاهدتها تكون صفراء اللون باهتة، وعند مذاقها تكون حلوة، وعند الشم تكون ذات أريج شذى. كما أن الشيء الذى له الشكل ذاته يبدو مختلفا تبعًا لاختلاف المرايا التى تعكس صورته، وينتج عن ذلك بالتالى أن ما يظهر ليس بالأحرى هو هذا الشيء أو ذاك بل شيء آخر مختلف.

(فقرة ٨٢)

- وأما الحجة الرابعة فترجع إلى اختلافات الانطباعات **"diatheseis"** وإلى التغييرات بصفة عامة، مثال ذلك: الصحة، المرض، النوم، اليقظة، الفرح، الحزن، الشباب، الشيخوخة، الشجاعة، الخوف، الحاجة، الشبع أو الامتلاء **"plêrôsis"**، الكراهية، الحب، الحرارة والبرودة، ناهيك عن التنفس **"to pnein"**

---

(١) انظر شذرة رقم ١٠٣ من الطبعة التى نشرها الأستاذ روز "Rose" . [المراجع]

على الـــرغم مـــن انـــسداد المـــسارات أو القنـــوات "**poroi**". فالانطباعات التى تتولد على هذا النحو تختلف باختلاف طبيعـــة الأحوال والظروف، كما أن المجـــانين ليـــسوا حالـــة مـــضادة للطبيعة، وإلا فلماذا تكون حالة هؤلاء المجانين بالأحرى أكثـــر من حالتنا؟ ثم إن الشمس عندما نراها تبدو ساكنة وهى ليـــست كذلك. كما أن الرواقى **ثيون** من تيثوريـــا اعتـــاد أن ينـــام وأن يمشى أثناء النوم، كذلك فإن عبد بريكليس كان يفعل الشىء نفسه على سطح المنزل.

(فقرة ٨٣)

- وأما الحجة الخامسة فهى مـــستمدة مـــن: العـــادات "**agôgai**"، والقوانين، والمعتقدات الأسطورية، والمعاهدات بـــين الـــشعوب والأمم ومن الافتراضات الدوجماطية. وتشتمل هذه الفئة علـــى الأمور المتعلقة بالجمال والقبح، بما هو صادق وما هو كـــاذب، بالخيرات والشرور، وبالأرباب وبكل ما يوجد أو يـــصير إلـــى زوال فى عالم الظواهر. ففى الحق إن الشىء الواحـــد يعتبـــر بالنسبة إلى بعض عادلاً وبالنسبة إلى بعض آخر ظالمًـــا، وقـــد ينظر إليه بعض باعتباره خيرًا وبعض آخر باعتباره شرًا. كمـــا أن الفُرس يعتقدون أن زواج المرء من ابنته أمر لا غبار عليه، فى حين أن الإغريق يعتبرون ذلك (الزواج) مسلكًا غير مشروع أو محرمًا. كذلك فإن الماساجيين "Massagetai" – طبقًا لما رواه **يودوكسوس** "Eudoxos" فى الجزء الأول من كتابـــه المـــسمى "الطواف "*Periodos*" (حول العالم)" – يجعلون زوجاتهم مشاعًا

بينهم، فى حين أن الإغريق لا يفعلون ذلك. كذلك فإن أهل قيليقيا "Kilikes"[(١)] يجعلون قرة أعينهم فى القرصـــنة، فـــى حـــين أن الإغريق لا يفعلون ذلك.

(فقرة ٨٤)

كذلك فإن كل أمة من الناس تؤمن بأرباب مختلفين جـــد الاخـــتلاف، وبعض يؤمن بالعناية الإلهية ولا يؤمن بها بعض آخر، وبعض يقومون بدفن جثث موتاهم، والمصريون يقومون بتحنيطها، بينما الرومان يقومون بحرقها، فى حين أن البايونيين "Paiones" يقومون بإلقائها فى البحيرات. لذا فلنجعل تعليق الحكم هو مسلكنا فيما يتعلق بالصواب.

- وأما الحجة السادسة فتتعلـــق بـــالأخلاط أو الأمـــشاج "*mixeis*" والامتزاج القائم بينها والذى لا يظهر بفعله شىء نقى خـــالص بذاته بل بامتزاجه مع الهواء، مع النور، مـــع الرطوبـــة، مـــع الصلابة، الحرارة، البرودة، الحركة، وبخـــار المـــاء والقـــوى الأخرى. كذلك فـــإن الثـــوب الأرجـــوانى "*porphyra*" يظهـــر درجات من اللون فى ضوء الشمس تختلف عنها فـــى ضـــوء القمر أو فى ضوء المصباح. كما أن لون بشرتنا يبدو مختلفاً فى وقت الظهيرة عما هو فى وقت غروب الشمس.

(فقرة ٨٥)

كذلك فإن الصخرة التى يحتاج رفعها إلى شخصين وهى فى الهـــواء يصبح تحريكها سهلاً وهى فى الماء، إما بسبب كونها ثقيلة فى الواقع ولكن

(١) قيلقيا "Kilikia": منطقة فى الجزء الجنوبى الشرقى من آسيا الصغرى، تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط تجاه الجنوب من جبال طوروس. (المترجم)

الماء يقوم برفعها، وإما بسبب كونها خفيفة ولكن الهواء يجعلها ثقيلة. ثم إننا نجهل خواصها الكامنة مثلما نجهل خواص الزيت المستخدم في الأدهنة والطيوب.

- أما الحجة السابعة فتتصل بالمسافات "*apostasies*" وخواص المواقع والأماكن وما يشغل الأماكن. وفي مثل هذا النوع فإن الأشياء التي يعتقد أنها كبيرة تبدو صغيرة، كما تبدو الأشكال المربعة مستديرة، وتبدو الأشكال المستوية ذات نتوءات وبروز، وتبدو الأشكال المستقيمة منحنية، كما تبدو الأشياء الباهتة "*ôchra*" ملونة. لذلك فإن الشمس بسبب بعد المسافة "*diastêma*" تبدو لنا صغيرة، وكذا الجبال عندما تكون بعيدة "*porrôthen*" تبدو لنا مغلفة بالضباب وملساء، في حين تبدو لنا عندما تكون قريبة "*engythen*" خشنة وعرة "*trachea*".

(فقرة ٨٦)

وفضلاً عن ذلك، فإن الشمس عند الشروق يكون لها مظهر معين، لكن هذا المظهر لا يكون مماثلاً عندما تتوسط كبد السماء. كذلك فإن الجسم ذاته يكون له مظهر معين داخل الغابة "*alsos*" ومظهر آخر مختلف في الأرض المكشوفة "*psilê gê*". كذلك فإن الصورة "*eikôn*" تختلف باختلاف موضع الشيء، كما تختلف رقبة الحمامة باختلاف طريقة التفاتها. ولذا فحيث إنه من المتعذر ملاحظة هذه الأشياء بمعزل عن الأماكن والأوضاع، فإن طبيعتها الحقيقية تكون مجهولة بالنسبة إلينا.

- وأما الحجة الثامنة فتتصل بكم الأشياء وكيفها، أو لنقل بدرجة حرارتها أو برودتها أو سرعتها أو بطئها، أو بانعدام لونها أو بتنوع ألوانها. وبناء على ذلك فإن النبيذ يقوى الجسم لو تم تناوله باعتدال، لكن الإفراط فيه يضعف الجسم، ويصدق الأمر نفسه على الطعام وما يماثله من أمور.

(فقرة ٨٧)

- وأما الحجة التاسعة فتتعلق بما هو دائم "*endeleches*" أو بما هو غريب "*xenon*" أو بما هو نادر "*spanion*". وبناء على ذلك فإن الزلازل "seismoi" لا تثير دهشة من تعودوا على حدوثها بين ظهرانيهم، كذلك فإن ظهور الشمس لا يدهش مادامت تشرق كل يوم[١]. هذا ويجعل **فابورينوس** "Phabôrinos" الحجة التاسعة فى المركز الثامن، أما **سيكستوس إمبيريكوس** "Sextus Empiricus"، وكذا **آينيسيديموس** فيجعلانها فى المركز العاشر. وفضلاً عن ذلك فإن **سيكستوس** يجعل ترتيبها الثامنة بدلاً من العاشرة، أما **فابورينوس** فيجعل ترتيبها التاسعة.
- وأما الحجة العاشرة فتعتمد على التداخل بين الأشياء المختلفة[٢]، مثال ذلك العلاقة بين الخفيف والثقيل، بين القوى والضعيف،

---

(١) وذلك على عكس المذنبات على سبيل المثال. قارن **سيكستوس إمبيريكوس**: "مدخل إلى الفلسفة البيرّونية"، الجزء الأول، فقرة ١٤١. [المراجع]

(٢) نلاحظ أن السياق التالى لا يعنى باختلاف الأشياء، وإنما جوهر القصد هو التناقض والتضايف، أى معرفة الأشياء بنقيضها، أو بإضافتها لغيرها. أما إذا ذهبنا إلى التسليم بمعرفة الأشياء عن طريق الاختلاف فقط، فإنه قد يكون بوسعنا القول إن الاختلاف بين الأشياء لا يعرفنا بالأشياء، وإنما يعرفنا بالفروق بين الأشياء، كما أن الاكتفاء ببحث مسألة الاختلاف بين الأشياء يجعل هذه الحجة تلتقى بالحجة المستمدة من النسبية. (المترجم)

بين الأكبر والأصغر وبين المرتفع والمنخفض. ومن ثم فإن الشيء الذى يقع على الجهة اليمنى ليس على يميننا بالطبيعة، ولكن يفهم أنه هكذا بفعل موقعه بالنسبة إلى شيء آخر. فلو أن وضع ذلك الشيء تغير؛ فإنه فى هذه الحالة لن يكون على الجهة اليمنى.

(فقرة ٨٨)

ويصدق الأمر ذاته على الأب والأخ، فهما حدان متضايفان، وعلى النهار وكذا على الشمس وعلى جميع الأشياء التى تتضايف مع ذهننا. ومن ثم فإن الحدود المتضايفة(١) لا يمكن أن تعرف فى ذاتها وبذاتها.

كانت هذه إذن هى الحجج العشر.

غير أن **أجريبا** "Agrippa"(٢) ومن معه يضيفون إلى هذه (الحجج العشر)(٣) خمس حجج أخرى، ناتجة عن الاختلاف أو عدم الاتفاق

---

(١) الحد المتضايف هو الحد الذى لا يفهم إلا من حيث علاقته بغيره، فالأب مثلاً متضايف مع الابن، والأخ مع الأخ، وكذا المعلم مع التلميذ، والكبير مع الصغير، والجوهر مع العرض.... إلخ. (المترجم)

(٢) **أجريبا** "Agrippa" فيلسوف يونانى عاش إبان القرن الثانى قبل الميلاد، وهو من أهم فلاسفة الشك اليونانى. وقد ذهب إلى أن أول مبرر للشك هو ما يقع بين الفلاسفة من اختلاف فى طرق المعرفة. والمبرر الثانى للشك هو اللا تناهى فى البرهان، فعلينا أن نجد مقدمات لأى برهان، لكن هذه المقدمات تحتاج إلى برهان يحتاج بدوره إلى برهان وهكذا إلى ما لا نهاية. وثالث مبرر هو النسبية لأن كل ما نعرفه إنما هو منسوب إلينا وغير معروف فى حقيقته. والمبرر الرابع للشك يتعلق بضرورة اختيار فرصة كمقدمة لتلافى الامتزاج اللا نهائى والبرهنة. والمبرر الخامس تكرار للمبررين الثانى والرابع المعتمدين على الدوران اللا نهائى. (المترجم)

(٣) قارن **سيكستوس إمبيريكوس**: "مدخل إلى الفلسفة البيرّونية"، الجزء الأول، فقرة رقم ٣٧ التى تبدأ بعبارة: "والحجة الثامنة التى تتعلق بالنسبية". ويبدو أن مرام أجريبا كان هو استبدال حججه الخمس بالحجج العشر السابق ذكرها. [المراجع]

"diaphônia"، وعن الامتداد إلى ما لا نهاية "eis = infinitumad" "aperiron"، وعن النسبية "pros ti"، وعن الافتراض "ex hypotheseôs"، وعن الاستدلال المتبادل. وبناء على ذلك فإن الحجة المستمدة من عدم الاتفاق تبرهن – فيما يتعلق بالبحث سواء في ميدان الفلسفة أو في مجالات الحياة العامة – على أنها زاخرة "plêres" بأقصى حالة من المشاحنة والاضطراب. أما الحجة التي تتعلق بالامتداد إلى ما لا نهاية فترفض التسليم بأن ما ننشد البرهنة عليه هو أمر له صفة الرسوخ والثبات، وذلك لأن أمرًا ما من شأنه أن يزودنا بأساس للإيمان بشيء آخر وهكذا إلى ما لا نهاية.

(فقرة ٨٩)

وأما الحجة المستمدة من النسبية فتعلن أنه لا يمكن فهم شيء في ذاته وبذاته، وإنما فقط من خلال علاقته بشيء آخر، ومن ثم فإن جميع الأشياء لا يمكن معرفتها. وأما الحجة الناتجة عن الافتراض فتنشأ حينما يفترض بعض أنه ينبغي تناول العناصر الأولى من الأشياء كما لو كانت في ذاتها تستحق التصديق بدلاً من افتراضها أو التسليم بها، حيث إن هذا أمر لا طائل من ورائه لأن شخصًا آخر سوف يتبنى عكس هذا الافتراض. وأما الحجة الناشئة عن الاستدلال المتبادل فتوجد إذا كان ذلك الذي تنشد البرهنة عليه يحتاج هو نفسه إلى التوكيد من خلال تصديق هذا الأمر الذي يتعين البرهنة عليه، كما هي الحال مثلاً عندما يسعى شخص ما إلى البرهنة على وجود مسام "poroi" بناء على حدوث الإفرازات "aporroiai"، فإنه قد يفترض وجود المسام كبرهان على حدوث الإفرازات(١).

---

(١) وهذا يسمى بصفة عامة النقاش الدائر في حلقة مفرغة. [المراجع]

(فقرة ٩٠)

ثم إن الفلاسفة الشكاك كانوا ينكرون كل برهان ومعيار وعلامة وسبب وحركة ومعرفة ووجود، وكذا كل ما هو خير أو شر بالطبيعة. ذلك أنهم يقولون إن كل برهان "*apodeixis*" يقوم إما على أشياء تمت البرهنة عليها وإما على أشياء لا يمكن البرهنة عليها. فأما إذا كان البرهان قائمًا على أشياء تمت البرهنة عليها، فإن تلك الأشياء سوف تحتاج إلى برهان أو دليل ما، وهكذا إلى ما لا نهاية. وأما إذا كان البرهان قائمًا على أشياء لا يمكن البرهنة عليها، فمعنى هذا أنه إذا كانت هذه الأشياء كلها أو بعضها أو حتى واحد منها فقط خاضعة للشك، فإن الكل يصبح غير قابل للبرهنة عليه(١). ولكن لو أن المرء اعتقد – كما يقولون – أن هناك بعض الأشياء التي لا تحتاج إلى برهان، فإن فكرًا قد يكون مثيرًا للإعجاب لو أنه لم ير أنه يجب أولاً البرهنة على الواقعة ذاتها، وهي أن الأشياء المشار إليها تحمل في ذاتها اقتناعًا بتصديقها.

(فقرة ٩١)

كذلك فإنه يجب علينا ألا نبرهن على أن العناصر "*stoicheia*" أربعة من واقعة أن العناصر بالفعل أربعة. وفضلاً عن ذلك فما لم نثق في البراهين والأدلة الجزئية، فإنه لا يمكننا قبول تعميمها.

---

(١) قارن سيكستوس إمبيريكوس: "مدخل إلى الفلسفة البيرّونية"، الجزء الثاني، فقرة رقم ١٨٥، حيث يقول: "إن الفلاسفة الدوجماطيون يؤكدون أن حجج الشكاك ضد البرهان إما قابلة للبرهنة وإما غير قابلة لها. فإذا كانت غير قابلة للبرهنة عليها فمعنى ذلك أن الشكاك قد أخفقوا في إقامة الدليل، وهذا يعني أنه لا يوجد شيء يسمى البرهان. أما إذا كانت قابلة للبرهنة، فمعنى ذلك أن الشكاك يدحضون أنفسهم بأنفسهم بافتراضهم وجود البرهان". [المراجع]

وكى يتسنى لنا أن نعرف أن الحجة تُكوّن برهانًا، فإننا نحتاج إلى معيار "*criterion*" ، لكن من ناحية أخرى فكى يتسنى لنا أن نعرف أنه معيار فإننا نحتاج إلى برهان. ولذا فإن كليهما معًا يتعذر فهمهما "*akatalêpta*"، حيث إن الواحد منهما يفضى إلى الآخر ويشير إليه. فكيف يتسنى لنا إذن إدراك الأشياء التى هى غير واضحة ولا مؤكدة، مادمنا نجهل البرهنة عليها؟ وذلك لأن ما ننشده ليست هى الأشياء التى تظهر على أنها هذا أو ذاك، ولكن ما ننشده هو ما إذا كانت هذه الأشياء على هذا النحو فى ماهيتها.

ثم إن الفلاسفة الشكاك كانوا يعلنون أن الفلاسفة الدوجماطيون سذج "*euêtheis*"، وذلك لأن ما ينتهون إليه عن طريق الافتراض "*ex hypotheseôs*" من الأنسب أن يوصف لا على أنه تفكير بحثى، بل على أنه افتراض "*thesis*". وعن طريق استدلال من مثل هذا النوع فإن بوسع المرء أن يناقش المستحيلات.

(فقرة ٩٢)

أما بالنسبة إلى أولئك الذين يعتقدون أنه يجب علينا ألا نحكم على الحقيقة من خلال الظروف المحيطة بها، أو أن ننبرى للتشريع على أساس ما هو موجود فى الطبيعة، فإن هؤلاء الناس- وهذا هو ما اعتادوا قوله وترديده - قد جعلوا من أنفسهم مقياسًا أو معيارًا لكل شىء، ولم يتسن لهم أن يروا أن كل ظاهرة تبدو فى ظرف خاص وفى حالة معينة. ومعنى ذلك أنه ينبغى القول بأن جميع الأشياء صادقة "*alêthê*"، وأن جميع الأشياء كاذبة "*pseudê*" (فى آن). لأنه لو كانت أشياء بعينها صادقة وإن كانت أشياء أخرى بعينها كاذبة، فكيف يتسنى لنا التفرقة بينها؟ إن ذلك لا يتم عن طريق الحس "*aisthêsei*"، نظرًا لأن الأشياء الموجودة فى مجال الحس تبدو جميعًا

متساوية بالنسبة إلى الحس، ولا يتم أيضًا عن طريق العقل "*noêsei*" بناء على السبب نفسه. ومع ذلك، فبغض النظر عن هذه الملكات ليست هناك مَلَكَة "*dynamis*" أخرى يمكن رؤيتها من شأنها أن تساعدنا فى إصدار الحكم "*epikrisis*". وبناء على ذلك فهم يقولون: إن من بوسعه أن يكون متأكدًا بطريقة لا لبس فيها ولا التواء من أى أمر حسى أو عقلي، فيتعين عليه أولاً أن يقيم دعائم الآراء التى قيلت بصدد هذا الأمر. وذلك لأن نفرًا من الفلاسفة قاموا بدحض نظرية فى حين قام نفر آخر منهم بدحض نظرية سواها، ومن ثم فإنه ينبغى الحكم على الأشياء إما بما هو حسى وإما بما هو عقلى، وكلاهما مشكوك فى أمره.

(فقرة ٩٣)

وبناء على ذلك فمن المستحيل إصدار حكم على الآراء الخاصة بالأشياء الحسية أو العقلية، وحتى لو اضطرنا الصراع فى أفكارنا إلى انعدام الثقة فى جميع الناس، فإن المعيار الذى يعتقد أن جميع الأشياء تتحدد بدقة عن طريقه سوف يؤول مآله إلى الدحض والتدمير؛ وبناء على ذلك فإن علينا أن نعتقد أن لكل عبارة قيمة متساوية. وفضلاً عن ذلك فهم يقولون إن من يشاركنا البحث فى الظاهرة إما أن يكون موضع ثقة وإما ألا يكون، ومن ثم فلو كان موضع ثقة فلن يكون لديه ما يرد به على الشخص الذى يبدو معارضًا له أو يقف منه على طرفى نقيض[1]. فكما أن ذلك الذى انبرى لوصف ما يبدو له أو يظهر أمامه لا بد أن يكون موضع ثقة، فكذلك الحال مع من هو على النقيض منه، فمادام ليس موضع ثقة بالنسبة إلينا فلن نصدقه بالفعل حينما يصف لنا ما ظهر أمامه.

---

(١) وهنا يضرب المثل التالى: "قد لا يكون الشيء الماثل أمامنا ثعبانا بل لفة حبل". [المراجع]

(فقرة ٩٤)

وينبغي علينا ألا نفترض أن ما يقنعنا صادق بالفعل، لأن الشيء لا يقنع جميع الناس ولا يقنع الأشخاص ذاتهم بصفة مستمرة. كما أن الإقناع في بعض الأحيان يحدث بسبب ظروف خارجية، وبسبب شهرة المتحدث، أو بسبب قدرة المتحدث بوصفه مفكرًا، أو بسبب براعته، أو بسبب ألفته أو بسبب جاذبية الموضوع وإمتاعه.

ثم إنهم كانوا – من ناحية أخرى – ينبرون لدحض المعيار "*criterion*" وتدميره باستدلال على النحو التالي، بمعنى أن المعيار نفسه إما قد تحدد بطريقة نقدية وإما لم يتحدد. فإذا لم يكن المعيار قد تحدد فهو بالقطع غير جدير بالثقة؛ كما أنه فيما يتعلق باتخاذه التفرقة هدفًا فإنه لا يعد صادقًا بمقدار ما هو كاذب. أما إذا كان المعيار قد تحدد فإنه سوف ينتمي إلى فئة الأحكام الجزئية، حتى إن شيئًا واحدًا يصبح هو ذاته الذي يحدد ويتحدد، كما أن المعيار الذي تحدد سوف يتعين تحديده بشيء آخر، كما سيتم تحديد هذا الآخر بشيء آخر وهكذا إلى ما لا نهاية.

(فقرة ٩٥)

وبالإضافة إلى هذا؛ فهناك اختلاف بشأن المعيار.. فبعض يذهب إلى القول بأن الإنسان هو المعيار، في حين يذهب بعض آخر إلى أن الحواس هي المعيار، بينما يذهب فريق ثالث إلى أن المنطق هو المعيار، ويذهب فريق رابع إلى أن التمثل الإدراكي "*kata lêptikê phantasia*" هو المعيار. ومن ثم فإن الإنسان يختلف مع نفسه كما يختلف مع الآخرين، وهو ما يتضح من اختلاف القوانين والعادات. كذلك فإن الحواس تخدع، كما أن المنطق يوحي بأشياء مختلفة، ثم إن التمثل الإدراكي محكوم عليه من قبل العقل

"nous"، والعقل نفسه يتغير بطرائق متنوعة. ومن ثم فإن المعيار يظل غير معروف ومن ثم تظل الحقيقة مجهولة أيضا.

(فقرة ٩٦)

ثم إنهم ينكرون أيضًا أن هناك شيئًا اسمه الإشارة أو العلامة "sêmeion"، وهم يقولون فى هذا الصدد: إنه لو كانت العلامة موجودة فلا بد أن تكون إما حسية وإما عقلية، ولكنها بالفعل ليست حسية لأن ما هو حسى له خاصية مشتركة، فى حين أن العلامة عبارة عن شىء جزئى خاص. ومن ناحية أخرى، فإن ما هو حسى هو واحد من الأشياء الموجودة بطريق الاختلاف، فى حين أن العلامة تنتمى إلى قائمة التصنيف النسبى. كذلك فإن العلامة ليست عقلية. نظرًا لأن موضوعات الفكر أربعة، هى: الأحكام الظاهرة "phanes" على الأشياء الظاهرة، والأحكام غير الظاهرة "aphanes" على الأشياء غير الظاهرة، والأحكام غير الظاهرة على الأشياء الظاهرة، والأحكام الظاهرة على الأشياء غير الظاهرة. والعلامة ليست شيئًا من هذا القبيل، ومن ثم فليس هناك شىء اسمه العلامة. فالعلامة ليست حكمًا ظاهرًا على ما هو ظاهر، لأن ما هو ظاهر لا يحتاج إلى إشارة أو علامة، كما أنها ليست حكمًا غير ظاهر على ما هو غير ظاهر، لأن ما يتم الكشف عنه بواسطة شىء لا بد أن يحتاج إلى الظهور.

(فقرة ٩٧)

ثم إنها لا يمكن أن تكون حكمًا غير ظاهر على ما هو ظاهر، لأن ما يقدم الوسيلة للفهم شىء آخر لا بد أن يكون هو نفسه ظاهرًا، وأخيرًا فإنها ليست حكمًا ظاهرًا على ما هو غير ظاهر، لأن مادامت العلامة نسبية فلا بد

أن تفهم بالتوازى مع ذلك الذى هو علامة عليه، وهو ما لم يتحقق فى حالتها. وينتج عن ذلك بالتالى أنه لا يمكن فهم شيء هو بطبيعته غير مؤكد ولا يقينى، لأنه من خلال العلامات يقال إن الأشياء غير اليقينية قد غدت ممكنة الفهم(١).

كما أن الفلاسفة الشكاك يدحضون السبب "*aition*" بالطريقة ذاتها، فالسبب شيء نسبى بالنسبة إلى ما يمكن أن يسببه، أى بالنسبة إلى النتيجة "*to aitiaton*".

(فقرة ٩٨)

غير أن الأشياء النسبية هى مجرد موضوعات للفكر فقط وليس لها وجود مادى، ومن ثم فإن السبب بمفرده قد يكون موضوعًا للفكر، وحيث إنه سبب فلا بد أن يتضمن بداخله ما يسمى سببًا وإلا فلن يكون سببًا. تمامًا مثلما أن الأب فى ذلك الذى بسبب علاقته به يسمى أبًا (وهو الابن)، لن يكون أبًا، فكذلك السبب أيضًا. ولكن فى حالة عدم وجود الشيء الذى لا يكون السبب مفهومًا عن طريقه (أى النتيجة)، فلن يكون هناك وجود أو زوال من الوجود "*phthora*" أو أى عملية أخرى من هذا القبيل، ومن ثم ليس هناك سبب. وعلاوة على ذلك، فلو كان هناك سبب فإما أن يكون الجسم "*sôma*" سببًا للجسم، وإما يكون ما هو غير جسمى سببًا لما هو غير جسمى، ولكن أيًا منهما ليس على هذا النحو، ومن ثم فليس هناك سبب. كذلك فإن الجسم فى واقع الأمر لا يمكن أن يكون سببًا لجسم آخر، من حيث إنهما معًا يحظيان

---

(١) قد تحول هذه النتيجة بيننا وبين كل امتداد أو تشعب للمعرفة فيما وراء ما هو ظاهر أو ماثل هنا والآن، فى حين أن الفلاسفة الدوجماطيين يسمحون لنا بالانطلاق من هذه الحقائق وأمثالها نحو ما هو واضح فى التو واللحظة. ونعنى بذلك عالم المجهول والأمور غير اليقينية "*adêla*". [المراجع]

بالطبيعة نفسها. ولو أن واحدا منهما أمكن أن يسمى سببًا من حيث كونه جسمًا، فإن الآخر سوف يصبح سببًا بما أنه جسم.

(فقرة ٩٩)

ولكن لو أن كليهما كان بالمثل سببًا، فلن يكون هناك شيء يعملان عليه معًا، كما أن الشيء غير الجسمي "*asômaton*" لا يمكن أن يكون سببًا لشيء غير جسمي للسبب نفسه. كذلك فإن الشيء غير الجسمي لا يمكن أن يكون سببًا لجسم ما، حيث إنه لا يمكن لشيء غير جسمي أن يخلق جسمًا. وأخيرًا فإن الجسم لا يمكنه أن يكون سببًا لأي شيء غير جسمي، لأن ما ينتج لا بد أن يكون المادة ذاتها التي يعمل عليها، ولكن إذا لم يكن يعمل على شيء لأنه غير جسمي فلا يمكن أن يكون ناتجًا عن أي شيء كائنًا من كان، ومن ثم فليس هناك شيء اسمه السبب. وخلاصة ذلك هي العبارة القائلة بأن المبادئ "*archai*" الأولى للكون ليس لها وجود حقيقي، إذ لو حدث هذا فلا بد أن يكون هناك شيء هو الذي يخلق "*poioun*" ويفعل "*drôn*".

وفضلاً عن ذلك، فليست هناك حركة "*kinesis*"، لأن ذلك الذي يتحرك إما أنه يتحرك في مكان يوجد فيه وإما في مكان لا يوجد فيه، ولكنه لا يمكن أن يتحرك في المكان الذي يوجد فيه، ولا حتى في المكان الذي لا يوجد فيه، ومن ثم فليست هناك حركة.

(فقرة ١٠٠)

ثم إن (الفلاسفة الشكاك) اعتادوا أيضًا إنكار إمكانية التعلم "*mathêsis*"، وهم يقولون في هذا الصدد: إنه لو كان هناك شيء يمكن تحصيله بالتعلم، فإننا إما أن نعلم ما هو موجود من خلال وجوده وإما نعلم بما هو غير

موجود من خلال عدم وجوده. لكن ما هو موجود لا يمكن تعلمه من خلال وجوده، لأن طبيعة الأشياء الموجودة ظاهرة ومعروفة للجميع. كذلك فإن غير الموجود لا يمكن تعلمه من خلال عدم وجوده، لأنه لا يمكن حدوث شيء قط من خلال عدم الوجود، ومن ثم فلا يمكن لأحد أن يتعلمه.

كذلك فإنهم ينكرون الوجود "*genesis*"، لأن ذلك الذى لم يظهر إلى الوجود من حيث هو كذلك، وكذا ذلك الذى ليس موجودًا لأنه ليس له جوهر، وكذا ذلك الذى ليس له وجود ولا جوهر، لا يمكن لهم جميعًا أن يحظوا بفرصة الوجود أو الظهور إلى الوجود.

(فقرة ١٠١)

وأخيرًا فإن الفلاسفة الشكاك يذهبون إلى القول بعدم وجود خير "*agathon*" أو شر "*kakon*" بالطبيعة، لأنه لو كان هناك خير أو شر بالطبيعة فلا بد أن يكون خيرًا أو شرًا للناس كافة، تمامًا مثلما أن الثلج "*chiôn*" بارد "*psychron*" بالنسبة إلى الناس جميعًا(١). ومن ثم فليس هناك خير أو شر بالطبيعة. ومن المؤكد أنه لا يمكن أن يكون كذلك، فإما أن يكون كل ما يمكن التفكير فيه من قبل شخص ما أيًا كان يجب أن يسمى خيرًا وإما لا يسمى خيرًا، وبالتأكيد فإنه لا يمكن أن يسمى كذلك، لأن الشيء نفسه يمكن أن يكون خيرًا عند بعض وشرًا عند بعض آخر. فعلى سبيل المثال، نجد أن اللذة "*hedonê*" تعتبر خيرًا عند **إبيقوروس** ولكنها تعد شرًا عند أنتيستينيس. ومن ثم فإننا نعتقد أن الشيء الواحد يكون مرة خيرًا ومرة

---

(١) يرى المترجم الفرنسى أن **بيرّون** هنا يستند إلى حجة خاطئة بناء على نظريته هو نفسه. فهو هنا يقول: "كما أن الثلج بارد بالنسبة إلى الناس جميعًا"، على الرغم من أنه سبق أن تحدث عن اختلاف الإحساسات بين البشر، وضرب مثلاً بطباخ الإسكندر أو ساقيه الذى كان يشعر بالبرد فى الشمس وبالحر فى الظل. (المترجم)

شرا. ولكن لو أننا أنكرنا أن كل ما يعتقد المــرء فى أنه خير فهو خير، فإنه يتعين علينا أن نحكم على الآراء المختلفة، وهذا أمر مستحيل قبوله بسبب الشرعية المتساوية "*isostheneia*" للحجج المتضادة، وبناء على ذلك فإن الخير بالطبيعة أمر لا يمكن معرفته.

(فقرة ١٠٢)

ولكن فى إمكاننا معرفة مجمل طرائق استدلالاتهم من المؤلفات التى تركوها. وفى الواقع فإن **بيرّون** نفسه لم يترك أى مؤلفات، ولكن من تركوا لنا كتابات مدونة هم: **تيمون، وآينيسيديموس، ونومينيوس** "Nouménius"، **وناوسيفانيس** "Nausiphanês" وآخرون غيرهم.

ولقد رد عليهم الفلاسفة الدوجماطيون بقولهم: إن الفلاسفة الشكاك أنفسهم يفهمون بالعقل النظريات والمعتقدات ويعتقدون فيها، ولذلك فإنه عندما يبدو لنا أنهم يدحضون أفكار الخصوم ففى واقع الأمر أنهم يفهمون ويستوعبون، حيث إنهم يؤكدون أفكارا وينشئون معتقدات ونظريات. ومن ثم فإنهم حينما يعلنون أنهم لا يحددون شيئا وأن لكل حجة حجة مضادة تناقضها، فإنهم فى حقيقة الأمر (عن طريق هذا الاستدلال ذاته) يحددون الأفكار ويعرِّفون المعتقدات[١].

(فقرة ١٠٣)

ولقد رد عليهم الفلاسفة الشكاك بقولهم: "إننا نقر بالضعف البشرى، فنحن نعترف بأن الوقت نهار وبأننا على قيد الحياة وبوقائع أخرى كثيرة فى الحياة ظاهرة للعيان، لكن بالنسبة إلى الأمور التى يذهب خصومنا

---

(١) انظر: فقرة ٧٧ أعلاه من هذا الجزء. [المراجع]

الدوجماطيون فى حجتهم إلى الجزم بها ويزعمون أنهم يفهمونها، فإننا نعلق الحكم بصددها لأنها ليست يقينية، ونحصر معرفتنا فقط فـــى انطباعاتنـــا[١]، نظرًا لأننا نسلم بأننا نرى ونعترف بأننا نفكر فى هذا وذاك، أما كيف نــرى وكيف نفكر فهذا هو ما لا نعرفه. ثم إننا نقول فى أثناء محادثتنـــا إن هـــذا الشيء الذى يظهر أمامنا أبيض "*leukon*" اللون، ولكننا لسنا متأكدين من أنه أبيض بالفعل. أما بالنسبة إلى مقولتنا "إننا لا نحدد ولا نعـــرف شـــيئًا" ومـــا يماثلها[٢]، فإننا نستخدم العبارات بمعنى غير قطعى.

(فقرة ١٠٤)

وذلك لأنها لا تماثل التوكيـــد القائـــل بـــأن العـــالم كـــروى الـــشكل "*sphairoeidês*"، فالواقع أن العبارة الأخيرة ليست يقينيـــة ، فـــى حـــين أن العبارات الأخرى هى مجرد تسليم أو اعتراف. ومن ثم فإننا حينمـــا نقـــول: "بأننا لا نحدد ولا نعرف شيئًا، فإننا لا نحدد حتى تلك المقولة ذاتها".

ومرة أخرى فإن الفلاسفة الدوجماطيين يذهبون إلى القول بأن الشكاك يدحضون الحياة ذاتها، من حيث إنهم يرفضون كل ما تتألف منه الحياة. فى حين أن الشكاك يقولون إن تلك مقولة زائفة ، نظرًا لأنهم (أى الـــشكاك) لا يدحضون ما يرونه رأى العين، ولكنهم يقولون فحسب إنهم يجهلون كيفيـــة الرؤية. وهم يقولون فى هـــذا الـــصدد : "إننـــا نـــسلم بالواقعـــة الظـــاهرة "*to phainomenon*"، دون أن نسلم بأن ما يظهر له وجود حقيقى، ثم إننـــا ندرك أيضًا أن النار تحرق، ولكن فيما يتعلـــق بأنهـــا ذات طبيعـــة حارقـــة "*kaustikê*" فإننا نعلق الحكم ونمتنع عن إبدائه".

---

(١) وهذا يعنى أن كل ما نعرفه هو أننا نحس أو نشعر. قارن أعلاه: فقرة ٩٢. [المراجع]
(٢) قارن أعلاه: فقرة ٧٤. [المراجع]

(فقرة ١٠٥)

"كذلك فإننا نرى أن إنسانًا يتحرك وأنه يفنى "*phtheretai*"، أما كيف يحدث ذلك فنحن لا نعرف. ومن ثم فإننا نعترض فقط على قبول الجوهر المجهول الكامن خلف الظواهر. وعندما نقول إن للصورة "*eikôn*" إسقاطات "*exochai*"، فإننا نصف ما هو ظاهر، لكن لو قلنا إنه ليست لها إسقاطات؛ فإننا فى هذه الحالة نتحدث لا عما يظهر، بل عن شىء آخر مخالف". وهذا هو ما جعل **تيمون** "Timôn" يقول فى كتابه المسمى "**بيثون** *Pythôn*": إنه لم يخرج عما هو مألوف، كذلك فإنه يقول أيضًا فى كتابه الذى يحمل عنوان "**التصورات (أو الأوهام)** *Indalmoi*" ما يلى[١]:

"**غير أن الظاهر يحظى بقدرة على كل شىء حيثما يذهب**".

كما أنه يقول فى كتابه **عن الحواس** "*Peri Aisthêseôn*":

"**إننى لا أؤكد أن العسل حلو المذاق، ولكننى أسلم فقط بأنه يبدو كذلك**".

(فقرة ١٠٦)

ويقول **أينيسيديموس** "Ainesidêmos" فى الجزء الأول من كتابه المناقشات البيرونية "*Pyrrôneioi logoi*" إن **بيرّون** لا يحدد شيئًا بصفة قطعية، وذلك بسبب إمكانية وجود التناقض "*antilogia*"، ولكنه يتبع الوقائع الظاهرة. كما أن **أينيسيديموس** يقول الشىء نفسه فى كتابيه : **ضد الحكمة** "*kata Sophias*" و**عن البحث** "*Peri Zêtêseôs*".

---

(١) انظر: الشذرة رقم ٦٩ د. [المراجع]

وفضلاً عن ذلك فإن **زيوكسيس** "Zeuxis"، وكذا **أنطيوخوس اللاؤوديكى** "Antiochos Laodikeus"، وأيضًا **أبيلاس** "Apellas" فى كتابه المسمى **أجريبا** *"Agrippa"*، يركنون جميعهم إلى الظواهر ويتمسكون بها وحدها. ومن ثم فإن الظاهر *"to phainomenon"* هو معيار الشكاك ، وفقا لما يقوله **أينيسيديموس** بالفعل وعلى نحو ما يعلن **إبيقوروس** "Epikouros". ومع ذلك فإن **ديموقريطوس** ينكر أن أى واقعة من الوقائع الظاهرة يمكن أن تكون معيارًا (وفى الواقع فإنه ينكر وجود الظاهر ذاته).

(فقرة ١٠٧)

غير أن الفلاسفة الدوجماطيين- ضد هذا المعيار الخاص بالظواهر- يذهبون إلى القول بأن الظواهر ذاتها تحدث داخلنا انطباعات مختلفة، مثال ذلك البرج المستدير *"strongylos"* أو البرج المربع *"tetragonos"*، ويرون أنه ما لم يقم الفيلسوف الشكاك بتفضيل واحد منهما على الآخر، فسوف يكون عاجزًا عن اتخاذ أى مسار. كما أنهم يقولون: لو أن الفيلسوف الشكاك – من ناحية أخرى – اتبع واحدًا من الأمرين ، فإنه بذلك لن يسمح بالقيمة المتساوية لجميع الوقائع الظاهرة. ويرد الشكاك على ذلك بقولهم بأنه عندما تنتج الانطباعات المختلفة ، فلا بد من القول بأن الأمرين يظهران معًا سويًا[١] ، نظرًا لأن الأشياء الظاهرة قد سميت بهذا الاسم لأنها تظهر للعيان.

وأخيرًا، فإن الشكاك يذهبون إلى القول بتعليق الحكم *"apochê"*، الأمر الذى يجلب معه الهدوء أو السكينة *"ataraxia"* وكأنها ظلة *"skia"*، وفقًا لما يقوله كل من **تيمون** و**آينيسيديموس**.

(١) وهذا يعنى أن كل أمر من الأمرين له الحق فى أن يسمى ظاهرًا مثله فى ذلك مثل الآخر. [المراجع]

(فقرة ١٠٨)

كذلك فإن الشكاك يقولون إننا بالنسبة إلى الأمور التى يتعين علينا أن نتخذ فيها قرارًا، لا نختار هذا ولا نعزف عن ذاك. أما بالنسبة إلى الأشياء التى لا يتعين علينا أن نقرر أمرها ، فهى أمور تحدث بالضرورة "*kat ' anankê*"، مثل الجوع "*to peinên*" والعطش "*to dipsên*" والألم "*to algein*"، وليس بوسعنا الفرار منها(١) نظرًا لأنه لا يمكن إزالتها بقوة العقل.

وعندما يذهب الفلاسفة الدوجماطيون إلى القول بأن فى مقدور الفيلسوف الشكاك أن يعيش فى نطاق مثل هذا الإطار العقلى ، وأنه لن يتورع عن قتل والده والتهام لحمه – لو طلب منه فعل ذلك – فإن الفلاسفة الشكاك يردون على ذلك بقولهم بأنهم سوف يكونون قادرين على أن يعيشوا حيث يعلقون أحكامهم فى الحالات التى يتعذر فيها التوصل إلى اليقين، ولكنهم لن يفعلوا ذلك فى الأمور المتصلة بالحياة أو فى الأمور التى ينبغى اتخاذ الحيطة فيها. ومن ثم فإننا قد نتمكن من اختيار شىء أو العزوف عنه من خلال الاعتياد "*synêtheia*"، وكذا قد نستطيع مراعاة القوانين والعادات. وتبعًا لبعض فإن الغاية "*telos*" التى يقترحها الشكاك هى اللا مبالاة "*apatheia*"، وتبعًا لبعض آخر فإنها دماثة الخلق "*praotês*"(٢).

---

(١) ومقولتهم فى هذا الصدد هي: "وإن ما ليس بوسعنا أن نصدر قرارًا بشأنه لأنه يحدث بالضرورة، فليس بوسعنا العزوف عنه ولا تحاشيه". ولقد شرح **سيكستوس إمبيريكوس** هذا فى كتابه "مدخل إلى الفلسفة البيرونية"، الجزء الأول، فقرة ٢٩، بقوله: "فنحن نعترف بأننا نحس بالبرد وبأننا نشعر بالعطش..... إلخ". [المراجع]

(٢) وهم يعنون بالدماثة الطمأنينة التى هى عكس الإثارة والهياج. قارن: **أفلاطون**، محاورة ليسيس *Lysis*، فقرة ٢١١ هـ. [المراجع]

الفصل الثانى عشر

تيمون "Timôn"

(نحو عام ٣٢٠ ق. م. – نحو عام ٢٣٠ ق. م.)

(فقرة ١٠٩)

يقول من هو بين ظهرانينا "*par' hêmôn*"[(١)] أبولونيديس من نيقيا "Apollônidês Nikaeus" – فى الجزء الأول من تعليقاته "*hypomnêmata*" على ديوان القصائد الهجائية الساخرة "*Silloi*" التى أهداها إلى طيبريوس قيصر– إن تيمون هو ابن طيمارخوس "*Timarchos*"، وإنه مواطن من مدينة فليوس "Philiasios". كما يخبرنا بأنه حينما فقد والديه وهو شاب أصبح راقصًا مسرحيًا، لكنه فيما بعد عزف عن ممارسة تلك الحرفة وارتحل إلى مدينة ميجارا "Megara" ليعيش فى كنف استيلبون "Stilpôn". وبعد أن عاش معه فترة من الزمن قفل عائدًا أدراجه مرة أخرى إلى موطنه حيث تزوج. ثم من بعد ذلك سافر بصحبة زوجته إلى الفيلسوف بيرّون فى مدينة إليس "Elis"،

(١) يفهم الأستاذ رايسكى "Reiske" هذه العبارة على أنها تعنى "زميلنا فى المواطنة"، ومن هنا استنتج الأستاذ أوسنير "Usener" أن نيكياس من نيقيا هو المؤلف الذى رجع إلى عمله ديوجينيس لائيرتيوس هنا؛ غير أننا لا نعرف شيئًا عن نيكياس هذا حيث يؤكد لنا هذا الظن. ولو أننا اتبعنا معظم الترجمات التى انبرى لها الباحثون، لوجدنا أن استرابون "Strabôn" يسمى الرواقيين بأنهم أشياعنا "*hoi hêmeteroi*"، بمثل ما يسمى شيشرون الأكاديميين بعبارة أنصارنا "*nostri*" ، ومن ثم فيمكن القول بأن تيمون شكاك مثلنا. فهل كان لائيرتيوس يتحدث هنا عن نفسه أم ينقل عن كتاب أو مبحث لأحد الفلاسفة الشكاك؟ إن هذا أمر من الصعب تقريره. [المراجع]

وعاش هناك حتى أنجب أبناءه، وقد أطلق على أكبر هؤلاء الأبناء سنا اسم إكسانثوس "Xanthos" وعلمه الطب "*iatrikê*" وجعله وريثه "*diadochos*" بعد موته.

(فقرة ١١٠)

وقد حظى هذا الابن بشهرة عظيمة، طبقًا لما عرفناه من **سوتيون** فى الجزء الحادى عشر من كتابه. غير أن **تيمون** -على أى حال- وجد نفسه بلا وسائل للمعيشة "*aporôn*" وغدا مفتقرًا إلى الرزق الذى يسد رمقه، فأبحر إلى الدردنيل "Hellespontos" وبروبونطيس "Propontis" (بحر مرمرة)(١). ثم عاش بعد ذلك فى خالقيدون "Chalkedôn" حيث عمل فيلسوفًا سوفسطائيًا واكتسب شهرة ذائعة طبقت الآفاق. وبعد أن جمع ثروة وأصبح مبسور الحال ارتحل إلى مدينة أثينا حيث عاش حتى وافته المنية، هذا إذا ما استثنينا فترة قصيرة من الزمن أمضاها فى مدينة طيبة "Thêbai". وكان **تيمون** معروفًا لدى الملك (المقدونى) **أنتيجونوس**(٢) "Antigonos" وكذا لدى الملك بطليموس **فيلادلفوس**(٣) ، كما تشهد على ذلك أشعاره الإيامبية(٤).

---

(١) **هليسبونتوس** هو الاسم القديم للدردنيل، و**بروبونتيس** هو الاسم القديم لبحر مرمرة. (المترجم)

(٢) **أنتيجونوس** الأول (الأعور) ٣٨٢ – ٣٠١ ق. م. أحد قواد الإسكندر، أسندت إليه قيادة الجيوش فى آسيا. أما **أنتيجونوس** الثانى وهو المقصود فى النص (٣٠٠ – ٢٣٩ ق. م.)، فقد اتخذ لقب الملك عقب وفاة أبيه وأثبت جدارته بهذا اللقب عندما هزم الغال. (المترجم)

(٣) **بطلميوس الثانى فيلادلفوس** = المحب لأخته (٣٠٨ – ٢٤٦ ق. م.) ابن **بطلميوس الأول**، أشركه أبوه معه فى الملك حتى انفرد به بعد وفاة أبيه، تابع سياسة أبيه فى المحافظة على استقلال مصر السياسى والاقتصادى. (المترجم)

(٤) ربما وردت هذه الإشارة فى مقدمة ديوان القصائد الهجائية الساخرة "*Silloi*". [المراجع]

ولقد كان **تيمون** – كما يقول **أنتيجونوس** – مولعًا بالخمر، وكان يشغل نفسه أثناء الوقت الذى يستقطعه من دراسة الفلسفة بنظم القصائد الشعرية التى اشتملت على الملاحم "*epê*"، والمسرحيات التراجيدية "*tragôdiai*"، والمسرحيات الساتيرية "*satyroi*"، وعلى ثلاثين مسرحية كوميدية وستين مسرحية تراجيدية، فضلاً عن ديوان القصائد الهجائية الساخرة "*Silloi*" والقصائد الفاحشة البذيئة "*Kinaidoi*".

(فقرة ١١١)

ويروى أيضًا أنه كانت له أعمال أخرى اشتملت على عشرين ألف بيت من الشعر، انبرى لذكرها **أنتيجونوس** من كاريستوس "Antigonos Karystios" الذى دون لنا أيضًا سيرة حياته. وتوجد ثلاث من قصائده الهجائية الساخرة "*Silloi*"، انبرى فيها بوصفه فيلسوفًا شكاكًا للسخرية من الجميع كافة وسلق الفلاسفة الدوجماطيين بألسنة حداد مستخدمًا النمط المسمى بالتندر القائم على الاقتباس الساخر "*parôdia*" أو المحاكاة الساخرة.

وفى القصيدة الأولى يصوغ **تيمون** حديثه على لسان المتكلم، فى حين أنه فى القصيدتين الثانية والثالثة يصوغ حديثه فى شكل المحاورة. وهو على أى حال يصور نفسه وكأنه يسأل **اكسينوفانيس** من كولوفون "Xenophanês Kolophônios " عن كل فيلسوف بدوره، فى حين يقوم **اكسينوفانيس** بالرد عليه. ويتحدث **تيمون** فى القصيدة الثانية عن الفلاسفة المنتمين إلى حقبة زمنية أكثر قدمًا، فى حين أنه يتحدث فى القصيدة الثالثة عن الفلاسفة الأحدث عهدًا، ومن هنا أطلق عليها بعض اسم الخاتمة "*epilogos*".

(فقرة ١١٢)

ويتناول **تيمــون** فى القصيدة الأولى الموضوعات ذاتها فيما عــدا أن القصيدة عبارة عن مونولوج أو حديث مع النفس "*monoprosôpos*"، وهــى تبدأ على النحو التالى(١):

"هلم إلىّ ، أيها السوفسطائيون، يا من تشغلون أذهانكم بالبحث فى شتى الأمور والمسائل *polypragmones*".

ولقد توفى **تيمــون** عن عمر يناهز التسعين عامًا تقريبًا، وفقًا لما يقوله **أنتيجونوس** وكذا **سوتيون** فى الجزء الحادى عشر من كتابه. ولقد سمعتُ أن **تيمــون** كان أعور العين "*heterophthalmos*"، حيث إنه اعتــاد أن يطلــق على نفسه اسم الكيكلوبس "*kyklôps*"(٢). وهناك شخص آخــر يحمــل اســم **تيمون** أيضًا، وهو يلقب باسم **تيمون كاره البشر** "*misanthrôpos*"(٣).

ولقد كان فيلسوفنا هذا **تيمون** – طبقًا لما يقوله **أنتيجونوس** – مغرمًــا للغاية "*sphodra*" بالحدائق والبساتين "*philokêpos*"، كما كان كثير الانشغال بذاته "*idiopragmôn*" وبالأمور التى تخصه. وعلى أى حال فهنــاك قــصة يرويها عنه **هييرونيموس** "Hieronymos"، الفيلسوف المشائى، مؤداهــا أن الأخير قال عنه: **"ومثلما نرى أنه يوجد من بين أهــل اســكيثيا "*Scythia*" طائفة تطلق السهام وهى تولى الأدبار، وطائفة أخرى تطاردها وهى تفعــل الشىء نفسه ، فكذلك الحال مع الفلاسفة، ففريق مــنهم يقتــنص تلاميــذه**

---

(١) انظر: الشذرة رقم ١ د. [المراجع]

(٢) سبق القول بأن الكيكلوبس مخلوق خرافى له عين واحدة فى منتصف جبهته. (المترجم)

(٣) ويعتبر الأستاذ **ديلز** "Diels" الفقرة رقم (١١٠) ابتداء من كلمة "الملاحم" حتى عبارة "تيمون الكاره للبشر" (فقرة ١١٢) بمثابة إقحام أدى إلى اضطراب المعنى وتوازنه فيما يتعلق بالمادة التى استمدها **لاتيرتيوس** من كتاب **أنتيجونوس** من كاريستوس. [المراجع]

بمطاردتهم، وفريق آخر يقتنصهم بالفرار منهم ، كما هي الحال مع (الفيلسوف) تيمون".

(فقرة ١١٣)

وكان **تيمون** سريع البديهة "*oxys*" فى إدراك أى فكرة، وكان يبادر إلى أن يشمخ بأنفه فى ازدراء "*diamyktêrisai*"، كما كان مولعًا بالكتابة والقراءة "*philogrammatos*"، وكان يتقن بناء حبكة الحكايات المسرحية وصياغة الأحداث الدرامية. كذلك فقد اعتاد أن يمد الكُتّاب من أمثال **الإسكندر (الأيتولى) وهوميروس** (البيزنطى) بالمادة اللازمة لتراجيدياتهم(١). وعندما كانت الخادمات، أو الكلاب، يصدرون أصواتًا مزعجة فإنه كان يتوقف عن الكتابة؛ وكانت لديه رغبة عارمة فى الحفاظ على الهدوء والسكينة. ويقال إن الشاعر **آراتوس** "Aratos" سأله ذات مرة عن كيفية الحصول على نص موثوق به للشاعر هوميروس، وأن **تيمون** أجابه: "**إن بوسعك هذا لو أنك استحوذت على النسخ القديمة وليس على النسخ المصوبة المدونة فى أيامنا هذه**". ولقد اعتاد **تيمون** على أن يترك قصائده التى نظمها وأن يهمل أمرها وكان يتركها أحيانًا دون أن يقوم بتنقيحها أو صقلها "*hêmibrôta*".

(فقرة ١١٤)

ولهذا فعندما كان يقرأ أجزاء منها على مسامع الريطوريقى **زوبيروس** "Zôpyros"، أخذ فى قلب الصفحات وتلاوة ما يرد على خاطره فى التو

---

(١) وعلى سبيل المثال فقد ساعد **تيمون** هذين الشاعرين التراجيديين **الإسكندر الأيتولى، وهوميروس البيزنطى** بأن زودهما بالحكايات الأسطورية من ناحية، كما قدم لهما – من ناحية أخرى – مشاهد من مسرحيات لم تنشر له، أو مواد أخرى مماثلة. من تعليقات الترجمة الإنجليزية، جـ ٢، ص٥٢٣. (المترجم)

واللحظة، وعندما بلغ منتصف القصيدة عثر على الفقرة التى كان قد شرد عنها وطفق ينشدها دون طائل، فقد كان مهملاً إلى هذا الحد[1]؛ وعلاوة على ذلك فقد بلغ به الإهمال حدًا حدا به إلى الخروج بدون تناول إفطاره. وهو يروى لنا إنه ذات مرة عندما لمح **أركسيلاؤس** "Arkesilaos" وهو يسير عبر "**سوق الأوغاد** *Kerkôpes*"[2] قال له: "**لماذا أنت هنا؟ فنحن هنا (كلنا) أحرار!**". وكان من عادته أن يورد مقتطفات واستشهادات ويعلنها على أولئك الذين يسلمون بشهادة الحواس عندما يؤكدون حكم العقل، وذلك بقوله[3]:

"**إن الطيور على أشكالها تقع!**".

وكانت السخرية على هذا النحو من شيمته. فلقد قال ذات مرة لشخص كان يبدى دهشته من كل شيء: "**ولماذا إذن لا تبدى دهشتك من أننا نحن الثلاثة لا نملك سوى أربع عيون؟**" ، ذلك أنه كان فى الحقيقة لا يملك سوى عين واحدة. وكذلك كان الحال بالنسبة إلى تلميذه **ديوسكوريديس** "Dioskouridês"، فى حين أن الشخص الذى كان يخاطبه كان إنسانًا عاديًا (كامل الأعضاء *hygiês*).

(١) يحكى أن الشاعر الفرنسى **لامارتين** "Lamartine" كان يتصف بإهمال مماثل لما يتصف به تيمون. [المراجع]

(٢) كلمة "*Kerkôpes*" تعنى فى الأصل الأقزام قصار القامة الذين ارتبطوا بإحدى أساطير هيراكليس (هرقل)، ثم أصبحت تعنى الوغد السافل. وهى هنا تشير إلى سوق للعبيد "Kerkôpôn agora" كانت موجودة فى أثينا. [المراجع]

(٣) والترجمة الحرفية لهذه المقولة هى: "لقد التقى كل من أتاجاس "Attagas" ونومينيوس "Noumenios"". ولقد فسر لنا **ديوجينيانوس** "Diogenianus" هذا المثل السائر على أنه يشير إلى **آتاجوس** الثيسالى **ونومينيوس** الكورنثى. والأخير يمكن أن يرمز من طرف خفى إلى **نومينيوس** تلميذ **بيرّون** (انظر: فقرة رقم ١٠٢ أعلاه). وهو قول مماثل للمثل السائر عندنا "الطيور على أشكالها تقع". [المراجع]

(فقرة ١١٥)

وعندما سأله **أركسيلاؤوس** ذات مرة عن السبب الذى جعله يحضر من مدينة طيبة (إلى مدينة أثينا) قال: "**لكى أضحك ملء شدقى حينما أراكم رأى العين !**". وعلى أى حال فإنه على الرغم من انتقاده وتوبيخه **لأركسيلاؤوس** فى ديوانه القصائد الهجائية الساخرة "*Silloi*"، فقد أثنى عليه مع ذلك فى عمله المسمى **مأدبة أركسيلاؤوس الجنائزية** "*Arkesilaou Perideipnon*".

وطبقًا لما يقوله **مينودوتوس** "Mênodotos"، فإن **تيمون** لم يترك تلاميذًا خلفاء له، بل ظلت مدرسته مهملة حتى أعاد بناءها **بطلميوس القيرينائى** "Ptolemaios Kyrênaios". غير أن كلاً من هيبّوبوتوس "Hippobotos" **وسوتيون** "Sôtiôn" يقول: إن **تيمون** كان لديه تلاميذ من أمثال **ديوسكوريديس القبرصى، ونيكولوخوس الرودى** "Nikolochos Rodios"، **ويوفرانور السلوقى** "Euphranôr Seleukeus"، **وبرائيلوس الطروادى** "Praülous Trôas"[١]. وكان هذا الأخير رجلاً بالغ الشجاعة "*karterikos*" – على نحو ما يقول **فيلارخوس** "Phylarchos" فى مؤلفه التاريخى – لدرجة أنه حينما اتهم ظلمًا بتهمة الخيانة تحمل العذاب بصبر حتى الموت، دون أن ينبس ببنت شفة للمواطنين من بنى جلدته.

(فقرة ١١٦)

أما تلميذه **يوفرانور**؛ فكان له تلميذ يدعى **يوبولوس السكندرى** "Euboulos Alexandreus"، الذى تتلمذ على يديه كل من **بطلميوس**

---

(١) ومن المحتمل أن يكون **ترائيلوس** هذا هو الشخص ذاته الذى أشار إليه **كليميس السكندرى** فى كتابه "الطبقات" *Strômata*، الجزء الرابع، فقرة ٥٦؛ ولقد أشاد كذلك **تيموثيوس** من برجامون – على نحو ما يذكر **كليميس السكندرى**– بنهايته البطولية. [المراجع]

وساربيدون "Sarpêdôn" و**هيراقليديس** "Hêrakleidês". أما **هيراقليديس** فقد كان معلمًا **لآينيسيديموس الكنوسى** "Ainesidêmos Knôsios" الذى قام بجمع ثمانية أجزاء من المناقشات البيرّونية "*Pyrrôneioi Logoi*". وكان **إينيسيديموس** هذا أستاذًا لمواطنه **زيوكسيبّوس** "Zeuxippos"، الذى كان من تلاميذه **زيوكسيس** "Zeuxis" ذو القدم المعوجة "*Gôniopous*". وكان هذا الأخير معلمًا **لأنطيوخوس اللاؤديكى** "Antiochos Laodikeus"، من ليقوس "Lykos". وكان هذا الأخير أستاذًا لكل من **مينودوتوس** من نيقوميديا، الطبيب، وثيوداس اللاؤديكى"Theiodas Laodikeus". وكان **مينودوتوس** معلمًا **لهيرودوتوس** من طرسوس، ابن آريوس "Arieus". أما **هيرودوتوس** هذا فقد كان أستاذًا **لسيكستوس إمبيريكوس** "Sextus Empiricus" الذى دون عشرة كتب عن الشكاك ومذهبهم كما ألف كتبًا أخرى غاية فى الروعة والإتقان. وكان **سيكستوس** هذا معلمًا **لساتورنينوس** "Saturninus" الملقب باسم **كيثيناس** *Kythênas*(١)، وهو إمبريقى بدوره.

---

(١) ويرى بعض أن هذا اللقب من المحتمل أن يكتب "*Kydathênaieus*"، وهى صفة تعنى عضوًا بالحى الأثينى المشهور بهذا الاسم، وكان مسموحًا حتى للإيطاليين الذين يحملون اسمًا على غرار ساتورنينوس الظفر بعضويته والانضمام إلى زمرته تحت مظلة العهد الإمبراطورى أثناء حكم الأباطرة من آل سيفيروس. [المراجع]

الجزء العاشر

إبيقوروس (إبيقور) Epikouros

(٣٤١ - ٢٧١ ق. م.)

(فقرة ١)

إبيقوروس هو ابن **نيوكليس** "Neoklês" من خايريستراتى "Chairestratê"، وكان مواطناً من حى جارجيتوس "Gargêttios" وكان ينحدر من عائلة فيلايداى "Philaïadai"، على نحو ما يذكر **ميترودوروس** فى كتابه المسمى **عن عراقة المولد** "*Peri Eugeneias*". ولقد أخبرنا **هيراكليديس**[1] فى كتابه "**موجز عن سوتيون**" "*Sôtiônos Epitomê*" – وهذا هو عين ما ورد فى مصادر أخرى – بأن **إبيقوروس** قد نشأ وتربى فى جزيرة ساموس بعد أن أوفد الأثينيون مستوطنين (إلى هذه الجزيرة)، وأنه قدم إلى أثينا عندما بلغ الثامنة عشرة من عمره، فى أثناء الوقت الذى كان فيه **اكسينوقراطيس** "Xenokratês" يلقى محاضراته فى مدرسة الأكاديمية، وكان **أرسطو** يلقى محاضراته فى خالكيس "Chalkis". وبعد وفاة الإسكندر المقدونى وطرد المستوطنين الأثينيين من ساموس على يد برديكاس "Perdikkas"[2]، ارتحل **إبيقوروس** إلى كولوفون "Kolophôn" ليلحق بوالده هناك.

---

(١) والمقصود به **هيراكليديس** من ليمبوس. راجع كتاب: شذرات المؤرخين الإغريق، الجزء الثالث، ص ٧٠. [المراجع]

(٢) انظر كتاب **ديودوروس** الصقلى فى الجغرافيا، الجزء ١٨، فصل ١٨، فقرة رقم ٤٩. [المراجع]

وكان **برديكاس** (٣٦٥ – ٣٢١ ق. م.) أحد قواد **الإسكندر الأكبر**، بعد وفاة الأخير (٣٢٣ ق. م.)، قد عين برديكاس وصيا على روكسانا زوجة الإسكندر وطفلها الذى لقب باسم الإسكندر=

(فقرة ٢)

ولقد مكث **إبيقوروس** فترة من الزمن هناك (فى كولوفون) حيث تسنى له أن يجمع حوله نفرًا من التلاميذ، ولكنه قفل عائدًا أدراجه إلى مدينة أثينا إبان (أرخونية) **أناكسيقراطيس** "Anaxikratês"[١]. ولقد قام الأخير باضطهاده فترة من الزمن بسبب (دراساته الفلسفية) أسوة بسواه من الفلاسفة الآخرين، لكن **إبيقوروس** فيما بعد تمكن من التوصل إلى صياغة مذهب خاص به بعد تأسيس المدرسة التى سميت على اسمه. ولقد أخبرنا **إبيقوروس** نفسه بأن أول اتصال له بالفلسفة تم عندما كان فى الرابعة عشرة من عمره. ويروى لنا **أبولودوروس الإبيقورى** "Apollodôros Epikoureios" فى الجزء الأول من كتابه المسمى **عن سيرة حياة إبيقوروس** "*Pori tou Epikourou Biou*" أن فيلسوفنا تحول إلى دراسة الفلسفة امتعاضًا من معلميه "*grammatistai*"[٢] الذين عجزوا عن تفسير معنى العماء "*chaos*"، بالمعنى الذى ورد به عند الشاعر **هيسيودوس**[٣]. ويقول لنا **هيرميبوس** "Hermippos": إن **إبيقوروس** أصبح بدوره معلمًا للنحو "*grammatodidaskalos*"[٤] بعد ذلك؛ ولكنه حينما قرأ

= **الرابع**؛ ومن ثم كانت له سلطات واسعة. ولكنه لقى حتفه عندما قتله جنوده فى لحظة تمرد وعصيان. وبعد أن طرد **برديكاس** الأثينيين من جزيرة ساموس. لجأت عائلة **إبيقوروس** إلى كولوفون بآسيا الصغرى، حيث سافر الفيلسوف إليها ليلحق بوالده. (المترجم)

(١) أى خلال عام ٣٠٧ – ٣٠٦ ق. م. [المراجع]

(٢) كلمة "معلم *grammatistês*" كانت تطلق عادة على مدرس المرحلة الابتدائية الذى كان يعلم التلاميذ مبادئ القراءة والكتابة والحساب وتمارين التدوين الصحيح للكلمات. [المراجع]

(٣) قارن: **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء العاشر، فقرة رقم ١٨، حيث نجد رواية مفصلة ومحبوكة عن هذه الواقعة. [المراجع]

(٤) كلمة معلم النحو "*grammatodidaskalos*" كانت تطلق عادة على مدرسى المرحلة الوسطى، حيث يدرس التلاميذ النحو والأدب ووزن الشعر ومبادئ الريطوريقا وطائفة من العلوم، مثل الهندسة والموسيقى والفلك. [المراجع]

مصادفة مؤلفات الفيلسوف **ديموقريطوس** "Dêmokritos" فيما بعد تحــول إلى دراسة الفلسفة بحماس وشغف.

(فقرة ٣)

ومن هنا قال **تيمون** عنه المقولة التالية(١):

"ثم جاء من بعد ذلك آخر علماء الطبيعــة وأكثــرهم وقاحــة وافتقارًا للحياء، وأعنى به ابن معلم النحو الذى وفد من جزيرة ساموس، أجهل المخلوقات طرًا !"(٢).

وبناء على تعليماته فقد التحــق إخوتــه الثلاثــة، وهــم: **نيــوكليس** **وخايريديموس** "Chairêdemos" **وأريسطوبولوس** "Aristoboulos" بمدرســته للفلــسفة، علـــى نحـــو مـــا يـــذكره **فيلوديمـــوس الإبيقـــورى** "Philodêmos Epikoureios" فى الجزء العاشر من مبحثه "عن الفلاســفة"، ولقد انضم إليهم كذلك عبده المــسمى **مــيس** "Mys" ، طبقًــا لمــا يــذكره **ميرونيانوس** "Myrônianos" فى كتابه المسمى **"الفصول التاريخية المتــشابهة** "*Homoia Historika Kephalaia*". ولقد شن عليــه **ديوتيمــوس الرواقــى** "Diotimos Stôikos"(٣) هجومًا مقذعًا وافترى عليه افتراءات مشينة مريرة،

---

(١) انظر: الشذرة رقم ٥١ . د من أعمال تيمون. [المراجع]

(٢) وربما يعنى **تيمون** هنا أن **إبيقوروس** كان معلمًا للنحو مثل والده الذى عمل بهذه المهنة قبله. قارن: **ديموسثينيس**، خطبة عن التاج، فقرة رقم ٢٥٨. وكما نستدل مما قاله **أريــسطوفانيس** فى مسرحية أهل أخارناى، أبيات ٥٩٥ – ٥٩٧، يبدو أن أسماء الكنية – على غــرار كلمــة "*grammatodidaskalides*" هنا – كانت تستخدم للإشارة إلى الأشخاص الذين يــشغلون مهنــا مماثلة لمهن آبائهم. [المراجع]

(٣) ورد ذكر **ديوتيموس** الذى افترى افتراءات مشينة على **إبيقوروس** والذى رد عليه الإبيقورى **زينون** ليفحمه، ورد ذكره عند **أثينايوس**، مأدبة الفلاسفة، الجزء الثالث عشر، فقرة ٦١١ ب، حيث روى أن الحكم قد صدر بإعدامه. [المراجع]

وذلك بأن نسب إليه زورًا وبهتانًا خمسين رسالة فاضحة زعم أن الفيلسوف **إبيقوروس** هو الذى كتبها؛ على الرغم من أنها تنسب عادة إلى خريسيبّوس[١].

(فقرة ٤)

ولقد تبعهما فى هذا (الافتراء) كل من **بوسيدونيوس الرواقى** "Poseidonios Stôikos" وأعضاء مدرسته، **ونيكولاؤوس**، **وسوتيون** فى الجزء الثانى عشر من كتابه المسمى التفنيدات الديوكلية "*Diokleia elenchoi*" – وهو مؤلف مكون من أربع وعشرين جزءًا – وكذا **ديونيسيوس الهاليكارناسى** "Dionysios Halikarnasseus". فلقد زعم هؤلاء جميعًا أن **إبيقوروس** دأب على الذهاب مع أمه إلى البيوت (الريفية) الصغيرة لقراءة التعاويذ والرقى (حيث إن أمه كانت تمارس السحر والشعوذة)، وأنه كان يساعد والده فى التدريس بالمدرسة لقاء أجر زهيد[٢]. بل إنهم زعموا فضلاً عن هذا أن واحدًا من أخوته (الثلاثة) كان يعمل قوادًا – وأنه كان يعاشر غانية تدعى **ليونتيون** "Leontion"، وأنه نسب إلى نفسه (زورًا وبهتانًا) نظريات **ديموقريطوس** عن الذرات "*atoma*" ونظريات **أريستيبوس** عن اللذة "*hêdonê*"؛ كما زعموا أيضًا أنه ليس مواطنًا أثينيًا "*astos*" أصيلاً، وذلك وفقًا لما يقول **طيموقراطيس** "Timokratês" **وهيرودوتوس** فى كتابه "عن

---

(١) **خريسيبّوس**: فيلسوف رواقى مشهور، يعد مؤسسًا – مع زينون – للمدرسة الرواقية. انظر عنه: الجزء السابع، الفصل السابع، المركز القومى للترجمة، المجلد الثانى، رقم ١٢٤٤ (٢٠٠٧)، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام ومراجعة: محمد حمدى إبراهيم، ص ص ٢٦٣ – ٢٨٤. [المراجع]

(٢) قارن: **ديموستينيس**، خطبة عن التاج، فقرة رقم ٢٥٨. [المراجع]

فترة شباب إبيقوروس "*Peri Epikourou ephêbeias*". بل إنهم زعموا أنــه كان يتملق ميثراس "Mithras"[1]، وزير **ليسيماخوس** "Lysimachos"، وأنــه كان يغدق عليه فى رسائله أوصاف الإله أبولّون الشافى "*Paian*" ونعوته.

(فقرة ٥)

كما أنهم زعموا كذلك أنه كان يغدق الثناء والمديح على **إيــدومينيوس** "Idomeneus" وعلى **هيرودوتوس** وعلى **طيموقراطيس** الذين قــاموا بنــشر نظرياته السرية الخفية، وأنه كان ينبرى لتملقهم لهذا السبب نفسه. ثم إنهــم زعموا أيضًا أنه سطر فى رسائله إلى (الغانية) **ليونتيون** ما يلى: "**بحق الإله أبولون الشافي، يا عزيزتى ليونتيون الصغيرة، إن أكفنا تلتهب بالتــصفيق الحاد، كما تفعم أرواحنا بالإلهام حينما نطالع رسالتك**"؛ وأنــه ســطر فــى رسائله إلى **ثيميستا**، زوجة ليونتيوس "Leonteus"، ما يلى: "**إننى على أتــم استعداد – لو أنكم لم تأتوا لزيارتى – لأن أصبح طوع بنانكم**[2]**، وأن أندفع دون أن ألوى على شىء إلى المكان الذى تتفضلون بالموافقة عليــه أنــتم وثيميستا**"؛ وأنه سطر إلى **بيثوكليس** "Pythoklês" الفاتن "*hôraios*" ما يلى: "**سوف أجلس منتظرًا قدومك القدسى الذى يهفو إليه الفؤاد**". كذلك زعمــوا أنه سطر إلى **ثيميستا** – وفقًا لما يخبرنا به **ثيودوروس** فى الجزء الرابع من

---

(١) كان **ميثراس** وزير **ليسيماخوس** سورى المولد، وكان **ليسيماخوس** بعد وفــاة **ديميتريــوس البوليوركيتى** (محاصر المدن) قد أصبح الشخصية الأولى فى الإمبراطورية المقدونية، خاصة بعد موقعة إيسوس، ولكنه لقى حتفه بعد هزيمته علــى يــد **ســيليوقوس** عــام ٢٨٢ ق. م. [المراجع]

(٢) اللفظ المستخدم هنا هو "*trikylistos*" ومعناه الحرفى "يحوم أو يدور ثــلاث مــرات"، ولكنــه مستخدم هنا بمعنى مجازى هو "يصبح طوع البنان، أو يتأثر بسهولة"، كمــا أوضــحنا فــى الترجمة عاليه. [المراجع]

كتابه المسمى **ضد إبيقوروس** *"Pros Epikouron"* – رسالة أخرى معتقدًا أنه يسدى إليها النصح(١).

(فقرة ٦)

ولقد زعموا بالإضافة إلى ذلك أن **إبيقوروس** قد دون رسائل بالمثل إلى كثيرات من الغوانى الأخريات، ومنهن على وجه الخصوص (الغانية) **ليونتيون**، التى كان يعشقها **ميترودوروس** ويغرم بها. ولقد لوحظ أن **إبيقوروس** أيضًا قد دون فى (مبحثه) الذى يحمل عنوان عن الغاية (الأخلاقية) *"Peri Telous"* ما يلى(٢):

"لست أدرى حقًا كيف يتسنى لى أن أتصور الخير بمعزل عن لذات التذوق *"chyloi"*، وبمعزل عن متع الجنس ومتع الصوت ومتع الشكل الجميل!". كما زعموا أنه كتب رسالة إلى **بيثوكليس** يقول فيها: "ارفع كل

---

(١) انقسم الباحثون فى ترجمة هذه العبارة المحيرة. (أ) فيذهب نفر منهم إلى أن الفلاسفة الرواقيين كانوا يستخدمون إسداء النصح *"parainetikê"* – وهو فرع من فروع الفلسفة الأخلاقية يجرى تطبيقه فى مجال المبادئ الأخلاقية – ومن ثم فإن ترجمة العبارة "بإسداء النصح" تكون صحيحة وملائمة. (ب) بينما يرى نفر آخر منهم أننا لو أبدلنا الضمير الشخصى autê (بمعنى هى فى حالة الفاعل) إلى autên (بمعنى هى فى حالة المفعول به)، فإن المعنى يصبح: "معتقدًا أنها هى التى تسدى النصح". (ج) ويذهب فريق ثالث إلى أن هذه الرسالة لو كانت واحدة من الرسائل الخمسين الشائنة المزعومة التى ورد ذكرها فى الفقرة رقم ٣ أعلاه، فإن القراءة *"autên perainein"* تكون هى الصحيحة. (د) ويرى فريق رابع أنه لو كان لا بد لنا من تصويب النص، فإن المعنى قد ينطوى على الانتقاد وعلى التقريظ فى آن واحد؛ ومن هنا يقترحون القراءة المصوبة *"autên parakinein"*، ومعناها "معتقدًا أنها قد غدت مخبولة" لو أنها قالت هذا. [المراجع]

(٢) قارن: **أثينايوس**، مأدبة الفلاسفة، الجزء الثانى عشر، فقرة ٥٤٦ هـ. وربما كان **إبيقوروس** فى هذه المقولة يذكر أمثلة المتع الحسية التى تلبى الحواس الأربع، وهى: التذوق، اللمس، السمع والرؤية؛ ومن ثم فإن إغفال الشم يبدو مستغربًا. [المراجع]

أشرعتك وأبحر، أيها المبارك السعيد "*makarie*"، وتحاشى كل ما يمت بصلة للثقافة!"؛ ومن هنا دأب إبيكتيتوس "Epiktêtos" على تسميته بالكاتب الداعر "*kinaidologos*"، كما دأب على السخرية منه بوجه خاص.

كذلك فإن **تيموقراطيس** – وهو شقيق **ميترودوروس** – الذى كان تلميذًا **لإبيقوروس** ولكنه ترك مدرسته، يعلن فى كتاب له بعنوان **عن ألوان المرح** "*Euphranta*" أن **إبيقوروس** كان يتقيأ مرتين فى اليوم بسبب إفراطه فى تناول الطعام. ثم يستطرد فيقص علينا أنه هو نفسه (أى **تيموقراطيس**) قد بذل جهدًا كبيرًا، لكى يهرب من تلك الفلسفات الليلية (ذات السمعة السيئة) ومن عِشْرة هذه البطانة بكل ما فيها من أسرار.

(فقرة ٧)

وعلاوة على ذلك، فلقد زعم كذلك أن معرفة **إبيقوروس** بالفلسفة كانت ضئيلة وأنه كان يجهل الكثير من دقائقها، أما معرفته بالحياة فكانت أشد ضآلة بكثير، وأن صحته البدنية كانت تدعو إلى الرثاء[١] لدرجة أنه ظل سنين عددًا عاجزًا عن النهوض من مقعده، وأنه كان ينفق مبلغًا قدره مينا *mna* (أى مئة دراخمة) كل يوم على الطعام، طبقًا لما دونه هو نفسه فى رسالته إلى (الغانية) **ليونتيون**، وكذا إلى الفلاسفة الذين كانوا فى مدينة ميتيلينى "Mytilênê". كذلك زعم **تيموقراطيس** أن من بين الغانيات "*hetairai*" اللائى عاشرنه وعاشرن **ميترودوروس**: **ماماريون**

---

(١) قارن: أيليانوس Aelianus ، شذرة رقم ٣٩ (عن **إبيقوروس** وتلاميذه). وطبقًا لما ورد عند **أيليانوس** فإن إخوة **إبيقوروس** الثلاثة سقطوا جميعًا فريسة للأمراض؛ ويذكر لنا **بلوتارخوس**، كاتب السير المشهور، أن فيلسوفنا كان مصابا بمرض الاستسقاء. ولكن يبدو أن خصومه قد بالغوا فى الحديث عن علله وأمراضه، وأن هذه العلل مهما كان من شأنها لم تكن تمنعه من ممارسة تدوين أعماله أو من التفكير الفلسفى. [المراجع]

"Mammarion"، وهيـــديا "Hêdeia"، وإروتيـــون "Erôtion"، ونيكيـــديون "Nikidion". كما زعم أيضًا أن **إبيقوروس** فى كتبه السبعة والثلاثين "**عـــن الفيزيقا** *Peri physeôs*" قد استخدم كثيرًا جدًا من العبارات المكــررة، كمـــا كتب أفكارًا تقف على طرفى نقيض من أفكار الفلاسفة الآخرين وتتعـــارض معها، وبوجه خاص مع أفكار **ناوسيفانيس** "Nausiphanês"؛ وهذا هو نص ما قاله:

"ولكن على أى حال دعهم يذهبون إلى حال سبيلهم، ذلك لأنـــه حينما كان يئن ويتوجع من فكرة خطرت على ذهنه، فإنه كان يتزود بالخيلاء السوفسطائى وتنتفخ أوداجه زهوًا، مثلـــه فـــى ذلك مثل كثير غيره من العبيد والأقنان".

(فقرة ٨)

وفضلاً عن ذلك، فقد زعم أن **إبيقوروس** قد قال عن **ناوسيفانيس** فى رسائله ما يلى: "**ولقد أصابه هذا بمس من الجنون فخرج عن طوره، لدرجة أنه سخر منى ونعتنى بأننى مجرد مدرس** "*didaskalos*" **متزمت**". ثم زعـــم أن **إبيقوروس** كان معتادًا على أن يصف **ناوسيفانيس** هذا بأنه قنديل البحر "*pleumôn*" لشدة رخاوته [١]، وبأنه أمى "*agrammotos*"، ومحتال "*apateôn*" وقواد داعر "*pornês*". وأنه وصف أيضًا تلاميذ أفلاطون بأنهم حفنـــة مـــن مداهنى **ديونيسوس** "*Dionysokolakes*"، كما وصـــف **أفلاطون** نفـــسه بأنـــه أفلاطون الذهبى "*Chrysous*"[٢]. وأنه وصف **أرسطو** بأنه خليـــع مـــاجن

(١) قارن: **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء الأول، فقرة رقم ٣، حيـــث نعرف أن التبلد واللا مبالاة، وليست الرخاوة أو الضعف، هما من صـــفات قنـــديل البحـــر. [المراجع]

(٢) وفى هذه الصفة إطراء ينطوى على السخرية، وربما كان المقصود بها أسلوب أفلاطـــون، بمثل ما أطلقت صفة ذهبى الفم "*chrysostomos*" على **يوحنا** فيما بعد. وليس من المرجح أن=

"*asôtos*" ومسرف، لأنه بعد أن ضيع الثروة التى آلت إليه من آبائه راح يشتغل بالجندية وبيع الأدوية. وأنه وصف **بروتاجوراس** بأنه حمال يحمل الأثقال على ظهره "*phormophoros*"، وبأنه ناسخ كتب **ديموقريطوس**، وبأنه مدرس غلمان يجوب القرى؛ كما زعم أنه وصف **هيراقليطوس** بأنه فوضوى "*kykêtês*"[١]. وأنه وصف **ديموقريطوس** بأنه ثرثار يهذى ويخرف "*Lêrokritos*"[٢]؛ وأنه وصف **أنتيدوروس** "Antidoros" بالمداهن الذى يستجدى الهدايا "*Sannidôros*"؛ وبأنه وصف الفلاسفة الكلبيين بأنهم أعداء بلاد اليونان؛ ووصف الفلاسفة الجدليين بأنهم حاقدون حاسدون للغاية "*polyphthonoi*"؛ وأنه وصف بيرون بأنه غبى وجاهل "*amathês kai apaideutos*".

(فقرة ٩)

ولكن هؤلاء الناس (جميعًا) قد أصيبوا بالخبل والجنون، لأن فيلسوفنا كان لديه شهود كثيرون يشهدون على نواياه الطيبة تجاه الناس كافة، ولأن وطنه كرمه بتشييد تماثيل من البرونز، ولأن أصدقاءه كانوا من الكثرة بمكان لدرجة أن عددهم كان يعادل تعداد سكان مدن بأسرها. والحق أن كل من

= يكون **أفلاطون** قد يعتبر بناء على هذا الوصف غرًا ساذجًا يزخرف الكلام أو يتشدق بالألفاظ المعسولة. [المراجع]

(١) ربما بالمعنى الساخر الذى وصف به **أفلاطون** أتباع **هيراقليطوس** الذى يذهب إلى أن كل شيء فى تدفق مستمر، وأنهم هم أنفسهم يتغيرون باستمرار. راجع محاورة "ثيايتيتوس"، ١٨١ – أ؛ من تعليقات الترجمة الإنجليزية. وانظر أيضًا الترجمة العربية للدكتورة أميرة حلمى مطر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (١٩٧٣)، ص ٩٦ وما بعدها. (المترجم)

(٢) وفى هذه الصفة تلاعب بالألفاظ بين اسم الفيلسوف "*Dêmokritos*" وصفته "*lêrokritos*" التى تعنى الثرثار الذى يهذى ويهرف بما لا يعرف. وينطبق الأمر نفسه على التلاعب بالألفاظ بين اسم **أنتيدوروس** "Antidôros" والصفة التى أطلقت عليه هنا، وهى "*sannidôros*" بمعنى المداهن الذى يستجدى الهدايا. [المراجع]

عرفه كان يتمسك بمذهبه ويتعلق بأفكاره كما لو كان واقعًا تحت تأثير السيرينيات "*Seirênes*"(١)، هذا إذا ما استثنينا **ميترودوروس الاستراتونيقى** "Mêtrodôros Stratonikeus"(٢)، الذى تركه والتحق بزمرة **الفيلسوف كارنياديس** "Karneadês"؛ ربما بعد أن سئم من سمو أستاذه **إبيقوروس** وطيبته المفرطة. ولقد ظلت الخلافة "*diodochê*" مستمرة فى هذه المدرسة على الرغم من وفاة جميع الآخرين تقريبًا، وظلت متواصلة إلى الأبد "*esaei*" بغير انقطاع طوال عهود حكم "*archai*" لا حصر لها، يتعاقب على رئاستها باحث بعد آخر من الباحثين ذوى الصيت الذائع(٣).

(فقرة ١٠)

ناهيك عن امتنانه وشعوره بالعرفان نحو والديه، وحسن معاملته لإخوته، ورقته ودماثة خلقه مع خدمه، وهو ما تشهد عليه بنود وصيته، وكذا

---

(١) **السيرينيات** هن عرائس البحر اللاتى كن يصدرن أنغامًا ساحرة تقود إلى هلاك من يسمعها ويتوجه صوبها، وقد تعرض لهن البطل **أوديسيوس فى** أثناء عودته إلى وطنه بعد انتهاء حرب طروادة، ولكنه نجا من الوقوع فى براثنهن بأن أمر بحارته بشد وثاقه بإحكام إلى صارى السفينة، وبوضع شمع مصهور فى آذانهم حتى لا يسمعوا صفيرهن المهلك. [المراجع]

(٢) ويحذر المعلقون من الخلط بين **ميترودوروس** هذا وسميه الأشهر **ميترودوروس** من لامبساكوس (قارن فقرة ٢٢ أدناه)، وذلك لأن **ميترودوروس** الاستراتونيقى لا بد أن ينتمى إلى القرن الثانى ق. م.، هذا لو سلمنا جدلاً بأنه كان معاصرًا للفيلسوف **كارنياديس** (نحو عام ٢١٥ – ١٣٠ ق. م.). [المراجع]

(٣) هناك خلط وتداخل فى هذه المقولة الخاصة باستمرار مدرسة **إبيقوروس** بعد وفاته، ويرجع ذلك إلى أن ما هو مدون من دفاع حماسى عن **إبيقوروس**، هو من عنديات **ديوجينيس لائيرتيوس** نفسه وليس منقولاً عن أى مصدر قديم. فلو أننا قارنا قائمة الافتراءات والتشهير التى وردت فى الفقرتين ٣ – ٤ أعلاه، فلن نجد أى شخص فيها يتأخر فى سنوات حياته إلى ما بعد العصر الأوغسطى فى روما. وعلاوة على ذلك فقد لاحظ الأستاذ **أوسنير** "Usener" (*Epicurea*. 373) أن فترة زمنية مقدراها ٢٢٧ عامًا قد مضت منذ عام ٢٧٠ (تاريخ وفاة **إبيقوروس**) حتى عام ٤٤ ق. م. (بداية عصر **أوغسطس**). [المراجع]

واقعة أنهم كانوا هم أنفسهم أعضاء فى مدرسته، حيث كان أكثرهم شهرة وذيوع صيت هو **ميس** "Mys" الذى سبق ذكره[1]. يضاف إلى ذلك بوجه عام أريحيته وحبه للبشر كافة "*philanthrôpia*". أما تقواه نحو الأرباب وكذا حبه لوطنه فينطويان على مشاعر يتعذر وصفها؛ وأما احترامه المفرط لسواه ودماثة خلقه فقد دفعاه إلى عدم الانخراط فى أمور السياسة والحياة العامة. ولقد أمضى حياته كلها فى بلاد اليونان على الرغم من المحن والكوارث التى حلت بها إبان تلك الأزمان[2]؛ وحتى عندما شد الرحال مرة أو مرتين إلى منطقة إيونيا "Iônia" فقد كان ذلك لزيارة أصدقائه هناك[3]. والحق إن أصدقاءه كانوا معتادين على أن يفدوا إليه من كل صوب وحدب لكى يعيشوا معه فى الحديقة "*kêpos*"، وفقًا لما رواه **أبولودوروس** الذى يذكر لنا أيضًا أنه اشترى هذه الحديقة بثمانين مينا (أى ٨٠٠٠ دراخمة).

(فقرة ١١)

كما يروى لنا **ديوكليس** "Dioklês" – فى الجزء الثالث من كتابه المسمى "الخلاصة *Epidromê*" – أن (**إبيقوروس** وتلاميذه) كانوا يحيون حياة غاية فى البساطة والتقشف، ويذكر أنهم "كانوا يكتفون بكأس "*kotylê*"

---

(١) يذكره الدكتور **عثمان أمين** فى مقاله فى معجم أعلام الفكر باسم "**موسى**". راجع مقاله "**أبيقور والأبيقوريون**"، المجلد الأول، ص٤٣٥. (المترجم)

(٢) روى الباحثون أن الفيلسوف **إبيقوروس** – أثناء حصار مدينة أثينا – كان يقيم أود تلاميذه، وأنه خصص لكل واحد منهم حصته من الحبوب اللازمة لطعامه (انظر: **بلوتارخوس**، حياة **ديميتريوس**، فقرة ٤٣). [المراجع]

(٣) قارن الرسالة رقم ٣٢ أدناه (شذرة رقم ١٧٦ من الكتاب الذى نشره الأستاذ **أوسنير** Usener)، وكانت هذه الرسالة الشهيرة الموجهة إلى أحد الأطفال مدونة فى مرحلة من هاتين المرحلتين، عندما كان الفيلسوف فى مدينة لامبساكوس "Lampsakos". [المراجع]

ضئيل[١] من النبيذ "*oinidion*"، وأن الماء كان جل شرابهم". ولقد ذكر لنا أيضًا أن **إبيقوروس** كان يعتقد أنه ليس من الصواب أن تكون ملكيتهم مشتركة، على نحو ما أوصى به فيثاغورث من وجوب أن تكون الممتلكات مشتركة بين الأصدقاء؛ فمثل هذا التصرف يعني في تصوره انعدام الثقة (بين الأصدقاء)، وإذا انعدمت الثقة فلن توجد صداقة. كذلك فإن **إبيقوروس** نفسه يذكر في رسائله أنه كان قانعًا بالماء (القراح) والخبز البسيط "*litos artos*". كما أنه يقول أيضًا: "**أرسل لي قَدْرًا صغيرًا** "*kythridion*" **من الجبن** "*tyros*"، **لأصنع لك وجبة فاخرة حين أرغب في ذلك**". ذلك هو الرجل الذي اعتقد عن يقين بأن اللذة هي غاية "*telos*" الحياة؛ ولقد أثنى عليه **أثينايوس** "*Athênaios*" بالإبجرامة التالية[٢]:

> **"أي معشر البشر، إنكم تكدحون من أجل ما هو أدنى وأسوأ، وتشرعون في النزال والعراك دون توقف من أجل الكسب، (غير مدركين) أن ثروة الطبيعة تمتد إلى حد معقول؛ في حين أن الأحكام التي لا طائل من ورائها تقودكم إلى طريق لا نهاية له. هذه الحقيقة هي التي سمعها الابن الحكيم (المنحدر من صلب) نيوكليس إما من الموسيات وإما من (كاهنة) دلفي (الجالسة) على المقعد المقدس ثلاثي الأرجل"[٣].**

والحق إننا كلما مضينا قدمًا؛ عرفناه على نحو أفضل من نظرياته ومن أقواله. فلقد كان فيلسوفه المفضل من بين الفلاسفة القدماء – كما يقول **ديوكليس** – هو **أناكساجوراس** "Anaxagoras"، على الرغم من أنه كان يختلف معه في بعض الأحيان، وكذا **أرخيلاؤس** "Archelaos" أستاذ سقراط.

(١) الكوتيلي "*kotylê*" كأس أو كوب أو وعاء صغير، كان يستخدم كمكيال للسوائل، وهو يساوي نصف باينت "*pint*" أو ثمن جالون وفقًا للمكاييل الإنجليزية. [المراجع]

(٢) انظر: كتاب "المختارات البلادونية"، الجزء الرابع، إبجرامة رقم ٤٣. [المراجع]

(٣) قارن: **بترونيوس** "Petronius"، الساتورناليا "*Saturnalia*"، فقرة رقم ١٣٢. [المراجع]

ثم يمضى **ديوكليس** فيقول إن **إبيقوروس** اعتاد أن يدرب أصدقاءه على استظهار كتاباته وحفظها فى ذاكرتهم[١].

(فقرة ١٣)

ويخبرنا **أبولّودوروس** فى كتابه التقويم الزمنى "*Chronika*" بأن **إبيقوروس** كان تلميذًا لكل من **ناوسيفانيس** و**براكسيفانيس** "Praxiphanês"[٢]، غير أن **إبيقوروس** نفسه فى رسالته إلى **يوريلوخوس** "Eurylochos" ينكر ذلك ويقول إنه علم نفسه بنفسه. وفى الحق إن **إبيقوروس** و**هيرمارخوس** "Hermarchos" يزعمان كلاهما أنه لم يكن هناك وجود للفيلسوف **ليوقيبوس** "Leukippos"، على الرغم من أن نفرًا من الكتاب ومعهم **أبولّودوروس الإبيقورى** يقولون إنه كان أستاذ **ديموقريطوس**. ومن ناحية أخرى يخبرنا **ديميتريوس** من ماجنيسيا "Dêmêtrios Magnês" بأن **إبيقوروس** كان تلميذًا من تلاميذ **اكسينوقراطيس** "Xenokratês" .

وكانت الكلمات التى يستخدمها **إبيقوروس** لوصف الأشياء هى الكلمات المألوفة، وعلى الرغم من ذلك فإن **أريسطوفانيس** النحوى يتهمه بأن أسلوبه ذو طابع ذاتى للغاية "*idiôtatê*". وفى الحق إن فيلسوفنا كان ذا أسلوب واضح جدًا "*saphês*"، لدرجة أنه فى كتابه المسمى عن الريطوريقا "*Peri rhêtorikês*" كان يؤكد أن الوضوح "*saphêneia*" هو مرامه قبل أى شىء آخر.

---

(١) قارن الفقرتين ٣٦، ٨٣ أدناه من هذا الجزء. [المراجع]

(٢) لو أن هذا الفيلسوف كان تلميذا **لثيوفراسطوس**، خليفة **أرسطو**، فإن اعتبارات السن قد تجعل هذا أمرًا غير ممكن لأقصى حد، ومن ثم فإن من غير المعقول أنه قد قام بالتدريس **لإبيقوروس**. من تعليقات الترجمة الإنجليزية. (المترجم)

(فقرة ١٤)

ثم إن **إبيقوروس** فى رسائله- بدلاً من إزجاء التحية "*chairein*" بالطريقة المألوفة فى خاتمة الرسالة - كان يعرب عن تمنياته الطيبة بالتوفيق وبالرفاهية والسعادة "*eu prattein*" "*spoudaiôs zên*". ويخبرنا **أريسطون** Aristôn[١] - فى كتابه المسمى سيرة حياة إبيقوروس "*Epikourou bios*" - بأن فيلسوفنا قد دون كتابه المسمى مجموعة المبادئ "*Kanôn*" على غرار كتاب الفيلسوف **ناوسيفانيس** المسمى "المقعد ثلاثى القوائم "*Tripous*"، الذى كان فيلسوفنا تلميذاً له بمثل ما كان تلميذاً أيضًا للفيلسوف الأفلاطونى **بامفيلوس** "Pamphilos"[٢] فى جزيرة ساموس. ثم إنه يخبرنا كذلك بأن **إبيقوروس** قد بدأ دراسة الفلسفة عندما كان فى سن الثانية عشرة من عمره، وبأنه افتتح مدرسته التى رأسها وهو فى الثانية والثلاثين من عمره.

ولقد وُلِد **إبيقوروس** - على نحو ما يذكر لنا **أبولّودوروس** فى كتابه المسمى "التقويم الزمنى" - فى السنة الثالثة من الفترة الأوليمبية التاسعة بعد المئة (أى عام ٣٤١ ق. م.)، وذلك إبان أرخونية **سوسيجينيس** "Sôsigenês"، فى اليوم السابع من شهر جاميليون "*Gamêliôn*"[٣]، وكان ذلك هو العام السابع بعد وفاة أفلاطون.

---

(١) **أريسطون** هو بغير شك الفيلسوف الأكاديمى **أريسطون السكندري**، تلميذ **أنتيخوس** الذى نقده **فيلوديموس** فى كتابه "عن الريطوريقا". من تعليقات الترجمة الإنجليزية، مجلد ٢، ص٥٤٢. (المترجم)

(٢) قارن: **معجم سودا** (سويداس) تحت كلمة **بامفيلوس**؛ وقارن أيضًا: **شيشرون**، عن طبيعة الأرباب "*De natura deorum*"، الجزء الأول، فقرة رقم ٧٢. [المراجع]

(٣) شهر **جاميليون** هو الشهر السابع فى السنة الأتيكية القمرية القديمة، وسمى بهذا الاسم لأنه شهر احتفالات الزواج؛ وهو يقابل فى تقويمنا الحديث نهاية شهر يناير وبداية شهر فبراير=

(فقرة ١٥)

كما يخبرنا أيضًا بأن **إبيقوروس** قد أسس- عندما كان في الثانية والثلاثين من عمره – مدرسة للفلسفة أولاً في مدينة ميتيليني ثم في مدينة لامبساكوس حيث ظلت قائمة لمدة خمس سنوات، انتقل بعدها إلى مدينة أثينا حيث رحل عن الحياة في السنة الثانية من الفترة الأوليمبية السابعة والعشرين بعد المئة (أي خلال عام ٢٧١ – ٢٧٠ ق. م.)، وذلك في أرخونية **بيثاراتوس** "Pytharatos" عن عمر يناهز الثانية والسبعين. كما يذكر لنا كذلك أن **هيرمارخوس بن آجيمورطوس** "Agemortos" الميتيليني "Mytilênaios" قد أصبح خلفًا له في رئاسة المدرسة؛ وأن **إبيقوروس** قد قضى نحبه بسبب حصوة في الكلى سدت مجرى البول ***"lithos tôn ourôn epischethentôn"***، على نحو ما يرويه لنا **هيرمارخوس** في رسائله، بعد مرض استمر أربعة عشر يومًا. ومن هنا يحكي لنا **هيرميبوس** أن فيلسوفنا قد دخل حمامًا برونزيًا "*pyelon chalkê*" ليغتسل بالماء الفاتر، ثم طلب نبيذًا صافيًا غير مخلوط "*akratos*" وتجرعه "*rophêsai*".

(فقرة ١٦)

وأوصى بعدها أصدقاءه بأن يتذكروا نظرياته ومعتقداته، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة. وفيما يلي إيجرامة نظمتها تخليدًا لذكراه[١]:

"وداعًا يا أصدقائي، تذكروا دومًا المذاهب التي علمتكم إياها، كان هذا آخر ما قاله إبيقوروس لأصدقائه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة.

= تقريبًا. ولذا فإن الفيلسوف **إبيقوروس** قد ولد تقريبًا في شهر فبراير من عام ٣٤١ ق. م.، أما **أفلاطون** فقد توفي عام ٣٤٧ ق. م. [المراجع]

(١) انظر: كتاب المختارات البالاتينية، الجزء السابع، إيجرامة رقم ١٠٦. [المراجع]

كان قد ذهب ليغتسل بماء دافئ وشرب نبيذًا صافيًا غير مخلوط، ثم قدر له أن يجرع كأس الحُمَام (هاديس) البارد توًا بعد ذلك".

تلك كانت حياة هذا الرجل (الحكيم) وتلك كانت نهايته.

وكانت وصيته (الأخيرة) على النحو التالى:

"إننى أهب جميع ممتلكاتى على النحو التالى: أهبها إلى كل من أمينوماخوس "*Amynomachos*" بن فيلوكراطيس من باتى "Batê"، وطيموقراطيس بن ديميتريوس من بوطاموس، لكل واحد منهما على حدة طبقًا لبنود عقد الهبة المدون فى الميترووِن "*Mêtrôon*"[١]

(فقرة ١٧)

"وذلك على شريطة أن تؤول الحديقة "*kêpos*" وكل ما يتعلق بها إلى حوزة هيرمارخوس بن آجيمورطوس الميتيلينى وأعضاء مدرسته؛ وإلى حوزة من يتركهم هيرمارخوس خلفاء له فى رئاسة المدرسة كى يعيشوا ويدرسوا فيها[٢]. كذلك فإننى أعهد إلى الدارسين من تلاميذى دائمًا بمهمة مساعدة كل من أمينوماخوس وطيموقراطيس وورثتهما فى الحفاظ قدر استطاعتهما على الحياة المشتركة فى الحديقة بالطريقة التى يرون أنها الأكثر أمانًا؛ وذلك لكى يقوم هؤلاء (الورثة) بالحفاظ

---

(١) سبق القول بأن الميترووِن هو ضريح للربة العظمى كيبيلى "*Kybelê*" فى مدينة أثينا، وكان قائمًا فى حى الخزافين أسفل تل الأكروبوليس. وكان هذا المعبد بمثابة دار للمحفوظات والوثائق الأثينية. [المراجع]

(٢) قارن الفقرة رقم ٥٢ أعلاه من الجزء التاسع من هذه الموسوعة. [المراجع]

على الحديقة وتوريثها على غرار الطريقة ذاتها التى ورث بها تلاميذنا المدرسة. وعلى كل من أمينوماخوس وطيموقراطيس أن يسمح لهيرمارخوس ورهطه من التلاميذ بسكنى المنزل الكائن فى مدينة ميليتوس، طالما ظل هيرمارخوس على قيد الحياة.

(فقرة ١٨)

ومن الموارد المالية التى سُلمت من طرفى إلى كل من أمينوماخوس وطيموقراطيس، فإنه يتعين عليهما قدر استطاعتهما – بعد التشاور مع هيرمارخوس – أن يقوما بالإنفاق منها على ما يلى:

١ – القرابين الجنائزية "*enagismata*" المقدمة لأرواح كل من والدى ووالدتى وإخوتى.

٢ – الاحتفال المعتاد الذى يقام كل عام بمناسبة عيد ميلادى "*genethlios hêmera*" فى العاشر من شهر جاميليون.

٣ – وكذا على الاجتماع الذى يعقده تلاميذ مدرستى فى اليوم العشرين من كل شهر، إحياء لذكرى ميترودوروس وذكراى طبقًا للعادة المتبعة الآن[١]. وإن لهما أن يشاركا كذلك فى الاحتفال بذكرى إخوتى خلال

---

(١) يشهد شيشرون على أن هذه العادة ظلت متبعة فى مدرسة إبيقوروس لعدة قرون (انظر: عن الغايات "*De Finibus*"، الجزء الثانى، فقرة رقم ١٠١). وهناك شاهدان آخران على استمرار هذه العادة: أولهما بلينيوس الأكبر الذى أشار إلى ذلك فى كتابه: التاريخ الطبيعى "*Naturalis Historia*"، الجزء رقم ٣٥، فقرة رقم ٥؛ والإبجرامة التى نظمها فيلوديموس (انظر :كتاب المختارات البالاتينية، الجزء الحادى عشر، إبجرامة رقم ٤٤). قارن أيضًا: أثينايوس، مأدبة الفلاسفة، الجزء السابع، فقرة رقم ٢٩٨ د ، وانظر أعلاه الجزء السادس، فقرة رقم ١٠١ من هذه الموسوعة. [المراجع]

شهر بوسيديون "*Poseideôn*"[١]، وأن يشاركا بالمثل فى الاحتفال بـذكرى بوليآينوس "Polyainos" خلال شهر ميتاجيتنون "*Metageitniôn*"[٢] مثلمـا كنت أفعل أنا.

(فقرة ١٩)

وعلى كل من أمينوماخوس وطيموقراطيس رعاية إبيقـوروس بـن ميترودوروس، وكذا رعاية ابن بوليـآينوس طـوال سـنوات دراسـتهما وإقامتهما فى كنف هيرمارخوس. وعليهما أيضًا أن يقوما برعايـة ابنـة ميترودوروس[٣] وإعالتها، طالما ظلت حسنة السلوك "*eutaktos*" ومطيعـة لهيرمارخوس؛ وعليهما أيضًا – حينما تبلغ هذه (الابنة) سـن الـزواج أن يزوجاها من زوج يصطفيه هيرمارخوس من بين تلاميذ المدرسـة. كـذلك فإن على كل من أمينومـاخوس وطيمـوقراطيس – بعـد التـشاور مـع هيرمارخوس – أن يمنح لهما من العائد المالى الذى يدره دخلى ما يرى أنه مناسب لإعالتهما كل عام.

(فقرة ٢٠)

وعليهما أيضًا أن يجعلا هيرمارخوس وصيًا "*kyrios*" مع كل منهمـا على أرصدة الدخل[٤]، وذلك لكى يتم إنجاز كل شيء وفـق مـا يرتـضيه

(١) شهر بوسيديون – الذى سمى على اسم الإله بوسيديون – هو الشهر السادس مـن الـسنة الأتيكية القمرية القديمة، وهو يقابل فى تقويمنا الحديث النصف الأخير مـن شـهر ديـسمبر والنصف الأول من شهر يناير تقريبًا. [المراجع]

(٢) شهر ميتاجيتنيون – الذى سمى بهذا الاسم لأن الناس كانوا يغيرون موطن إقاماتهم خلاله – هو الشهر الثانى من السنة الأتيكية القمرية القديمة، وهو يقابل فى تقويمنا الحـديث النـصف الأخير من شهر أغسطس والنصف الأول من شهر سبتمبر تقريبًا. [المراجع]

(٣) ومن المحتمل أن هذه الابنة كانت تسمى دانائى "Danaë". قارن: أثينايوس، مأدبة الفلاسفة، الجزء الثالث عشر، فقرة رقم ٥٩٣ جـ. [المراجع]

(٤) كانت هذه الأرصدة عبارة عن هبات قدمها أصدقاء إبيقوروس له وكانت تحت تصرفه ورهن مشيئته، وذلك كما يستدل من خطابه المرسل إلى إيدومينيوس "Idomeneus". [المراجع]

ويقبله، حيث إنه شب عن الطوق معى فى دراسة الفلسفة ثم تركته خلفًا لى فى رئاسة المدرسة. وعندما تصل الفتاة إلى السن المناسبة، فإنـــه يتعــين على كل من أمينوماخوس وطيموقراطيس أن يقوما بدفع بائنتهـــا "*proix*" مناصفة بعد أن يأخذا من الممتلكات "*ta hyparchonta*" بقدر ما تسمح بـــه الظروف، بعد حصولهما على موافقة هيرمارخوس. كذلك فإن عليهمـــا أن يقوما برعاية نيكانور "Nikanôr"[(١)] وإعالته مثلما فعلت أنا، وذلـــك كـــى لا يغدو أى شخص من تلاميذ المدرسة – ممن أدوا لى خدمات (جليلـــة) فـــى حياتى الخاصة، وممن أبدوا تجاهى عطفًا وكرمًا بشتى الطرق، وممن آثروا أن تمر عليهم السنون حتى يهرموا وهم معى فى المدرسة – أقول كـــى لا يغدو أى من هؤلاء بحاجة إلى ما يسد رمقه ويقيم أوده مـــن ضـــروريات الحياة على قدر ما تسمح به مواردى.

(فقرة ٢١)

وإنى أوصى بإعطاء جميع كتبى الباقية إلى هيرمـــارخوس. أمـــا إذا حـــدث (لا قـــدر الله) أى شـــىء لهيرمـــارخوس قبـــل أن يـــشب أطفـــال ميترودوروس عن الطوق، فعلى كل من أمينوماخوس وطيمـــوقراطيس أن يقوما بإعطائهما من الأرصدة التى هى قوام تركتى بقدر المستطاع ما يكفى احتياجاتهما العديدة، طالما التزما بحسن السير والسلوك.. وعليهما أيـــضًا أن يدفعا لسائر الباقين طبقًا للترتيبات التى أعددتها، وأن يقوما بتنفيذ كـــل الأمور بقدر ما فى وسعيهما. وإنى أعلن أننى أعتق من عبيدى كـــل مـــن: ميس "*Mys*" ونيقياس "*Nikias*" وليقون "*Lykôn*" ليكونوا أحـــرارًا، كـــذلك أهب أمَتى فايدريون "*Phaidrion*" حريتها".

---

(١) من المرجح أن نيكانور كان هو متلقى هذه المنحة السخية التى آلت إليـــه مـــن الفيلـــسوف. [المراجع]

(فقرة ٢٢)

وعندما اقتربت منيته كتب الرسالة التالية إلى إيدومينيوس "Idomeneus":

"فى هذا اليوم المبارك الذى هو اليوم الأخير من أيام حياتى، أسطر لك هذه الرسالة لأخبرك أن الآلام المبرحة الناتجة عن المثانة وصعوبة إفراز البول "*strangouria*"، وكذا عن اختلال وظائف الأمعاء "*dysentrika*"، قد ازدادت بصورة رهيبة حيث لم أعد أحتمل المزيد منها. ولكننى أضع فى مقابل هذه الآلام كلها بهجة الروح "*kata psychên chairon*" التى بقيت لى من ذكرى حديثى معك. ولذا فإننى ألتمس منك بحق ارتباطك بى وتعلقك بالفلسفة منذ سنوات شبابك أن ترعى أبناء ميترودوروس".

تلك كانت بنود وصيته.

ومن بين تلاميذه وهم كثيرون فإن أكثرهم شهرة وذيوع صيت "*ellogimoi*" كان **ميترودوروس**[١] بن **أثينايوس** (أو ابن طيموقراطيس) من ساندى "*Sandê*"، وهو مواطن من مدينة لامبساكوس لم يترك **إبيقوروس** قط منذ أن عرفه، باستثناء مرة واحدة دامت ستة أشهر أمضاها فى زيارة أفراد أسرته فى مسقط رأسهم، ثم عاد بعدها مرة أخرى إلى **إبيقوروس**.

(فقرة ٢٣)

وكان **ميترودوروس** هذا شخصًا خيرًا على طول الخط، على نحو ما يؤكده لنا **إبيقوروس** نفسه فى المقدمات "*proêgoumenai*"[٢] التى دونها

---

(١) كان **ميترودوروس** (٣٣٠ – ٢٧٧ ق. م.) التلميذ الأثير إلى قلب أستاذه **إبيقوروس**، ولذا فإن نشيد المديح الذى حفظه لنا **سينيكا** (الرسائل: ٥٢، ٣) ينطوى على تحيز واضح له. [المراجع]

(٢) يبدو أن **إبيقوروس** كان معتادًا على تدوين مقدمات أو إهداءات فى بداية مؤلفاته لكى يميزها عن سائر أعماله ذات الحجم الأكبر. وهكذا نجد أن الجزء الثامن والعشرين من عمله المسمى "عن الفيزيقا" مهدى إلى هيرمارخوس. [المراجع]

لأعماله، وكذا فى الجزء الثالث من كتابه المسمى "طيموقراطيس". أما فيلسوفنا **إبيقوروس** فقد كان على النحو التالى (فى تصرفاته): فلقد زوج أخته **لإيدومينيوس**، أما هو نفسه فقد اتخذ **ليونتيون** "Leontion"، الغانية الأثينية، محظية "*pallakê*" له. ولا شك أن **ميترودوزوس** قد أظهر رباطة جأش (نادرة المثال) فى مواجهة الصعاب وعند لقاء الموت، كما يذكر ذلك **إبيقوروس** فى الجزء الأول من كتابه "عن ميترودوروس". فهم يروون لنا أن **ميترودوروس** قد توفى قبل **إبيقوروس** بسبع سنوات، وهو فى الثالثة والخمسين من عمره. كما أن **إبيقوروس** نفسه فى وصيته التى أوردناها أعلاه يذكر لنا أنه قد رحل عن الحياة قبله، حيث إنه يطلب من القائمين على تنفيذ الوصية رعاية أطفال **ميترودوروس**. ولقد كان **طيموقراطيس** الذى سبق ذكره[١] شقيق **ميترودوروس** ولكنه كان طائشًا أرعن "*eikaios*".

(فقرة ٢٤)

وفيما يلى الكتب التى ألفها **ميترودوروس**:

- ضد الأطباء، فى ثلاثة أجزاء.
- عن المشاعر.
- ضد طيموقراطيس.
- عن علو الهمة.
- عن اعتلال صحة إبيقوروس.

---

(١) يرى بعض أن ذكر **طيموقراطيس** هنا للمرة الثانية (انظر فقرة رقم ٦ أعلاه) ربما كان ملاحظة هامشية لم يحسن الكاتب وضعها فى المكان المناسب، كى يفرق بها بين **طيموقراطيس** شقيق **ميترودوروس** وبين سميه، الذى كان ممن سلقوا **إبيقوروس** بألسنة حداد. (فقرة رقم ١٨ أعلاه). [المراجع]

- ضد الفلاسفة الجدليين.
- ضد السوفسطائيين، فى تسعة أجزاء.
- عن السبيل إلى الحكمة.
- عن التغير.
- عن الثروة.
- ضد ديموقريطوس.
- عن عراقة المحتد.

ومن بعد **ميترودوروس** يأتى **بوليآينوس** "Polyainos"[(١)] بن **أثينودوروس**، وهو مواطن من مدينة لامبساكوس "Lampsakênos" ، تزخر مشاعره بالرأفة والمحبة، على نحو ما يخبرنا به **فيلوديموس** وحواريوه. ثم يأتى من بعده **هيرمارخوس**، خليفة **(إبيقوروس)** وابن **آجيمورتوس** "Agemortos"، وهو مواطن من مدينة ميتيلينى كان ابن رجل فقير، كما كان دارسًا فى مبدأ الأمر للريطوريقا. وفيما يلى الكتب الممتازة التى قام بتأليفها **بوليآينوس**:

(فقرة ٢٥)

- مراسلات عن إمبيدوقليس، فى اثنين وعشرين جزءًا.
- عن علم الرياضيات.

---

(١) ويعتبر **بوليآينوس** إحدى دعائم المدرسة الأربع، وكان عالم هندسة ثم أصبح تلميذًا **لإبيقوروس** (على نحو ما يذكر لنا **شيشرون** فى كتابه المسمى "عن الغايات *De Finibus*"، الفصل ١٨، فقرة رقم ٩). ولقد أخبرنا **سينيكا** بأن **إبيقوروس** قد أرسل إلى **بوليآينوس** إحدى رسائله (**سينيكا**، الرسائل، فصل ١٨، فقرة رقم ٩). [المراجع]

- ضد أفلاطون.
- ضد أرسطو.

ولقد توفى **بوليآينوس** بسبب الشلل "*paralysis*"، بعد أن برهن على أنه شخص كفء وافر المقدرة "*hikanos*".

ثم من بعده نجد **ليونتيوس** "Leonteus" من لامبساكوس وزوجته المدعوة ثيميستا "Themista" التى كان **إبيقوروس** قد كتب لها عدة رسائل. وهناك أيضًا **كولوتيس** "Kolôtês"(١) و**إيدومينيوس** "Idomeneus"، وكلاهما مواطنان من لامبساكوس. وهؤلاء جميعًا كانوا من ذوى الصيت الذائع "*ellogimoi*"، وكان من بينهم **بوليستراتوس** "Polystratos" خليفة **هيرمارخوس**، الذى خلفه **ديونيسيوس**، الذى خلفه بدوره **باسيليديس** "Basileidês". أما **أبولّودوروس** الذى لقب بأنه طاغية الحديقة "*Kêpotyrannos*"، فقد كان أيضًا من ذوى الشهرة اللامعة، حيث إنه ألف ما يربو على الأربعمئة كتاب. وهناك أيضًا تلميذان من الإسكندرية كل منهما يسمى **بطلميوس** "Ptolemaios"، كان أحدهما أسود "*melas*" البشرة والثانى أبيض اللون "*leukos*". كذلك كان هناك **زينون** من صيدا "Zênôn Sidônios"، تلميذ **أبولّودوروس**، وكان شخصًا غزير الإنتاج "*polygraphos*".

---

(١) كان **كولوتيس** معجبًا أشد الإعجاب بأستاذه **إبيقوروس**، حتى إنه ألف كتابًا ليبرهن به على استحالة الحياة فى ظل أى تعاليم لمدرسة أخرى من مدارس الفلسفة. ولقد كتب **بلوتارخوس** مبحثًا ينبرى فيه للهجوم عليه (ضد كولوتيس، فقرات: ١١٠٧ هـ - ١١٢٧). كذلك دون **بلوتارخوس** مقالاً بعنوان: "وليست الحياة هانئة حتى وفق تعاليم إبيقوروس *"Oude zên estin hêdeôs kat' Epikouron"*، لكى يبرهن به على أن الحياة الممتعة مستحيلة حتى لو سرنا فيها على تعاليم **إبيقوروس**. [المراجع]

(فقرة ٢٦)

كما كان هناك أيضًا **ديميتريوس** الذى كان يسمى باللاكونى "*Lakôn*"[١]. كذلك كان من تلاميذه **ديوجينيس** من طرسوس "Diogenês Tarseus" الذى قام بجمع طائفة مختارة من التعليقات والمحاضرات، ومنهم أيضًا **أوريون**"Ôriô" وتلاميذ آخرون كان يُطلِق عليهم الفلاسفة الإبيقوريون الحقيقيون اسم السوفسطائيين.

وهناك ثلاثة أشخاص آخرين يحمل كل منهم اسم **إبيقوروس**: أولهم هو ابن **ليونتيوس** من ثيميستا، وثانيهم من ماجنيسيا "Magnês"؛ وثالثهم كان يعمل ضابط تدريب حربى "*hoplomachos*". وكان **إبيقوروس** كاتبًا من أغزر الكتاب إنتاجًا "*polygraphôtatos*"، تفوق على جميع من عاشوا قبله بكثرة "*plêthei*" مؤلفاته وغزارتها، ذلك أنها كانت تربو على ثلاثمئة لفافة "*kylindroi*" لا تحتوى على استشهاد "*martyrion*" واحد من أى مؤلف آخر، بل كان صوت **إبيقوروس** نفسه هو الذى يتحدث فيها باستمرار. ولقد سعى **خريسيبوس** جاهدًا من أجل أن ينافسه ويتفوق عليه فى غزارة التأليف "*polygraphia*"، وفقًا لما يقوله **كارنياديس** الذى كان يسميه (أى **خريسيبوس**) **المتطفل** "*parasitos*" **على كتب إبيقوروس**"، حيث يذكر أنه كلما كتب إبيقوروس أى موضوع، انبرى **خريسيبوس** لمزاحمته ومشاحنته "*philoneikei*" بكتابة موضوع مماثل له.

(فقرة ٢٧)

ومن هنا انزلق **خريسيبوس** فى كثير من الأحيان إلى تكرار كتابة كلمات **إبيقوروس** ذاتها وترديد ما يعن له منها، حتى إنه لفرط تسرعه كان

---

(١) قارن: **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء الثامن، فقرة رقم ٣٤٨ وما بعدها؛ **استرابون**، الجغرافيات، الجزء الرابع عشر، فقرة رقم ٦٥٨. [المراجع]

يترك الكثير منها بغير مراجعة ولا تصويب "*adiorthôta*"؛ فضلاً عن أنه كان يحشو "*gemein*" كتبه باستشهادات بالغة الكثرة، لدرجة أنها كانت هي وحدها التي تشكل قوام هذه الكتب، وذلك وفق ما هو موجود في مؤلفات كل من **زينون** و**أرسطو**. وفي الحق إن كتابات **إبيقوروس** كانت بالغة الكثرة في كمها وعالية الجودة في نوعها؛ وفيما يلي قائمة بأفضل هذه المؤلفات:

- عن الفيزيقا، في سبعة وثلاثين جزءًا.
- عن الذرات والخلاء.
- عن العشق.
- خلاصة (الاعتراضات) ضد الفيزيقيين.
- ضد الميجاريين.
- المشكلات (أو المعضلات) "*Diaporiai*".
- النظريات الرئيسية "*Kyriai doxai*".
- عن (قواعد) الاختيار والاجتناب.
- عن الغاية.
- عن المعيار "*criterion*" أو المبدأ.
- خايريديموس.
- عن الأرباب.
- عن الورع والتقوى "*Peri hosiotês*".

(فقرة ٢٨)

- هيجيسياناكس.
- عن حيوات (البشر)، في أربعة أجزاء.

- عن توخى العدالة "*Peri dikaiopragia*".
- نيوكليس: المهدى إلى ثيميستا.
- منتدى الشراب "*Symposion*".
- يوريوخوس: المهدى إلى ميترودوروس.
- عن الرؤية.
- عن الزاوية فى الذَّرة.
- عن اللمس.
- عن النصيب المقدر "*Peri heimarmenê*".
- نظريات عن المشاعر: المهدى إلى طيموقراطيس.
- التنبؤ بالمستقبل "*Prognôstikon*".
- الحث على دراسة الفلسفة "*Protreptikos*".
- عن الصور "*Peri eidola*".
- عن التمثلات "*Peri phantasiai*".
- أريسطوبولوس.
- عن الموسيقى.
- عن العدالة "*Dikaiosynê*" وغيرها من الفضائل.
- عن الهبات "*dôra*" والإنعام "*charis*".
- بوليميديس.
- طيموقراطيس، فى ثلاثة أجزاء.
- ميترودوروس، فى أربعة أجزاء.

- أنتيدوروس، فى جزءين.
- نظريات عن الأمراض أو العلل: المهدى إلى ميثراس[١].
- كالّيستولاس "*Kallistolas*".
- عن النظام الملكى "*Basileia*".
- أناكسيمينيس "*Anaximenês*".
- الرسائل "*Epistolai*".

ولسوف أحاول أن أقوم بعرض الآراء التى تم التعبير عنها فى هذه (الكتب)، من خلال ثلاث رسائل من رسائله، انبرى فيها لتقديم ملخص لفلسفته بأسرها.

(فقرة ٢٩)

كما أننى سوف أعرض كذلك نظرياته الرئيسية وأى مقولات أخرى له تستحق الاستشهاد بها، وذلك حتى يتسنى للمرء أن يحيط إحاطة شاملة بالفيلسوف وأن يعرف كيفية الحكم عليه. أما الرسالة الأولى فهى موجهة إلى **هيرودوتوس** وتدور حول الفيزيقا (علم الطبيعة)، وأما الرسالة الثانية فهى موجهة إلى **بيثوقليس** "Pythoklês" وتدور حول علم الفلك أو علم الأرصاد الجوية "*metarsia*"؛ وأما الرسالة الثالثة فهى موجهة إلى **مينويكيوس** "Menoikeus"، والموضوع الذى تعالجه هو الحياة البشرية. ويتعين علينا أن

(١) والعنوان الكامل لهذا الكتاب هو: "نظريات عن الأمراض أو العلل والموت". وذلك كما حفظته لنا بردية من برديات هيركولانيوم رقم ١٠١٢، عمود رقم ٣٨؛ ومن ثم فقد أتاحت لنا البردية فرصة تصويب مخطوطة *ديوجينيس لائيرتيوس*. [المراجع]

نبدأ بالرسالة الأولى بعد إبداء قليل من الملاحظات [١] التمهيدية عن تقسيم إبيقوروس للفلسفة. وهى تنقسم عنده إلى ثلاثة أقسام، هى: القسم التقعيدى "*kanonikon*"، والقسم الفيزيقى "*physikon*"، والقسم الأخلاقى "*êthikon*".

(فقرة ٣٠)

فأما القسم التقعيدى "*kanonikon*" فهو يشكل المدخل إلى معالجة المذهب "*pragmateia*"، وينضوى تحت لواء كتاب واحد يحمل عنوان **قواعد المعرفة** "*Kanôn*". وأما القسم الفيزيقى فهو يشتمل على النظرية الخاصة بالطبيعة بأسرها، حيث يتم عرضها فى سبعة وثلاثين جزءًا بعنوان "**عن الفيزيقا**"، كما يتم عرضها باختصار "*kata stoicheion*" فى الرسائل؛ وأما القسم الأخلاقى فيتناول قواعد الاختيار "*hairesis*" والاجتناب "*phygê*"، حيث يوجد فى الكتب المتعلقة "**بالحياة البشرية**" وفى الرسائل وفى كتابه المسمى "**عن الغاية** *Peri Telous*". ولقد اعتاد الفلاسفة الإبيقوريون على أى حال ترتيب القسم التقعيدى بحيث ينضم إلى القسم الفيزيقى، وأسموا القسم الأول منهما العلم الذى يدرس المعيار "*criterion*" والمبدأ "*archê*" أو الجزء الأولى "*stoicheiôtikon*" فى الفلسفة. فى حين قالوا إن القسم الفيزيقى يتناول الوجود "*genesis*" والزوال "*phthora*" كما يتناول الطبيعة "*physis*" الساكنة؛ أما القسم الأخلاقى "*to êthikon*" فيتناول الأمور التى ينبغى على المرء أن يسعى إليها باختياره أو يتجنبها ويعزف عنها، كما يتناول الحياة البشرية والغاية فى حد ذاتها.

---

(١) وتشغل هذه الملاحظات الفقرات من ٢٩ – ٣٤، التى تعد فى الواقع الجزء الأول من ملخص نظريات إبيقوروس الفلسفية، التى تشكل قوام الجزء العاشر من الموسوعة الذى نحن بصدده. [المراجع]

(فقرة ٣١)

ثم إنهم يرفضون الدياليكتيكا "*dialektikê*" (الجدل الفلسفى) ويعدونـــه نافلة لا ضرورة لها، وذلك لأنهم يذهبون إلى أنه ينبغى على الفيـــزيقيين أن يكتفوا باستخدام الألفاظ "*phthongoi*" (أى الأســـماء) المألوفـــة للأشـــياء(١). ويعلن إبيقـــوروس فـــى كتابـــه **قواعـــد المعرفـــة** "*Kanôn*" أن الحـــواس "*aisthêseis*" والتصورات الـــسابقة "*prolêpseis*" والمـــشاعر "*pathê*" هـــى معايير الحقيقة "*Alêtheia*"، وبصفة عامة فإن الإبيقـــوريين يجعلـــون إدراك **التمثلات الذهنية**(٢)معايير للحقيقة أيضًا؛ ويقول **إبيقوروس** فى الملخص الذى وجهه إلى **هيرودوتوس** وفى كتابه "**النظريات الرئيـــسية**": "**إن كـــل حاســـة مجردة من المنطق وعاجزة عن التذكر، لأنها ليست علة ذاتها وليست سببًا خارجيًا، لا يمكنها أن تضيف شيئًا ولا أن ينتج عنها شيء؛ كـــذلك فلـــيس هناك شيء يمكن أن يدحض الحواس (أو يدمغها بالخطأ).**

(فقرة ٣٢)

فلا يمكن لحاسة أن تدحض حاسة أخرى مماثلة لها "*homogeneia*"، نظرًا لأن الحواس كلها صادقة على حد سواء؛ كذلك لا يمكـــن لحاســـة أن تدحض حاسة أخرى مخالفة لها "*anomogeneia*"، نظرًا لأن الموضـــوعات التى تحكم عليها الحواس ليست واحدة(٣). كذلك فـــإن العقـــل لا يمكنـــه أن

---

(١) وهو رأى تم تأكيده فى الفقرات ٣٧، ٧٣، ٨٢، ١٥٢ أدناه. قارن: **لوكريتيـــوس**، عن طبائع الموجودات "*De Rerum Natura*"، الجزء الثالث، بيت رقم ٩٣١ وما يليه. [المراجع]

(٢) هذه التمثلات الذهنية "*phantasiai*" تحدث عن طريق ذرات متناهية فى الدقة والصغر تـــؤثر فى الحواس. قارن: فقرة ٦٤ أدناه. وقارن أيضًا: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثاني، بيت ٧٤٠ وما بعده؛ والجزء الرابع، بيت ٧٢٢ وما بعده؛ وقارن أيضًا: **سيكـــستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء السابع، فقرات ٢٠٣ - ٢١٦. [المراجع]

(٣) انظر فقرة رقم ١٤٦ أدناه. [المراجع]

يدحض الحواس، نظرًا لأن العقل يعتمد اعتمادًا تامًا على هـذه الحـواس؛ كذلك لا يمكن لحاسة أن تدحض حاسة أخرى، نظرًا لأننـا نـولى اهتمامًـا متساويًا لجميع الحواس. كذلك فـإن الإدراكـات الحـسية "*epaisthêmata*" تضمن لنا[1] حقيقة حواسنا. ولكن الرؤيـة "*horan*" والـسمع "*akouein*" إحساسان حقيقيان مثل الشعور بالألم "*algein*"، ومن هنا يجب علينا فيمـا يتعلق بالوقائع الظاهرة أن نبدأ الاستدلال على الوقائع المجهولة "*adêla*"[2]. وذلك لأن جميع أفكارنا "*epinoiai*" مستمدة من الحواس، سواء بالاتـصال الفعلى "*periptôsis*" أو بالقيـاس "*analogia*" أو بالمماثلـة "*homoiotês*" أو بالتركيب "*synthesis*"، مع قدر من العون مستمد من الاستدلال "*logismos*". كذلك فإن التهيؤات "*phantasmata*" التى تتبدى للمجانين "*mainomenoi*"[3] وكذا للناس فى الأحلام هى أمور حقيقيـة "*alêthê*"، نظـرًا لأنهـا تحـدث تأثيرات "*kinei*" فى الذهن، ولو كانت غيـر حقيقيـة لمـا أحـدثت هـذه التأثيرات".

(فقرة ٣٣)

وهم يقصدون بالتصور السابق "*prolêpsis*" ضربًا من الفهـم "*katalêpsis*" أو الرأى الصواب "*orthê doxa*" أو الانطباع "*ennoia*" أو الفكـرة الكليـة المختزنة فى الذهن، أعنى استرجاع موضوع خـارجى "*katholikê noêsis*"

---

(١) ومعنى هذا أن التعويل على الثقة فى الحواس يعتبر على أنه ملكات للإدراك الحسى. قارن: سيكستوس إمبيريكوس، ضد علماء الرياضيات، الجزء الثامن، فقرة رقم ٩. [المراجع]

(٢) كلمة "*adêla*" تعنى الأمـور التى لا يمكن إدراكها بالحواس. قارن: فقرة رقـم ٣٨ أدنـاه، حيث ترد عبارة "*to prosmenon kai to adêlon*" بمعنى: "ما ينتظر التأكيد وما هو غـامض"؛ وكذا فقرة رقم ٤٠ أدناه عن الطريقة التى يمكن من خلالها إدراك التصور. [المراجع]

(٣) قارن: سيكستوس إمبيريكوس، ضد علماء الرياضيات، الجزء الثـامن، فقـرة رقـم ٦٣. [المراجع]

"*exôthen*" كثيرًا ما كان حاضرًا. مثال ذلك أن هذا الشيء أو ذاك إنسان، ذلك أنه بمجرد التلفظ بكلمة إنسان؛ فإننا نشرع فى التفكير فى هيئته "*typos*" بفعل من أفعال التصور السابق الذى تكون للحواس فيه موقع الصدارة(١). وعلى هذا النحو فإن الموضوع الذى يشير إليه كل لفظ واضح وبسيط فى المقام الأول، ولكن ليس لنا أن نشرع فى أى بحث ما لم نعرف أولاً ما الذى نبحث عنه. فعلى سبيل المثال علينا أن نتبين ما إذا كان الشيء الماثل أمامنا فرسًا أو ثورًا، لأنه يجب علينا قبل إصدار هذا الحكم أن نعرف عن طريق تصور سابق ما هو شكل الفرس وشكل الثور. ومن ثم فليس لنا أن نطلق اسمًا ما على أى شيء ما لم نكن قد علمنا أولاً هيئته عن طريق تصور سابق، ويترتب على ذلك أن التصورات السابقة تكون واضحة "*enargeis*". ثم إن موضوع الحكم "*to doxaston*" قائم على شيء مسبق واضح، كما أننا بالإشارة إليه نصوغ (القضية القائلة) – على سبيل المثال – : **"كيف يتسنى لنا أن نعرف أن هذا الشيء إنسان؟"**.

(فقرة ٣٤)

كذلك فإنهم يطلقون على الرأى اسم التصور "*hypolêpsis*" أو الزعم، ويذهبون إلى القول بأنه صادق "*alêthê*" وكاذب "*pseudê*"(٢)، نظرًا لأنه يكون صادقًا لو أكدته الشواهد أو ما يتناقض مع هذه الشواهد، ويكون كاذبًا لو لم تؤكده الشواهد أو ما يتناقض مع هذه الشواهد. ومن هنا جاء إدخال

---

(١) أى طبقًا للمعلومات الحسية التى تكون سابقة على حالة التعرف على شيء ما. [المراجع]

(٢) انظر فقرة رقم ١٢٤ أدناه، حيث يعلن **إبيقوروس** أن التصور السابق الصادق يناقض التصور السابق الكاذب. أما التصور "*hypolêpsis*" عند **أرسطو** فهو مرادف للرأى "*doxa*". [المراجع]

عبارة "ما ينتظر التأكيد *to prosmenon*"؛ مثال ذلك: الانتظار والاقتراب من البرج "*pyrgos*"، ثم معرفة ما إذا كان يشبه ما يبدو من قرب[١].

ثم إنهم يؤكدون أن هناك حالتين للشعور "*pathê* "، هما: اللذة "*hêdonê*" والألم "*algêdôn*" وأنهما موجودتان في كل موجود حي "*zoon*"، وأن الأولى منهما محببة "*oikeion*" وأن الثانية منفرة "*allotrion*"، وأنه بواسطتيهما يتحدد "*krinesthai*" الاختيار أو الاجتناب[٢]. كما أنهم يذهبون أيضًا إلى أن هناك نوعين من البحث "*zêtêseis*"، أحدهما يتعلق بالأشياء والآخر لا يختص بشيء سوى الكلمات[٣]. ويكفي هذا بالنسبة إلى التقسيم "*diairesis*"[٤] والمعيار "*kritêrion*" بشكل مبدئي "*stoicheiôdôs*"؛ وينبغي علينا الآن أن نرجع إلى الرسالة[٥]:

"من إبيقوروس إلى هيرودوتوس... تحية وسلامًا".

(فقرة ٣٥)

"فيما يتعلق بأولئك الذين ليس بوسعهم، يا هيرودوتوس، أن يدرسوا دراسة دقيقة كل ما قمت بكتابته عن الفيزيقا، أو أن يمضوا قدمًا في بحوثي

---

(١) قارن الفقرتين ٥٠، ١٤٧ أدناه. ونلاحظ أن مثال البرج الذي يبدو مستديرًا من بعد ومربعًا عند الاقتراب منه كان مثالاً نموذجيًا لدى المدرسة الإبيقورية لعملية اختبار المعتقدات عن طريق الملاحظة التي ضرب عليها المثل هنا. قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، بيت رقم ٣٥٣ وما بعده، وبيت رقم ٥٠١ وما بعده؛ **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء السابع، فقرة رقم ٢٠٨. [المراجع]

(٢) أي أن اللذة والألم هما معيار الاختيار أو الاجتناب. (المترجم)

(٣) قارن فقرة رقم ٣٧ أدناه. [المراجع]

(٤) ربما كان المقصود بهذا هو تقسيم الفلسفة. (المترجم)

(٥) يعد الخطاب المدون إلى **هيرودوتوس** – وهو الخطاب الثاني – أكثر خطابات **إبيقوروس** قيمة وأشدها إيضاحًا لفحوى النظرية الإبيقورية. ومن المرجح أن ناسخ المخطوطة قد دونها كما هي بتعليقاتها وشروحها وحواشيها وحتى بالفقرات الاعتراضية التي تقطع السياق، مدفوعًا إلى ذلك بالأمانة المفرطة. [المراجع]

الأكبر حجمًا وكتبى المطولة، فقد أعددت هذا الموجز[١] لمعالجتى التى قمت بها للمذهب بأسره. وذلك حتى يتسنى لهم أن يحفظوا فى ذاكرتهم ما يكفى من أفكارى الرئيسية[٢] ذات الأهمية، وحتى يغدو من الممكن لهم الاستعانة بها فى كل مناسبة عند تعرضهم لأكثر النقاط أهمية أثناء دراستهم للنظرية الفيزيقية. أما أولئك الذين قطعوا شوطًا لا بأس به وتقدموا فى دراسة المذهب كله بما فيه الكفاية، فينبغى عليهم أن يضعوا فى أذهانهم إجمالاً الخطوط الأولية العريضة الخاصة بدراسة الموضوع بأسره، نظرًا لأن النظرة الشاملة كثيرًا ما تكون مطلوبة من جانبنا، فى حين أن التفصيلات الجزئية نادرًا ما تكون كذلك".

(فقرة ٣٦)

"وبناء على ذلك فلا بد لنا من العودة باستمرار إلى تلك الخطوط العريضة الرئيسية، ولا بد لنا من حفظها فى ذاكرتنا لفترة طويلة لكى نحصل على تصور شديد الرسوخ للوقائع، وكذا لكى نكتشف بإتقان جميع التفصيلات الجزئية، عندما يتم فهمها فهمًا جيدًا وعندما يتم تذكر خطوطها العريضة الرئيسية. حيث إن ميزة الدارس الناضج الرئيسية هى قدرته على استخدام تصوراته بطريقة لماحة، عن طريق رد كل تصور منها إلى وقائع أولية وإلى حدود بسيطة. إذ إن من المستحيل تجميع نتائج الدراسة المستمرة المستفيضة للأشياء كلها، ما لم يكن فى مقدورنا أن نضعها فى صياغات

(١) يعد هذا الملخص هو الملخص الأمين الموثوق بصحته لنظرية إبيقوروس الفيزيقية، كما يعد أساسًا لما كتبه علماء تاريخ الفلسفة فى العصور الحديثة، ومنهم زيلر "*Zeller*" على سبيل المثال. [المراجع]

(٢) هذه الرسالة تحتوى فحسب على النظريات الأساسية أو الرئيسية، حيث إن التفاصيل سواء كانت عامة أو خاصة قد ذكرت فى الأعمال الكاملة للفيلسوف. [المراجع]

موجزة، وما لم يكن فى مقدورنا أن نضع فى أذهاننا كل ما يمكن التعبير عنه بدقة حتى التفصيلات الجزئية الدقيقة".

(فقرة ٣٧)

"ومن هنا فحيث إن هذا المسار مفيد لجميع المشتغلين بالبحث فى علم الفيزيقا، فإننى انبريت – أنا الذى كرست جل طاقتى على الدوام لدراسة **الفيسيولوجيا** "*physiologia*"، وأمضيت حياتى بهدوء على وجه الخصوص فى مثل هذه المهمة – لإعداد هذا **الملخص** "*epitome*" وهذا **العرض المبسط** "*stoicheiôsis*" لكل نظرياتى من أجلك. ففى المقام الأول حرى بنا، يا **هيرودوتوس**، أن نفهم المعنى الذى تدل عليه هذه **الألفاظ** "*phthongoi*"، وذلك حتى يصير بوسعنا– إذا ما أشرنا إليها– أن نصور حكمنا على الآراء أو المباحث أو المشكلات، وحتى لا تمضى كل براهيننا بغير فحص إلى ما **لا نهاية** "*eis apeiron*" وحتى لا تكون الألفاظ التى نستخدمها خالية من المعنى".

(فقرة ٣٨)

"وذلك لأن من الضرورى أن تتم رؤية **المغزى** "*ennoêma*" الأول لكل **لفظ** "*phthongos*" حيث لا يحتاج إلى أى **برهان** "*apodeixis*"(١)، وسوف يكون ذلك ضروريًا إذا كنا نريد أن نحظى بشىء يمكن الإشارة إليه فى القضية التى تبحث أو فى المشكلة أو فى الرأى الماثل أمامنا. وعلاوة على ذلك،

---

(١) يشرح لنا **إبيقوروس** هذه النقطة بإسهاب فى الشذرة رقم ٢٥٨ (انظر: ص١٨٩ من كتاب الأستاذ **أوسنير** "Usener" عن **إبيقوروس**). ويرى بعض أن لفظى "البرهان" و"البرهنة" يحلان محل لفظى "التصريح" و"الإعلان". [المراجع]

فلا بد لنا من التمسك بحواسنا بكل الطرق، ومعنى هذا الالتزام **بالانطباعات** "*epibolai*" الراهنة سواء كانت انطباعات للذهن "*dianoia*" أو لمعايير أخرى أيا كانت، وعلينا التمسك بالمثل بمشاعرنا الفعلية حتى يتسنى لنا أن نحصل على وسيلة لتحديد ما **ينتظر التأكيد** "*to prosmenon*" وما هو **غامض** "*adêlon*".

"ولو أن هذا فهم بوضوح، فإنه يجب **النظر** "*synoran*" بصفة عامة في الأمور الغامضة، فنقول أولاً إنه لا شيء يوجد من لا شيء (أى من العدم أو مما هو غير موجود)[١]؛ وإلا لأمكن لكل شيء أن يوجد من أى شيء دون ما حاجة إلى **البذور** "*spermata*" المناسبة"[٢].

(فقرة ٣٩)

"ولو كان كل ما يختفى يصير إلى زوال ويصبح عدمًا لا وجود له، إذن لفنى كل شيء واندثرت الموجودات وتحولت إلى عدم أو لا وجود. وفضلاً عن ذلك، فإن **الكم الكلى** "*to pan*" للأشياء قد ظل دائمًا على ما هو عليه الآن، وسوف يظل دائمًا كذلك إلى الأبد، فلا شيء فيه يمكن أن **يتغير**

---

(١) ليس ذلك من ابتكار **أبيقور** وإنما هى الفكرة السائدة عند جميع الفلاسفة السابقين على **سقراط**، فالإيونيون زعموا أن "الواحد" أو الطبيعة ككل لا تقبل التغيير من زاوية الكون والفساد. قارن: كتاب "الميتافيزيقا" **لأرسطو**، المقال الأول، ٣/٩٨٤ أ ٣١. أما أصحاب الكثرة فمن الطبيعى أن يكونوا أكثر وضوحًا وصراحة. انظر الشذرات المدونة **لأنكساجوراس**، فقرة ١٧ د. و**أمبادوقليس**، فقرة رقم ٨ د. ولقد توسع **لوكريتيوس** فى وصف النظرية. من تعليقات الترجمة الإنجليزية، ص ص ٥٦٨ – ٥٦٩. (المترجم)

(٢) قارن الفقرتين رقمى ٤١، ٥٤ أدناه. وقارن أيضًا: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، فقرة رقم ١٢٥ وما بعدها، حيث إن قصيدة **لوكريتيوس** التى تحمل عنوان عن طبائع الموجودات "*De Rerum Natura*" تعد أفضل تعليق على فلسفة **إبيقوروس**. [المراجع]

"*metabalei*". وذلك لأنه لا يوجد شيء خارج نطاق الكم الكلـي يمكـن أن **يدخل إليه** "*eiselthon*" ويحدث فيه التغيير".

"وفضلاً عن ذلك [وهذا هو ما يقوله أيضًا فـي **المجمـل الموسـع** "*megalê epitome*" قرب بداية الجزء الأول من كتابه "عن الفيزيقـا"]، فـإن **الكون كله** "*to pan*" يتألف من **أجسام** "*sômata*" ومـن **فـراغ** "*kenon*"[(١)] ؛ وذلك لأن الأجسام موجودة في كل مكان ويشهد على وجودها كـل الحـس ذاته، كما أن العقل لا بد له من الاعتماد على الحس من أجل الاستدلال على المجهول الغامض من المعلوم".

(فقرة ٤٠)

"فما لم يكن هناك **فـراغ** "*kenon*" (وهو ما نسميه أيضًا مكان "*chôra*" أو خلاء أو **طبيعة** "*physis*" **لا محسوسة** "*anaphês*")[(٢)]، فلن يقدر للأجسـام أن تحظى بما توجد فيه ولا ما تتحرك من خلاله، على نحو ما يبـدو أنهـا تتحرك. ولا يوجد شيء فيما وراء هذه الأجسام وهذا الفراغ يمكن تـصور وجوده إلا بالفهم العقلي وإلا بالقياس؛ ونحن عندما نتحـدث عـن الأجـسام والفراغ فإن النظر يتم إلى الأمرين كليهما على أنهما **كليات فيزيقية** " *holai physeis*" لوقائع منفصلة. ومن جديد [وهو يكرر ذلك في الجزء الأول وكذا في الجزءين الرابع عشر والخامس عشر من مؤلفه "عن الفيزيقا"، وأيضًا في "المجمل الموسع"]، فإن من الأجسام **طائفة مركبة** "*synkriseis*" **وطائفة أخرى** تتألف منها هذه الأجسام المركبة".

(١) أكمل الأستاذ **أوسنير** "Usener" هذه الجملة بوضع عبارة "من أجسام ومن فراغ" بعد رجوعه إلى الفقرة رقم ٨٦ أدناه. قارن كتاب الأستاذ **ديلز** "Diels"، أصحاب النظريات من الإغريـق "*Doxographi Graeci*"، فصل رقم ٥٨١، فقرة رقم ٢٨. [المراجع]

(٢) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، بيت رقم ٤٢٦. [المراجع]

(فقرة ٤١)

"وهذه (العناصر) لا تنقسم "*atoma*" ولا تتغير "*ametablêta*" وستظل بالضرورة كذلك، مادامت الموجودات تتحول كلها إلى عدم أو تزول من الوجود، ولكنها لا بد أن تكون **قوية** "*ischyonta*" بما فيه الكفاية كي تتحمل "*hypomenein*" الوطأة عند تحطم الأجسام المركبة، وذلك لأنها تحظى بطبيعة صلبة متماسكة تمامًا حيث لا تتفكك أو **تتحلل** "*dialythêsetai*"[(١)].

وينتج عن ذلك أن **البدايات الأولى** "*hai archai*" لا بد أن تكون أجسامًا أو كيانات فيزيقية (أي مادية) لا تنقسم. ومن ناحية أخرى، فإن الكم الكلي للموجودات **لا نهائي** "*apeiron*"، وذلك لأن ما هو متناه له حد أو **نهاية** "*akros*"؛ كما أن حد أي شيء أو نهايته يمكن ملاحظته فقط بمقارنته مع شيء آخر (خارج هذا الحد). ومن ثم فإن الكم الكلي للموجودات لا يمكن تمييزه بالمقارنة مع شيء آخر[(٢)]؛ ومن ثم فمادام لا نهاية له فلا حد له، ومادام لا حد له فلا بد أن يكون غير محدود أو لا نهائي. وفضلا عن ذلك، فإن الكم الكلي للموجودات لا نهائي بسبب **كثرة** "*plêthos*" الأجسام (أي الذرات) وبسبب **حجم** "*megethos*" الخلاء في آن معًا".

(فقرة ٤٢)

"لأنه إذا كان الخلاء غير متناهٍ والأجسام متناهية، لما بقيت الأجسام في أي مكان بل لانتشرت وتشتتت في مسارها عبر الخلاء اللا متناهي، وذلك لأنها لن تجد دعائم ولا كوابح تكبح جماحها أو تعطل مسيرتها وتوقفها. ومن

---

(١) قارن فقرة رقم ٥٤ أدناه. [المراجع]

(٢) قارن: **شيشرون**، عن التكهن بالغيب "*De divinatione*"، الجزء الثاني، فقرة رقم ١٠٣: "*at quod omne est, id non cernitur ex alio extrinsecus*"، ومعناها: "ولكن حيث إن الحجم الكلي للموجودات على هذا النحو، فلا يمكن تمييزه بالمقارنة مع ما هو خارجه". قارن أيضًا: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، بيت رقم ٩٦٠. [المراجع]

ناحية أخرى، فلو أن الخلاء كان محدودًا أو متناهيًا لما عثرت الأجسام اللا نهائية على مكان توجد فيه".

"وفضلاً عن ذلك، فإن الذرات المشحونة بالأجسام (أى التى لا يوجد بها خلاء)، والتى تنشأ منها الأجسام المركبة وكذا تنحل إليها، متنوعة فى أشكالها على نحو لا حد له، وذلك لأنه لا يمكن أبدًا لتنوع الأشكال الذى لا حد له أن ينشأ من تكرار قدر محدود من الأشكال ذاتها. فالذرات المتشابهة فى كل شكل لا متناهية على نحو مطلق، بيد أن تنوع الأشكال – على الرغم من أنه بالغ الكثرة بمكان – ليس لا متناهٍ على نحو مطلق".

(فقرة ٤٣)

ثم يضيف قائلاً: "[وذلك لأن القابلية للقسمة لا يمكن أن تستمر إلى ما لا نهاية منذ الأزل – حسب قوله فيما بعد[١] – حيث إن **الكيفيات** "*poiotêtes*" تتغير ما لم يكن إحداها مهيئًا للحفاظ على توسيع حجمه ببساطة إلى ما لا نهاية]. والذرات فى حركة دائبة بغير انقطاع [– حسب قوله فيما بعد – بل إنها تتحرك بسرعات متساوية ما دام الخلاء يتيح الفرصة **للأخف وزنًا** "*kouphotatê*" منها **وللأثقل وزنًا** "*barytatê*" على حد سواء]. كذلك فإن بعض الذرات يرتد ويتباعد عن بعضه لمسافة شاسعة، بينما يظل بعضه الآخر متأرجحًا أو مهتزًا فحسب فى مكانه، عندما يقدر له أن يتلاحم أو ينحبس بفعل كتلة من الذرات الأخرى التى تتشكل تمهيدًا للتلاحم"[٢].

(١) التعبير اليونانى الوارد هنا وهو: "حسب قوله فيما بعد *phêsin endoterô*"، تعبير يدل على أن الشارح كان يقرأ نص إبيقوروس من لفافة بردية بعد أن قام بفردها. ومن ثم فإن هذا التعبير يعنى: "حسب ما ورد بالنص أدناه". [المراجع]

(٢) ينبغى أن نلاحظ هنا وجود فرق بين: (١) الجوامد المكونة من الذرات المتلاحمة التى تشابكت وتداخلت مع بعضها. (٢) السوائل من الذرات غير المتلاحمة التى تحتاج إلى غمد أو=

(فقرة ٤٤)

"والسبب فى هذا هو أن كل ذرة تنفصل عن باقى الـذرات الأخـرى بسبب طبيعة الخلاء، نظرًا لأنها تكون عاجزة عن إبداء أى مقاومة للارتداد؛ فى حين أن **تماسك** "*stereotês*" الذرة هو الذى يجعلها ترتد بعد الاصـطدام مهما كان قصر المسافة التى ترتد فيها عندما تجد نفسها حبيسة فى كتلة من الذرات المتلاحمة. ولا توجد بداية لهذه الحركات، وذلك لأن كلاً من الذرات والخلاء **أزلى** "*aidioi*". [وهو يقول فيما بعد إنه لا يوجد للذرات سوى كيف واحد فيما عدا **الشكل** "*schema*" **والحجم** "*megethos*" **والوزن** "*baros*"؛ أما اللون فهو يختلف حسب ترتيب الذرات – كما يقول فى مبحثه عن **العناصر الاثنى عشر** "*ta Dôdeka Stoicheia*" – وفضلاً عن ذلك فإنها ليست من أى حجم أو كل حجم، كما أنه ليست هناك ذرة يمكن رؤيتها عن طريق حاسة (البصر)".

(فقرة ٤٥)

"ومثل هذا التكرار بهذا القدر لكل ما نستدعيه الآن إلى أذهاننا من شأنه أن يزودنا بإطار تخطيطى كافٍ لتصوراتنا عن طبيعة الموجودات. وعلاوة على ذلك، فهناك **عوالم** "*kosmoi*" لا نهائية، منها ما هو شبيه "*homoioi*" بهذا العالم ومنها ما هو غير مشابه "*anomoioi*" له[1]. ولما كانت

= إلى وعاء مكون من ذرات أخرى، لو قدر لها أن تظل على تفككها؛ وتنتمى الروح إلى النوع الثانى من الذرات، قارن: فقرة رقم ٦٦ أدناه. وانظر: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثانى، أبيات ٨٠ – ١٤١. [المراجع]

(١) هذه الملحوظة ليست خاطئة لأن لا نهائية العوالم تنتج من لا نهائية:
أ – الذرات. ب– المكان. (المترجم)
وانظر أيضًا: فقرات ٧٣، ٨٩ أدناه. وقارن كذلك: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثانى، بيت ١٠٤٨ وما يليه. [المراجع]

الذرات لا متناهية في العدد، كما أثبتنا توًا، لذا فهي تُحمَل عبر أبعد المسافات، وذلك لأن الذرات التي يمكن أن ينشأ منها العالم أو التي يمكن أن يتشكل بواسطتها، لا يمكن استنفادها من قبل عالم واحد ولا من قبل عدد معين من العوالم، سواء كانت مشابهة لهذه العوالم أو غير مشابهة لها. ومن ثم فإنه لا يوجد شيء من شأنه أن يعوق لا تناهي العوالم".

(فقرة ٤٦)

"ومن ناحية أخرى، فإن هناك أغلفة أو **أغشية** "*typoi*" تكون شبيهة **بالأجسام الصلبة** "*steremnia*" "*homoioschêmones*" في شكلها. ولكنها **شديدة الرقة** "*leptotês*" بصورة تفوق بكثير رقة أي من الموجودات الظاهرة؛ وذلك لأنه ليس من المستحيل أن نجد في الهواء المحيط تركيبات من هذا القبيل، تحافظ من خلاله المواد المهيأة للتعبير عن تجويف السطوح على رقتها وعلى تدفقها، وتحافظ على وضعها النسبي وحركتها التي كانت لها داخل الأشياء الصلبة التي نشأت عنها؛ ونحن نسمي هذه الأغلفة أو الأغشية **صورًا** "*eidôla*". وعلاوة على ذلك فمادام لم تبدر عنها أي مقاومة، فإن (الحركة) عبر الخلاء بوسعها أن تحقق أي مسافة يمكن إدراكها مهما كانت في وقت قصير؛ وذلك لأن **المقاومة** "*antikopê*" التي تواجهها تصبح **مماثلة** "*homoiôma*" **للبطء** "*brados*"، ويصبح عدم وجودها مرادفا **للسرعة** "*tachos*".

(فقرة ٤٧)

"كذلك فلو أننا وضعنا في اعتبارنا الزمن الدقيق الذي يمكن إدراكه بالعقل وحده[١]، فإنه ليس بوسع الجسم المتحرك ذاته أن يصل إلى أكثر من

(١) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، أبيات ٧٩٤ – ٧٩٨، حيث يقول: "عند نقطة زمنية محددة يمكننا أن ندركها بالحواس أثناء التلفظ بكلمة واحدة، فإن هناك أزمنة كثيرة كامنة تكون موجودة لا يمكن للعقل أن يعثر على وجودها".=

مكان واحد فى **وقت متزامن** "*hama*"، لأن هذا أمر لا يمكن تصوره؛ على الرغم من أن بوسعه الوصول فى وقت متزامن فى الزمن الذى يمكن إدراكه بالحواس، مهما كان من أمر اختلاف النقطة التى ينطلق منها عما أدركناه بالفعل".

"نظرًا لأنه لو غير اتجاهه لكان معنى هذا أنه يلقى **مقاومة** "*antikopê*"، حتى لو سلمنا جدلاً بأنه لا يعوق سرعته عائق ما؛ وهذه حقيقة أولية تستحق فى ذاتها أن نضعها فى اعتبارنا. وثانيًا فإن الرقة المفرطة **للصور** "*eidola*" لا تتناقض مع أى من الوقائع الظاهرة. ومن هنا فإن **سرعتها** "*tachê*" تكون هائلة جدًا مادامت تجد لها ممرًا خاليًا مناسبًا لها. وإلى جانب ذلك فإن تدفقها المستمر لا يجابه أى مقاومة[١] أو يلاقى القليل من المقاومة، على الرغم من أن كثيرًا من الذرات أو لنقل عددًا لا محدودًا منها يلقى مقاومة ما بالفعل".

(فقرة ٤٨)

"وفضلاً عن ذلك فإن إنتاج الصور يسير بسرعة الفكر، وذلك لأن الجزئيات تتدفق باستمرار من سطح الأجسام، على الرغم من أن النقصان فى الأجسام ذاتها يكون غير ملحوظ، نظرًا لأن جزئيات أخرى حلت محله وملأت الفراغ[٢]. أما تلك التى انطلقت فهى تحافظ لفترة زمنية طويلة على

= ومن الواضح أن هذه "الأزمنة" الدقيقة قصيرة بشكل لا يمكن قياسه، كما يبدو أن وحدة الزمن الذى يمكن إدراكه هى الوحدة التى تسمى فى الفقرة ٦٢ أدناه باسم "الوقت الأدنى المستمر". قارن: **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء العاشر، فقرات ١٤٨ – ١٥٤. [المراجع]

(١) ويضع بعض الناشرين أداة التعريف "*to*" قبل العبارة "*tô apeirô*" فى حالة القابل، ليصبح المعنى كالتالي: "مادامت تجد لنفسها ممرًا مناسبًا كى تضمن عدم وجود شيء يعوق تدفقها اللا نهائي". [المراجع]

(٢) لو كانت الرؤية مستمرة وليست متقطعة على فترات، فلا بد أن تتدفق الصور باستمرار من الأشياء التى نبصرها بأعيننا، ومن ثم فلا بد من وجود تتابع مستمر للصور المتشابهة. قارن:=

نظام الذرات وعلى مكانها الذى كانت عليه عندما كانت تشكل جزءًا من الأجسام الصلبة، على الرغم مما يطرأ عليها أحيانًا من اختلاط واضطراب. وفى بعض الأحيان) تتكون هذه الأغشية[1] المركبة بسرعة كبيرة فى الهواء المحيط بها نظرًا لأنها لا تحتاج إلى أى وعاء صلب فى **العمق** "*kata bathos*"، وهناك طرق أخرى كذلك يمكن أن توجد هذه الظواهر الطبيعية. وذلك لأنه لا يوجد شىء فى هذا يتناقض مع الحواس، فيما لو ركز المرء بطريقة ما على شهادة الحس **الواضحة** "*enargeiai*" التى يمكن أن نعزو إليها استمرار الجزئيات الواقعة خارج نطاق أنفسنا".

(فقرة ٤٩)

"وحرى بنا أن نضع فى اعتبارنا أنه بدخول شىء ما من الموضوعات الخارجية إلينا، فإنه يتسنى لنا رؤية أشكالها وإدراكها[2]، وذلك لأن الأشياء الخارجية لن يقدر لها أن تطبع علينا طبيعتها الخاصة المتعلقة باللون والشكل من خلال الهواء الذى هو وسيط بيننا وبينها[3]، أو من خلال أشعة (الضوء) أو من خلال تيارات من أى نوع كانت تنطلق من جانبنا تجاه هذه الموضوعات (الخارجية)، وكذلك عن طريق نفاذ أغشية بعينها مقبلة من هذه

= فقرة رقم ٢٨٢ عند الأستاذ **أوسنير** "Usener"؛ وانظر: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثانى، أبيات ٦٧ – ٧٦، والجزء الرابع، أبيات ١٤٣ – ١٦٧. [المراجع]

(١) مثال ذلك السراب وأشكال السحب التى توحى بنذر مخيفة. قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، أبيات ١٢٩ – ١٤٢. [المراجع]

(٢) يمكن تفسير كل من الفكر والرؤية عن طريق الصور، ولكن هذه الصور تتميز بأن لها نسيجًا أكثر دقة ورقة ولا تؤثر فى الإبصار، وإن كانت تؤثر فى الذهن. قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، بيت ٧٧٧ وما يليه. [المراجع]

(٣) كانت هذه هى وجهة نظر الفيلسوف **ديموقريطوس**. قارن:

Beare, Greek Theories of Elementary Cognition, p. 26. [المراجع]

الموضوعات الخارجية إلى أبصارنا وإلى أذهاننا وفقًا لحجمها المناسب، حيث إن هذه الأغشية لها اللون نفسه "*homochroa*" وشكل مشابه "*homoiomorpha*" للأشياء الخارجية ذاتها، كما أنها تتحرك بحركة سريعة "*ôkeôs*"(١).

(فقرة ٥٠)

"وهذا يفسر لنا – من جهة أخرى– السبب الذى يجعلها تتخذ مظهر الموضوع المتصل الواحد وتحافظ على العلاقة المتبادلة القائمة بينها وبينه، وذلك عند اصطدامها بالحس؛ ويرجع مثل هذا التأثير المتجانس إلى تذبذب الذرات داخل الجسم الجامد الذى أتت منه. وأيًا كانت الصورة المتمثلة التى نستمدها عن طريق الاتصال المباشر، سواء عن طريق الذهن أو عن طريق الحواس وسواء كانت صورة شكل الجسم أو صورة خواصه وصفاته، فهى صورة شكل جسم جامد؛ وهى تُعْزَى إما إلى تماسك وثيق للصورة ككل وإما إلى مجرد باقى أجزاء الصورة(٢). ذلك أن **الكذب** "*pseudos*" **والخطأ** "*diêmartêmenon*" يعتمدان دومًا على ما يضاف إلى الظن

---

(١) وبوسع القارئ أن يستنتج أنه كلما كانت الحركة سريعة كان تتابع الصور الجديدة مستمرًا ومتصلاً، وذلك لأن هذا التتابع المتصل للصور هو الذى يضمن الوجود المستمر للموضوعات الخارجية، بمثل ما يضمن تماثلها أو خاصيتها وحدتها وتجانسها. قارن: **لوكريتيوس**. عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، أبيات ٨٧ ، ١٠٤ وما بعده، ١٨٩، ٢٥٦ وما بعده. [المراجع]

(٢) يتعرض الغشاء "*typos*" لعقبات تعترض مروره عبر الهواء، ويتمزق فى بعض الأحيان إلى شذرات ونتف، وعندما تصل صورة هذا إلى العين يكون الناتج إدراكًا خاطئًا. ومثال هذا هو البرج المربع الذى يبدو لنا مستديرًا وغيره من الأمور المماثلة. قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات. الجزء الرابع. أبيات ٣٥٣ – ٣٦٣، ٣٧٩ – ٣٩٠. [المراجع]

"*prosdoxazomenon*"[١]، عندما تتطلب الواقعة تأكيدًا أو انعدام تناقض، وهى واقعة لن يتسنى لها أن تتأكد أو تتناقض بعد ذلك. [وذلك طبقًا لحركة معينة داخلنا ترتبط بالصورة الذهنية المعروضة التى هى سبب للكذب أو الخطأ، وإن كانت تتميز عنها]".

(فقرة ٥١)

"وذلك لأن التمثلات التى نتلقاها على سبيل المثال فى صورة ما أو التى تبدو لنا فى الأحلام، أو فى شكل آخر من أشكال الإدراك عن طريق الذهن أو عن طريق المعايير الأخرى للحقيقة، لن يتسنى لها أبدًا أن تكون مماثلة لما نسميه بالأشياء الواقعية أو الحقيقية الخارجية، ما لم تكن هى بعينها الأشياء الحقيقية التى نتصل بها. وما كان للخطأ أن يحدث ما لم نتعرض لحركة أخرى داخلنا ترتبط بإدراك ما هو ماثل أمامنا وإن كانت تتميز عنه[٢]. ومن هذه الحركة – إذا لم تتأكد أو إذا تناقضت – ينتج الكذب، أما إذا تأكدت ولم تتناقض فتنتج الحقيقة".

(فقرة ٥٢)

"وبناء على ذلك يجب علينا أن نتمسك **بوجهة النظر** "*doxa*" هذه للغاية "*sphodra*"، ما لم نقم بدحض المعايير المؤسسة على شهادة الحس الواضحة، كما ينبغى علينا ألا نبعث الاضطراب والفوضى فى هذه الأشياء كلها متخذين

---

(١) قارن: لوكريتيوس، عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، أبيات ٤٦٢ – ٤٦٨، ٧٢٣ – ٨٢٦. [المراجع]

(٢) التعبير اليونانى "*dia lêpsin echein*" بمعنى: "أن يكون متمايزًا" يرد أيضًا فى الفقرة رقم ٥٨ أدناه، أما الصفة "*dialêpton*" بمعنى: "متميز أو متمايز" فترد أيضًا فى الفقرة رقم ٥٧ أدناه. [المراجع]

من الخطأ **حقيقة مؤكدة** "*bebaioumenon*"[1]. ومن ناحية أخرى، فإن السمع يحدث عند مرور تيار من الموضوع سواء كان شخصًا أو شيئًا ينبعث منه الصوت أو الضجيج أو **الجلبة** "*psophoun*"، أو يحدث إحساس **السمع** "*akoustikon*" بأى طريقة كانت. وينتشر هذا التيار حيث **يتشتت** "*diaspeiretai*" على شكل **جزئيات متشابهة ومتجانسة** "*homoiomereis onkoi*"، تحافظ فى الوقت نفسه على ارتباط متبادل معين وعلى وحدة متميزة فيما بينها تمتد إلى الموضوع الذى انبعثت منه هذه الأصوات، ومن ثم فإنه يسبب فى الغالب الأعم **الإدراك الحسى** "*epaisthêsis*" فى تلك الحالة، وإلا فإنه يشير فحسب إلى حضور الموضوع الخارجى".

(فقرة ٥٣)

"وذلك لأنه دون انتقال أو انبعاث من الموضوع الخارجى له ارتباط متبادل بين أجزائه لا يمكن **لإدراك حسى** "*epaisthêsis*" أن ينشأ، ومن ثم ينبغى علينا ألا نفترض أن الهواء ذاته يتشكل عن طريق الصوت المنبعث من أشياء مماثلة[2] – فما أبعد أن يتأثر الهواء بمثل هذه الطريقة – حيث إن **الضربة** "*plêgê*" التى تحدث فى حنجرتنا عندما نصدر صوتًا يسبب مثل هذه **الإزاحة** "*ekthlipsis*" **للجزئيات** "*onkoi*"، من شأنها أن تؤدى إلى تكوين **تيار** "*rheuma*" يشبه **التنفس** "*pneumatôdes*"، وهذه الإزاحة تسفر عن إيجاد

---

(١) يلاحظ أن الفيلسوف **إبيقوروس** كان ناقدًا شديد الوطأة لا يرحم لآراء الشكاك ومذهبهم. قارن الفقرتين ١٤٦، ١٤٧ أدناه؛ وقارن أيضًا: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، أبيات ٥٠٧ – ٥٢١. [المراجع]

(٢) الهواء ليس وسطًا للسمع كما ذهب **ديموقريطوس** أكثر من أن يكون وسطًا للرؤية (فقرة ٤٩ أدناه). ومن المرجح أن **إبيقوروس** يعنى بتعبير "شيء مماثل" تعبيرًا ينـدرج فيه الصوت والضجة. (المترجم)، ولقد عالج **لوكريتيوس** السمع فى الجزء الثانى من كتابه " عن طبائع الموجودات"، أبيات ٤١٠ – ٤١٣، وفى الجزء الرابع، أبيات ٥٢٤ – ٦١٤. [المراجع]

الإحساس "*pathos*" **بالسمع** "*to akoustikon*" عندنا. ومن ناحيـــة أخـــرى، حرى بنا أن نعتقد أن **الشم** "*osmê*"[1] مثل **السمع** "*akoê*" لن يقـــدر لــــه أن يُحْدِث أبدًا أى إحساس، ما لم تنتقل جزئيات مناسبة من الموضـــوع **لإثـــارة** "*kinein*" **حاسة** "*aisthêtêrion*" **الشم**، وبعض هذه الجزئيات من نوع معـــين وبعضها **من نوع مخالف** "*allotriôs*"، وبعضها الثالث يستثير حاســـة الـــشم **بطريقة مشوشة** "*atarachôs*" أو **بطريقة مقبولة** "*oikeiôs*".

(فقرة ٥٤)

"وفضلاً عن ذلك، فحرى بنا أن نعتقد أن الذرات فـــى حقيقـــة الأمـــر ليست لها كيفيات تنتمى إلى الأشياء التى تقع فى نطاق رؤيتنا أو ملاحظتنا، فيما عدا **الشكل** "*schema*" **والـــوزن** "*baros*" **والحجـــم** "*megethos*"؛ ومـــن الضرورى أن ترتبط الخواص الفطرية بالشكل[2]، وذلك لأن كل كيفية مآلها إلى التغيير. ولكن الذرات لا تتغير مادامت الأجسام المركبة عندما تنحل فلا بد أن تخلف وراءها دائمًا **شيئًا صلبًا** "*stereon*" غير قابل للتحلل، وهـــذا

---

(١) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، أبيـــات ٦٧٣ – ٧٠٥؛ والجـــزء الثانى، أبيات ٤١٤ – ٤١٧. ومن الملاحظ أن **إبيقوروس** لم يتناول فى رسالته هذه حاســـتى الذوق واللمس بوصفهما حاستين منفصلتين قائمتين بذاتيهما. [المراجع]

(٢) عن الشكل قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثانى، أبيات ٣٣٣ – ٥٢١، والجزء الثالث، أبيات ١٨٥– ٢٠٢. وبالنسبة للوزن قارن أيضًا: **لوكريتيوس**، عـــن طبـــائع الموجودات، الجزء الثانى، أبيات ١٨٤– ٢١٥، والجزء الأول، أبيات ٣٥٨ – ٣٦٧. وعـــن الخواص بشكل عام قارن: **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء التاســـع، فقرة ٣٣٥. ومن الملاحظ أن الذرات ليس لها لون (**لوكريتيوس**، الجزء الثانى، أبيات ٧٣٠ – ٨٤١)، ولا رائحة (**لوكريتيوس**، الجزء الثانى، أبيات ٨٤٦ – ٨٥٥)، ولا طعم ولا صـــوت ولا برودة ولا حرارة (**لوكريتيوس**، الجزء الثانى، أبيات ٨٥٦ – ٨٥٩)؛ وباختـــصار فـــإن الذرات ليست لها خواص متغيرة (**لوكريتيوس**، الجزء الثانى، أبيات ٨٥٩ – ٨٦٤)، ولكـــن الخواص المختلفة ترجع إلى طريقة ترتيب الذرات المركبة وأماكنها وتحركاتهـــا وأشـــكالها. [المراجع]

هو ما يجعل التغيير ممكنًا. ولكنه ليس التغيير إلى أو من اللا موجود، بل هو بصفة غالبة التغيير من خلال **الاختلافات فى الترتيب** "*kata metatheseis*"، أو أحيانًا من خلال **الإضافات** "*prosodoi*" **والانتقاصات** "*aphodoi*" فى الذرات (١). ومن ثم فإن هذه الأشياء القابلة لأن تكون مرتبة بطريقة مختلفة لا بد أن تكون **غير قابلة للفناء** "*aphtharta*" ولا تملك طبيعة متغيرة، وإنما تحظى كل منها بكتلة خاصة(٢) وشكل مميز، وهذا هو ما يجب أن يبقى".

(فقرة ٥٥)

"لأنه فى حالة تغييرات الشكل داخل تجربتنا، يفترض أن الهيئة تكون ملازمة للأشياء عندما تجرد من الكيفيات الأخرى، ولكن لا يفترض أن تكون الكيفيات – على غرار الهيئة التى خلفتها وراءها – ملازمة لموضوع التغيير، بل أن تتلاشى تمامًا من الجسم (المتغير). وهكذا فإن ما ترك وتخلف كاف لتفسير الاختلافات أو الفروق فى الأجسام المركبة، مادام من الضرورى ترك شىء ما على الأقل ليبقى محصنًا من التلاشى. ومن ناحية أخرى لا ينبغى عليك افتراض أن الذرات لها أى حجم أو كل حجم(٣)، وإلا وقعت فى تناقض مع الوقائع، غير أنه لا بد من التسليم بوجود اختلافات وتباين فى هذه الأحجام، لأن هذا الإقرار من شأنه أن يجعل وقائع الشعور والإحساس أكثر يسرًا فى التفسير".

---

(١) لو أن شيئًا غير متغير تعرض للتغيير فمعنى هذا أن تحول الأشياء وتحول خواصها لا بد أن يرجع إلى حركة الذرات المركبة، حيث إن ترتيب الذرات يختلف داخل الأجسام الصلبة. [المراجع]

(٢) كلمة "*onkos*" – التى تعنى حرفيًا "كتلة" – لكنها قد تعنى "جزيئ"، نظرًا لأن السياق يبين أن مجموعة من الذرات المشابهة للغشاء المرئى هى المقصودة، ولكنها هنا تعنى أن كل شىء أو وجودًا دائمًا للذرات له كتلته الخاصة وشكله المميز. [المراجع]

(٣) وبعبارة أخرى أن جميع الأحجام ممكنة بالنسبة للذرات، وتلك هى فكرة **ديمقريطوس**. (المترجم)

(فقرة ٥٦)

"ولكن أن نعزو أى حجم أو كل حجم إلى الذرات فهو أمر لا يساعد فى تفسير اختلافات الكيف فى الأشياء. وعلاوة على ذلك، فإن الذرات فى هذه الحالة تكون كبيرة بما يكفى لأن تكون **ذرات مرئية** "*horatai*"، وهو أمر لا يمكن أبدًا ملاحظة حدوثه كما لا يمكن أبدًا إدراك إمكان حدوثه، وأعنى به أنه يمكن للذرة **أن تُرى** "*horatê*"[(١)]. وبالإضافة إلى ذلك لا ينبغى افتراض أن هناك أجزاء لا متناهية فى العدد وبالغة الصغر إلى أقصى حد؛ موجودة فى أى جسم متناه. ومن ثم فيجب ألا نرفض فحسب القسمة الفرعية – باعتبار أنها مستحيلة – إلى ما لا نهاية إلى أجزاء أصغر ثم إلى أجزاء أصغر لكى لا نجعل جميع الأشياء **واهنة** "*asthenê*"، وحتى لا تقودنا تصوراتنا **للكتل المتراكمة** "*athroa*" إلى **سحق** "*thlibontes*" الأشياء الموجودة وأعنى بها الذرات، **ومحقها محقًا** "*katanaliskein*"[(٢)]. بيد أنه عند

(١) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الرابع، أبيات ١١٠ – ١٢٣؛ والجزء الأول، أبيات ٥٩٩ – ٦٢٧؛ والجزء الثاني، أبيات ٤٧٨ – ٥٢١. وتوضح أولى هذه الفقرات أن الذرة أدنى بكثير من متناول حواسنا، كما أنها أصغر بكثير من الأشياء التى تستطيع أبصارنا رؤيتها. [المراجع]

(٢) التسليم بأن الذرات لا يمكن أن تنقسم وأنها أجسام صلبة جامدة يمكن تفسيرها، فإذا كانت الذرات لينة وقابلة للقسمة إلى ما لا نهاية فإن جميع الأجسام سوف تحرم من الصلابة. (المترجم)

قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، أبيات ٥٦٥ – ٥٧٦. ونلاحظ أنه قبل أن ينبرى **لوكريتيوس** لمناقشة الفكرة القائلة بأنه إذا كانت الذرات لا تضع حدودًا لقسمة الأشياء، فإن إيجاد الأشياء أو إعادة إيجادها قد يغدو أمرًا مستحيلاً، نظرًا لأن الدمار يحدث بطريقة أسرع من الإصلاح، فضلا عن أن المستقبل الذى لا نهاية له لا يمكن أن يدمر الخراب الذى أحدثه الزمن الماضى. وربما كان **إبيقوروس** يفكر فى حجة مثل التى استخدمها **لوكريتيوس** فى الجزء الثانى، أبيات ٥٢٢– ٥٦٥ (من قصيدته)، ومفادها أن العدد المتناهى للأشكال يتضمن بل ويتطلب عددًا لا متناهٍ من الذرات من كل شكل وهيئة. [المراجع]

التعامل مع الأشياء المتناهية لا بد أيضًا من رفض التقدم إلى ما لا نهاية بواسطة إضافات أو زيادات أقل، باعتبار ذلك أمرًا مستحيلاً".

(فقرة ٥٧)

"فمادمنا أعلنا **مرة واحدة** "*hapax*" أن عددًا لا متناهيًا من الجزيئات "*onkoi*" – مهما كان صغيرًا – يمكن احتواؤه داخل شيء ما، فلا يمكن أن نتصور أنه قد يكون محدودًا أو متناهيًا في الحجم – لأن من الواضح أنه لا بد أن يكون لعدد الجزيئات اللا متناهية حجم معين، ومن ثم فمهما كان حجمها فإن كتلتها المتراكمة التي تكونها لا بد أن تكون لا متناهية. ومن ناحية أخرى، فحيث إن ما هو متناه له حد أقصى يمكن تمييزه حتى ولو لم تتيسر ملاحظته بذاته، فليس من الممكن تحاشي التفكير في الحد الأقصى الآخر له. ثم إننا لا نستطيع أن نحول بين أنفسنا وبين التفكير بهذه الطريقة، وذلك بالسير قدمًا من طرف إلى طرف أخر تال له في هذا النظام؛ فمن الممكن السير على هذا المنوال إلى أن نصل بالفكر إلى اللا متناه"[١].

(فقرة ٥٨)

"لا بد لنا إذن من إدراك **الحد الأدنى** "*to elachiston*" مما يمكن إدراكه بالحواس، وذلك لأنه ليس من طبيعة مماثلة لطبيعة الجسم القابل للانتقال من جزء إلى جزء، بمعنى أنه قابل للامتداد[٢]، كما أنه ليس **من طبيعة**

---

(١) كل جسم يمكن رؤيته هو جملة الحد الأدنى، أو على الأقل النقاط التي يمكن إدراكها لأنها متناهية في العدد بسبب أنها ذات حجم متناه. (المترجم)

(٢) ولقد لاحظ الباحثون أن هذا يمثل تتابعا رياضيا سواء للأعداد الصحيحة أو للكسور أو للقوى. ولكن من المرجح أن **إبيقوروس** كان يتناول هنا المساحات والسطوح حيث إن "المرئي" عامة بالنسبة إلينا سوف يكون ذا امتداد. [المراجع]

مغايرة "*anomoion*" تمامًا، بل له طبيعة مشتركة تجمع بينه وبين **الأشياء القابلة للانتقال أو العبور** "*metabata*"، على الرغم من كونه لا يحظى بأجزاء متمايزة. ولكن عندما نعتقد – نتيجة للوهم الذى تخلقه هذه الخاصية المشتركة – أن بوسعنا أن نميز داخل الحد الأدنى المحسوس بين جزء هنا وجزء هناك، فإنه لا بد فى هذه الحالة من وجود حد أدنى آخر مساوٍ للحد الأدنى الأول الذى لاح أمام أبصارنا. وفى الواقع فإننا نرى بالفعل هذه الحدود الدنيا (المحسوسة) واحدة بعد الأخرى، بادئين بالأولى، وليس على أنها تشغل المكان ذاته؛ كما أننا لا نراها فعلاً عندما تتلامس أجزاء بعضها مع أجزاء بعض آخر؛ لكننا نرى أنها بفضل طابعها الخاص المتميز (أى باعتبارها وحدات لا تنقسم) تتيح أو تقدم وسيلة لقياس الأحجام. ثم إن هناك عددًا أكبر منها لو كان الحجم الذى يقاس أكبر، وعددًا أقل منها لو كان الحجم الذى يقاس أصغر".

(فقرة ٥٩)

"ولا بد لنا أن نعتقد أن هذا **القياس** "*analogia*" ينطبق أيضًا على الحد الأدنى من الذرة، ذلك لأن الذرة تختلف عما يمكن ملاحظته بالحس فى **صغرها الفائق** "*mikrotês*" فقط، ولكنها تسير وفق القياس أو المماثلة ذاتها. فعند مماثلة الأشياء التى تقع فى نطاق تجربتنا قلنا إن للذرة حجمًا، وأن هذا الحجم على صغره المتناهى يمكن لنا إيجاده مرة أخرى على نطاق أوسع. وعلاوة على ذلك فإن **أكثر الأشياء ضآلة** "*elachista*" **وأبسطها** "*amigê*"(١) لا بد من النظر إليها على أنها حدود قصوى للأطوال تزودنا من ذات نفسها

---

(١) وكلمة "*amigê*" صفة تعنى "البسيط"، وهى هنا تعنى "غير المركب". ولكن الأستاذ فون آرنيم "Von Arnim" ناشر المخطوطة يرى وجوب قراءتها "*amerê*" بمعنى "خالية من الأجزاء"، وهذا أكثر اقترابًا من المعنى. [المراجع]

بوصفها وحدات أو وسائل لقياس الأطوال، سواء كانت **أكبر** "*meizona*" أو **أصغر** "*elattona*"، **برؤية ذهنية** "*theôria*" يمكن اللجوء إليها واستخدامها، حيث إن الرؤية المباشرة تكون مستحيلة. وذلك نظرًا لأن الخاصية المشتركة "*koinotês*" الموجودة بينها وبين الأجزاء غير المتغيرة "*ametabola*" (أى الأجزاء المتناهية فى الصغر للمساحة أو للسطح) تكون كافية لتبرير النتيجة التى تم التوصل إليها. ولكن ليس من الممكن أن توجد هذه الحدود الدنيا من الأحجام داخل الذرة بشكل منفصل، أو أن تتجمع مع بعضها من خلال اكتساب الحركة"[١].

(فقرة ٦٠)

"وفضلاً عن ذلك فلا ينبغى علينا أن نؤكد أن هناك "**أعلى**" "*anô*" أو **أسفل** "*katô*" لما هو غير محدود، كما لو كان هناك **سمت** "*anôtatô*" و**نظير السمت** "*katôtatô*"[٢]. أما بالنسبة إلى المكان الواقع فوق الرأس، فلو أمكن مد[٣] خط إلى ما لا نهاية من النقطة التى نقف فيها، فإننا نعرف أن هذا المكان – أو بالنسبة إلى هذا الأمر المكان الواقع تحت مستوى نقطة الوقوف المفترضة لو أنها امتدت إلى ما لا نهاية – نقول إن هذا المكان لن يبدو لنا

---

(١) ومن الملاحظ أن أجزاء الذرة فى نظر **إبيقوروس** غير قادرة على الحركة. قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، أبيات ٦٢٨ – ٦٣٤. [المراجع]

(٢) السمت "*zenith*": هو النقطة فى الكرة السماوية الواقعة رأسيًا على المشاهد، ونظير السمت هو الحضيض. وقد اعترض **أرسطو** على الحركة الذرية عند **ديموقريطوس** على أساس أنها تتضمن نقطة عالية علوًا مطلقًا ونقطة مضادة فى الأسفل بطريقة مطلقة، ويقول إن هذه الحدود لا معنى لها فى المكان اللا متناهى. (المترجم)
قارن: **أرسطو**، الفيزيقا، الجزء الثالث، الفصل الخامس، فقرة ٢٠٥ ب ٣٠؛ والجزء الرابع، الفصل الثامن، فقرة ٢١٥ أ ٨. [المراجع]

(٣) الفعل المستخدم هنا هو *agein* = "مد"، وهو مصطلح هندسى كان يستخدمه **إقليدس**. [المراجع]

أبدًا على أنه "**أعلى**" و"**أسفل**" فى الوقت نفسه بالنسبة إلى النقطة ذاتها، نظرًا لأن هذه الحدود لا يمكن تصورها. ومن ثم فمن الممكن أن نفترض وجود اتجاه واحد للحركة نتصور أنه ممتد إلى أعلى إلى ما لا نهاية، كما نتخيل وجود اتجاه آخر إلى أسفل، حتى لو تكرر حدوث ذلك **عشرة آلاف مرة** ***"myriakis"***، وانطلق ذلك الذى يتحرك من عندنا صوب الأماكن الواقعة فوق رءوسنا ووصل إلى أقدام أولئك الذين فوقنا، أو انطلق ذلك الذى يتحرك أسفلنا ووصل إلى رءوس أولئك الذين تحتنا. ومع ذلك فإن من الصواب أن نتصور أن الحركة ككل فى الحالات المعنية بدورها تمتد فى الاتجاهات المضادة إلى ما لا نهاية".

(فقرة ٦١)

"وعندما تتحرك الذرات فى الخلاء دون أدنى مقاومة، فإنها يجب أن تتحرك جميعًا **بسرعة متساوية** "***isotacheis***"؛ ذلك لأن من الخطأ الاعتقاد بأن حركة الذرات **الثقيلة** "***barea***" أسرع من حركة الذرات **الصغيرة والخفيفة** "***mikra***" "***koupha***" ، مادامت لم تجد ما يعوق مسارها. كذلك فإن حركة الذرات الصغيرة ليست أسرع من حركة الذرات **الكبيرة** "***megala***"، بشرط أن تجد دومًا المسار المناسب لحجمها وبشرط ألا تجابه بما يعوق سيرها. كذلك فإن الحركة نحو الأعلى أو الحركة الجانبية المنحرفة جراء الاصطدامات، وكذا الحركة صوب الأسفل بسبب الثقل أو الوزن من شأنها أن تؤثر فى سرعتها. ومادامت حافظت الذرة على إحدى هاتين الحركتين فلا بد أن يستمر انتقالها بسرعة الفكر، شريطة عدم وجود عقبات سواء بسبب الاصطدام الخارجى أو بسبب ثقل (الذرة) الخاص الذى يقاوم القوة الآتية من أسفل".

(فقرة ٦٢)

"وعلاوة على ذلك فعند التعامل مع الأجسام المركبة فسوف نجد أن أحدها ينتقل أسرع "*thattôn*" من سواه "*hetera*"؛ [ومعنى ذلك أن الأجسام المركبة تختلف سرعة بعضها عن سرعة بعض آخر]، على الرغم من أن الذرات الخاصة بهذه الأجسام **ذات سرعة متساوية** "*isotacheis*". وذلك لأن هذه الذرات فى **كتلها المتراكمة** "*athroismata*" تنتقل **فى اتجاه واحد** "*hena topon*"[(١)] خلال أقصر مدة من الزمن المتصل، على الرغم من أنها تتحرك فى اتجاهات مختلفة خلال أزمان قصيرة جدًا لدرجة أنه لا يمكن إدراكها إلا عن طريق العقل وحده؛ لكنها كثيرًا ما تتصادم قبل أن تتمكن الحواس من إدراك اتصال حركتها. وذلك لأن الزعم القائل بأن وراء مدى الرؤية المباشرة يمكن حتى للأزمان الدقيقة التى يتسنى إدراكها عن طريق العقل أن تبين استمرار الحركة، ليس زعمًا صحيحًا فى الحالة المطروحة أمامنا. حيث إن قانوننا هو أن الملاحظة المباشرة عن طريق الحواس وكذا بالإدراك الحسى المباشر عن طريق العقل هما وحدهما الصادقان بلا لبس ولا مراء".

(فقرة ٦٣)

"ثم من بعد ذلك علينا أن نضع نصب أعيننا فيما يتعلق بإدراكاتنا الحسية ومشاعرنا – نظرًا لأن هذا هو سبيلنا إلى **الاعتقاد اليقينى الجازم**

---

(١) عندما يتاح للذرات الموجودة فى جسم مركب – خلال وقت مستمر يمكن إدراكه بالحس مهما كان قصيرا – أقول عندما يتاح لهذه الذرات أن تتحرك جميعا فى اتجاه واحد لا سواه، فإن الجسم المركب عندئذ سوف ينتقل من مكان إلى مكان ومن ثم تكون له سرعة نسبية. [المراجع]

"*bebaiotatê pistis*" – أن **النفس** "*psyche*" **جسم مـــادى** "*soma*" يتركب من **جزيئات دقيقة** "*leptomeres*" منتـــشرة فـــى **كتلـــة الجـــسم** "*athroisma*"[١] بأسرها، وأنها **أشبه** "*prosempherestaton*" **بنفثة ريح** "*pneuma*" ممتزجـــة بالحرارة[٢]، وأنها طورًا **تـــشبه** "*prosempheres*" الـــريح وطـــورًا تـــشبه الحرارة. بيد أن هناك جزءًا ثالثًا منها يتفوق على الجزءين الآخرين برقـــة جزيئاته ودقتها، ومن ثم فإنه يظل على اتصال وثيق ببقيـــة أعـــضاء كتلـــة الجسم[٣]. ويتضح ذلك عن طريق **الملكات** "*dynameis*" الذهنية والمـــشاعر، ومن خلال السهولة التى يتحـــرك بهـــا الـــذهن، وعـــن طريـــق **الأفكـــار** "*dianoêseis*" وجميع تلك الأشياء التى يؤدى فقدها إلى الوفاة. ثم إننا علينا أن نضع فى أذهاننا أيضًا أن النفس تظفر بنصيب الأسد فى هذا الصدد بوصفها العلة الرئيسية فى الإحساس".

(فقرة ٦٤)

"فما كان لها إلا أن تحظى بالإحساس إلا لكونها تسكن على نحو مـــا داخل الجزء الباقى من كتلة الجسد. بيد أن الجزء الباقى من كتلة الجـــسد – على الرغم من أنه يزودنا بهذه العلة الرئيسية[٤] للنفس – هو ذاته أيضًا لـــه

---

(١) قارن: **لوكريتيـــوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثالث، أبيـــات ١٦١ – ١٧٦، ١٧٧ – ٢٣٠ [المراجع]

(٢) قارن: **لوكريتيـــوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثالث، أبيـــات ٢٣١ – ٢٥٧، ٤٢٥ – ٤٣٠؛ وقارن أيضًا الشذرتين رقم ٣١٤، ٣١٥ من شذرات **إبيقوروس** التـــى قـــام بنـــشرها الأستاذ **أوسنير** "Usener". ولقد ورد فى هذه المواضع كلها أن النفس مؤلفة من أربعة عناصر مركبة، ولكن هذه الرسالة أغفلت واحدًا من هذه العناصر، وهو العنصر الهوائى "*aerôdes ti*". [المراجع]

(٣) وهو العنصر المسمى بالمادة التى لا اسم لها "*nominis expers*" عند **لوكريتيـــوس** (الجـــزء الثالث، بيت رقم ٢٤٢)، وهو ما يقابل كلمة "*akatonomaston*" عند **إبيقوروس**. [المراجع].

(٤) إن الجسد عن طريق إبقائه لذرات النفس مجتمعة معًا بلا تشتت، فإنه يسمح لها بأن تتذبذب مع الحركات التى ولدتها الحساسية والإحساس. من تعليقات الترجمة الإنجليزيـــة، ص٥٩٤. (المترجم)

نصيبه المستمد من النفس من هذه الخاصية المذكورة، ومن ثم فإنه لا يحظى بجميع خواص النفس أو ملكاتها. ومن هنا فإن الجسد يفقد الإحساس بمجرد رحيل النفس عنه، وذلك لأنه لا يملك قوة الإحساس هذه بذاته وحدها، ولكن شيئًا آخر نشأ مع الجسد بالفطرة هو الذى يزوده بها. وذلك لأن النفس عن طريق تحقيق ملكاتها الخاصة من خلال الحركة تكتسب لنفسها فى التو خاصية الإحساس، ثم إنهما بفضل **التجاور** "*homourêsis*" **والارتباط** "*sympatheia*" المتبادل بينهما تنبرى لنقله – كما قلنا آنفًا – إلى الجسد أيضًا".

(فقرة ٦٥)

"وبناء على ذلك فمادامت النفس حَالّةٌ فى الجسد، فإنها لا تفقد الإحساس أبدًا حتى لو تمت إزالة جزء ما من هذا الجسد. وقد يُنتَزَع هذا **الغلاف الحاوى** "*stegazon*"[1] كله أو تَتَفصمُ عُرَى "*lythen*" بعض أجزائه؛ فتفقد النفس بناء على ذلك بعض أجزائها، ولكنها مع ذلك سوف تحافظ على الإحساس مادامت هى باقية علي قيد الحياة. أما باقى **كتلة الجسم** "*athroisma*" – سواء بقى كاملاً على قيد الحياة أو بقى جزء منه فقط – فتفقد الإحساس عندما تندثر الذرات المكونة لجوهر النفس، وعلى الرغم من أنها ذرات قليلة العدد فإنها ضرورية لتكوين جوهر النفس. وفضلاً عن ذلك فإنه عند تفكك كتلة الجسم[2] بكامله؛ فإن النفس تتبدد ولا تعود لها القوى ذاتها التى كانت لها من قبل فلا تتحرك، ومن ثم فإنها لا تملك الإحساس أيضًا".

---

(١) نلاحظ أن اسم الفاعل "*stegazon*" بمعنى "الحاوي، المكتنف، المغطى" مستخدم هنا فى الجمع "*stegazonta*"، لذا فإن من الأفضل أن نفترض – وهو ما فعله الأستاذ **بينيونى** "Bignone" – أن كتلة الجسم كلها تعتبر هى مجموع الأجزاء، وأن كل جزء منها يستخدم كغشاء أو غلاف أو غمد حاوى لجزء من أجزاء النفس. ومن ثم فإن فقد الساق أو الطرف لا يهدد الحياة لأن باقى كتلة الجسم تقوم بوظيفتها كغلاف حاوٍ يقوم بحفظ العدد الكافى من ذرات النفس بنظام فعال. [المراجع]

(٢) قارن: لوكريتيوس، عن طبائع الموجودات، الجزء الثانى، أبيات ٩٤٤ – ٩٦٢. [المراجع]

(فقرة ٦٦)

"والحق إننا لا يمكن أن نتصور أن النفس ذات حس "*aisthanomenon*"[١]، ما لم تكن موجودة فى هذا الكل المركب "*systêma*" وما لم تتحرك بهذه الحركات. كذلك فليس بوسعنا أن نتصورها على هذا النحو، عندما لا تكون الأغشية التى تغلفها وتحيط بها ليست هى ذاتها الأغلفة التى توجد فيها النفس الآن والتى تؤدى داخلها هذه الحركات. [وهو يقول فى موضع آخر إن النفس مركبة من أشد الذرات نعومة ورقة وأكثرها استدارة "*leiotata kai strongylôtata*"، وهى أسمى مرتبة بكثير فى الحالتين من الذرات المكونة للنار؛ وإن ذلك الجزء من النفس غير عقلانى "*alogon*"، حيث إنه مشتت فى بقية أنحاء الجسم، فى حين أن الجزء العقلانى "*logikon*" يستقر فى القفص الصدرى "*thorax*" على نحو ما يتبدى من خلال مخاوفنا "*phoboi*" وأفراحنا "*charoi*". وإن النوم "*hypnos*" يحدث عندما يقدر لأجزاء النفس التى تشتتت فى جميع أرجاء الكائن العضوى المركب أن تتشبث به أو تفترق عنه. ثم إنها من بعد ذلك تتصادم بعضها ببعض آخر عن طريق الاصطدام "*epereismoi*" ، أما السائل المنوى "*sperma*" فيفرز من خلال الجسم كله]".

(فقرة ٦٧)

"ولكن هناك أمرا آخر ينبغى إمعان النظر فيه وهو اللا جسمية "*asômaton*" التى نقول إنها تنسب إلى النفس وفقا للاستخدام الشائع، وهو

---

(١) الضمير الشخصى المستخدم للإشارة إلى النفس هو "*auto*" ، وحيث إن هذه هى صورة الجنس المحايد والنفس مؤنثة فى اليونانية، فيمكن افتراض أن المؤلف استخدم المحايد بدلا من المؤنث، وهذا أمر ممكن الحدوث. [المراجع]

مصطلح ينطبق على ما يمكن أن نتصور أنه **موجود بذاته** "*kath' heauto*"[1]؛ ولكن من المستحيل تصور شيء لا جسمي موجود بذاته سوى **الفراغ أو الخلاء** "*kenon*". ثم إن الخلاء لا يمكن بذاته أن يكون **فاعلا** "*poiêsai*" أو **منفعلا** "*pathein*"، ولكنه يسمح فحسب للأجسام بأن تتحرك فيه، ومن ثم فإن أولئك الذين يطلقون على النفس صفة اللا جسمية إنما يقولون **لغوًا لا طائل من ورائه** "*mataïzousin*"، إذ لو صح أن النفس كذلك لما كان في استطاعتها أن تكون **فاعلة** "*poiein*" **ولا منفعلة** "*paschein*". غير أن النفس تفعل وتنفعل ومن ثم فإن هذه **الخواص** "*symptômata*" تنتمي إلى النفس".

(فقرة ٦٨)

"فلو أن شخصًا ما أخضع جميع هذه **الحجج** "*dialogismata*" المتعلقة بالنفس لمعيار **المشاعر** "*pathê*" **والإحساسات** "*aisthêseis*"، ولو أنه وضع في اعتباره القضية التي سبق ذكرها في البداية، فسوف يرى أن الموضوع قد غدا مفهومًا بطريقة كافية في خطوطه العريضة، وهو الأمر الذي سوف يمكننا من تحديد التفصيلات الجزئية بدقة وثقة. وعلاوة على ذلك فإن **الأشكال** "*schemata*" **والألوان** "*chrômata*" **والأحجام** "*megethê*" **والأوزان** "*bare*" وسائر تلك الكيفيات التي هي صفات الجسم – بقدر ما هي **خواص** "*symbebêkota*" دائمة سواء لجميع الأجسام أو للأجسام المرئية – تصبح معروفة عن طريق الإحساس بهذه الخواص ذاتها. ولا ينبغي أن نفترض أن هذه الكيفيات موجودة بذاتها بصفة مستقلة[2] (لأن هذا أمر لا يمكن تصوره)".

---

(١) وهناك ترجمة أخرى يمكن إيرادها لو أننا قرأنا العبارة على أنها "*hoti to asômaton legomen*"، وبذا تصبح الجملة كلها كالتالي: "وأنه طبقا للاستخدام الشائع فإننا نستخدم المصطلح "لا جسمي" للتعبير عن ذلك الذي يمكن أن نتصور أنه موجود بذاته". [المراجع]

(٢) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، بيت رقم ٤٤٩ وما بعده؛ **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء العاشر، فقرات ٢٢١ – ٢٢٣. [المراجع]

(فقرة ٦٩)

"كذلك لا ينبغى أن نفترض أنها غير موجودة، ولا أنها كيانات أخرى لا جسمية متشبثة بالجسم[1]، ولا أنها **أجزاء** "*moria*" من الجسم، بل حرى بنا أن ننظر إلى الجسم كله بطريقة عامة لنستنبط طبيعته الدائمة من جميع تلك الخواص التى يكون كل منها موضوع إدراك خاص، على الرغم من أن الجسم ليس مجرد **كتلة شاملة** "*athroisma*" لها، على نحو ما يحدث للجسم بأسره الذى يتألف سواء من عناصر أولية أو من أحجام متجاورة أصغر منه حجمًا، مهما كان أصغر حجمًا من هذا الكل الخاص. وجميع هذه الخواص – وفقًا لما أقول– إنما تمنح الجسم فحسب طبيعته الدائمة، ثم إنها جميعًا تستمد خواصها من كونها مدركة ومتمايزة، ولكنها تظل ملازمة للجسم بأسره ولا تنفصل عنه أبدًا، وطبقًا لهذا التصور الكامل للجسم بأسره يتعين علينا فهم القضية".

(فقرة ٧٠)

"ومن ناحية أخرى فإن الكيفيات كثيرًا ما تلحق بالأجسام دون أن تكون ملازمة لها على الدوام، ومن ثم فلا ينبغى أن تصنف على أنها كيانات غير مرئية أو كيانات لا جسمية. ومن ثم فإننا باستخدام مصطلح "**الأعراض** *symptômata*"[2] بأشيع معنى للكلمة، إنما نقول بوضوح إن "الأعراض" ليست لها طبيعة الشيء أى الجسم كله الذى تنتمى إليه، والتى لو تصورناها ككل فإننا نطلق عليه لفظ "**الجسم**"، وليست لها كذلك طبيعة

(١) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، أبيات ٤٧٨ – ٤٨٢. [المراجع]

(٢) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، بيت رقم ٤٥٥ وما بعده، حيث يرد ذكر: العبودية، المسغبة، الثراء، الحرب والسلام، كأمثلة مختارة على هذه "الأعراض"؛ ولكن فى موضع آخر يرد أنها السكون والحركة. [المراجع]

الخواص الدائمة التى بدونها لا يمكن إدراك الجسم أو تصوره. وبفضل أنماط معينة من الإدراك التى يدخل فيها دومًا الجسم كاملاً؛ فإن كل خاصية من هذه يمكن أن نطلق عليها اسم "**العَرَض**".

(فقرة ٧١)

"ولكننا كثيرًا ما نعرف فعلاً أن هذا "العَرَض" ينتمى إلى الجسم، مادامت مثل هذه "**الأعراض**" ليست ملازمة على الدوام – وحرى بنا ألا نستبعد مثل هذه الشهادة الواضحة من الواقع، وهى الشهادة القائلة بأن هذا "**العَرَض**" ليست له طبيعة ذلك الكل – وهو ما نسميه بالجسم – الذى ينتمى إليه، ولا الخواص الدائمة التى تصاحب الكل. وحرى بنا من ناحية أخرى ألا نفترض أن **للعَرَض** وجودًا مستقلاً (لأن ذلك أمر لا يمكن تصوره فى حالة **الأعراض** كما فى حالة الخواص الدائمة)؛ ولكن لا بد – كما هو واضح – من اعتبارها جميعًا **أعْرَاضًا** غير ملازمة دائمًا للأجسام وليست لها مرتبة الوجود المستقل (أو الجوهر القائم بذاته). والأحرى بنا أن نعتبر أنها على نحو ما يجعلها الإحساس ذاته عليه بصورة ذاتية".

(فقرة ٧٢)

"وهناك أمر آخر ينبغى علينا أن نتفهمه **بعناية فائقة** "*sphodrôs*"، وهو: حرى بنا ألا نفحص الزمان على نحو ما نفعل مع سائر **الأعراض** الأخرى التى فحصناها فى الموضوع، أى بردها إلى **تصورات سابقة** "*blepomenai prolêpseis*" طرأت على أذهاننا، بل يجب أن نضع فى اعتبارنا **الواقعة الواضحة** "*enargêma*" نفسها، التى يمكن بفضلها أن

نثبت طول الزمان أو قصره وأن نربطها برباط وثيق بصفة الديمومة هذه[1]. ثم إننا لسنا بحاجة إلى تبنى ألفاظ جديدة بزعم أنها ألفاظ أفضل مدلولاً، بل ينبغى علينا استخدام ألفاظ متداولة مألوفة، كما أننا لسنا بحاجة إلى أن نحمل أى شىء آخر على الزمان، كما لو كان هذا الشىء الآخر يحتوى على الماهية ذاتها التى يحتوى عليها المعنى المناسب لكلمة "**الزمان** *chronos*" (نظرًا لأن بعضنا فعلوا هذا). بل الأفضل أن نتوقف مليًا عند ذلك الذى يتعلق بالطابع الخاص للزمان والذى ننبرى لقياسه بواسطته".

(فقرة ٧٣)

"وليس مطلوبًا أن يكون هناك **برهان** "*apodeixis*" آخر، فعلينا فقط أن نتأمل ما ألحقناه بالزمان من صفات كتعاقب الليل والنهار وأجزائهما، وكذا مشاعر اللذة أو الألم **والمشاعر المحايدة** "*apatheiai*"، وحالات الحركة والسكون، مفترضين فى كل هذه الحالات وجود **خاصية مميزة** "*idion symptôma*" نسميها باسم "**الزمان**". [ولقد قال ذلك فى كل من الجزء الثانى لكتابه **عن الفيزيقا** "*peri Physeôs*" وكذا فى كتاب **الخلاصة الموسعة** "*Megalê epitomê*"]".

"وحرى بنا بعد كل ما سبق ذكره أن ندرس **العوالم** "*kosmoi*" وكذا كل **كتلة** "*synkrisis*" **متناهية** "*peprasmenê*" تحمل **شبهًا قويًا** "*homoeides*" للأشياء التى نراها عادة خارجة عن نطاق اللا متناهى[2]. فجميع هذه (العوالم) – سواء كانت أصغر حجمًا أو أكبر حجمًا – قد تولدت عن تجمعات

---

(١) قارن: **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء العاشر، فقرة رقم ٢١٩ وما يليها، فقرة رقم ٢٢٤ وما يليها، وفقرات ٢٤٠ – ٢٤٤. [المراجع]

(٢) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثانى، أبيات ١٠٨٤ – ١٠٨٩. [المراجع]

خاصة من الذرات، كذلك فإن جميع الأشياء قد انحلت[١]؛ بعضها **أسرع** "*thatton*" وبعضها **أبطأ** "*bradyteron*"؛ وبعضها بفعل مجموعة من العلل، وبعضها بتأثير مجموعة أخرى. [من الواضح إذن أنه يذهب إلى أن العوالم **قابلة للفناء** "*phthartoi*" وإلى أن أجزاءها **خاضعة للتغيير** "*metaballonta*". وهو يقول فى موضع آخر: إن **الأرض** "*gê*" تستند أو ترتكزعلى الهواء]".

(فقرة ٧٤)

"وفضلاً عن ذلك فلا ينبغى علينا أن نفترض أن العوالم بالضرورة **لها شكل** "*schêmatismos*" واحد لا سواه. [بل على العكس من ذلك نجد أنه هو نفسه يعلن فى الجزء الثانى عشر من كتابه "**عن الفيزيقا**" أن أشكال العوالم **مختلفة** "*diaphorai*": فبعض منها **كروى** "*sphairoeideis*" وبعضها الآخر **بيضاوى** "*ôoeideis*"، وأن هناك عوالم أخرى ذات **أشكال أخرى مختلفة** "*alloioschêmones*" عن الأشكال السابقة، ولكنها مع ذلك لا تسمح بكل شكل. ثم إنها ليست **موجودات حية** "*zoa*" انفصلت عن اللا متناهى]".

"ذلك أنه ليس بوسع أحد أن يبرهن على أن **البذور** "*spermata*" التى تألفت منها **الحيوانات** "*zôa*" **والنباتات** "*phyta*" وبقية الموجودات التى بوسعنا أن نراها موجودة فى عالم بعينه دون سواه وغير موجودة فى عالم آخر غيره. [كذلك فإن الأمر نفسه يصدق على **غذائها** "*entraphênai*" فى عالم ما بعد ظهورها فيه؛ وعلينا أن نتصور حدوث ذلك الأمر نفسه بالكيفية ذاتها على الأرض أيضاً]".

---

(١) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الثانى، الفقرتان ١١٤٤، ١١٤٥؛ **استوبايوس**. المختارات، الجزء الأول، الفقرتان ٢٠، ١٧٢. [المراجع]

(فقرة ٧٥)

"وحرى بنا أن نفترض بالمثل أن الطبيعة[١] بدورها قد تعلمت بل إنها أُجبِرَت على تعلم الكثير من الدروس المختلفة عن طريق الوقائع ذاتها، وأن **العقل** "*logismos*" ولذا يقوم بتطوير ما تلقاه ثم ينبرى لعمل اكتشافات جديدة أسرع عند بعض الأقوام وأبطأ عند أقوام أخرى، ومن ثم فإن التقدم الذى يتحقق خلال أزمنة معينة يكون أكبر حجمًا، كما يكون أقل حجمًا فى أزمنة أخرى".

"ومن هنا فحتى أسماء الأشياء لا ترجع فى الأصل إلى **العرف** "*thesis*"[٢]، لكنها توجد عند أقوام كثيرين بدافع من المشاعر الخاصة وبسبب تمثلات خاصة للحس ينطق على أثرها الإنسان البدائى صرخات من نوع خاص[٣]. وهكذا فإن الهواء المنبعث من الحنجرة يتشكل بطريقة معينة عن طريق مشاعرهم الذاتية وتمثلاتهم الحسية الخاصة على نحو يختلف باختلاف المناطق التى تسكنها هذه **الشعوب** *ethnê*".

(فقرة ٧٦)

"وبناء على ذلك فإن هؤلاء الأقوام جميعًا يتبنون أسماءهم الخاصة، وذلك من أجل أن تصبح اتصالاتهم مع بعضهم أقل غموضًا وأكثر إيجازًا فى تعبيرها. أما بالنسبة للأشياء غير المرئية – مادام أولئك الذين هم على وعى

---

(١) أعنى أن الطبيعة تؤثر فى الرجل البدائى تقريبًا بما يشبه الغريزة. من تعليقات الترجمة الإنجليزية، ص٦٠٥. (المترجم)

(٢) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الخامس، بيت رقم ١٠٤١ وما بعده. وكان كل من **هيراقليطوس** و**ديموقريطوس** و**أرسطو** يستمدون الأسماء فى لغتهم من العرف. [المراجع]

(٣) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الخامس، أبيات ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٥٦، ١٠٥٨. [المراجع]

بها يحاولون تقديم تصور عنها من هذا القبيل- فإنهم يضعون لها طائفة من الأسماء المتداولة، سواء كانت **أصواتًا** "*phthongoi*" كانوا مضطرين للتلفظ بها غريزيًا، أو لاختيارها عن طريق العقل من خلال القياس، طبقًا للعلة ذات العمومية الفائقة التى تجعل المرء يعبر عن نفسه بهذه الطريقة. ومن جهة أخرى فإننا لسنا ملزمين بالاعتقاد – بالنسبة إلى أجرام السماء – بأن دورانها وانقلاباتها وخسوفها وكسوفها وشروقها وغروبها، وكذا سائر الظواهر المماثلة تحدث دون عون أو أمر – سواء الآن أو فى المستقبل – من أى كائن أسمى يحظى فى الوقت نفسه **بالسعادة** "*makariotês*" الكاملة **وبالخلود** "*aphtharsia*" فى آن واحد".

(فقرة ٧٧)

"وذلك لأن **المتاعب** "*phrontides*" والهموم **ومشاعر الغضب** "*orgai*" **والتحيز** أو **المحاباة** "*charites*" لا تتفق مع السعادة، بل هى مقترنة بالضعف "*astheneia*" **والخوف** "*phobos*" **وبالتبعية** "*prosdeêsis*" لأحد الجيران. ومن ناحية أخرى لا ينبغى علينا أن نعتقد أن (الأجرام السماوية)، التى ليست سوى **كتل مستديرة من النار** "*pyros anammata*" والتى تنعم هى الأخرى بالسعادة، تتحرك بمقتضى إرادتها الذاتية. بيد أنه لا بد لنا من الحفاظ على **الإجلال والتوقير** "*semnôma*" كاملين فى جميع الألفاظ والأسماء التى نستخدمها للتعبير عن معان مثل السعادة والخلود، خشية أن تؤدى هذه الألفاظ إلى إيجاد آراء لا تتناسب مع الجلال والوقار. وإلا فإن انعدام التناسب هذا سيكون من شأنه أن يولد أشد الاضطراب فى النفوس. ومن هنا فحيثما نجد ظواهر متكررة بصورة غير متغيرة، فإن انعدام التغيير فى هذا التكرار لا بد أن يُعْزَى إلى التصدى الأصلى وإلى تكتل الذرات الذى تشكل منه العالم".

(فقرة ٧٨)

"وفضلاً عن ذلك، فلا بد من الاعتقاد أن التوصل إلى المعرفة الدقيقة لعلة الأشياء ذات الأهمية الفائقة هي غاية **العلم الطبيعي** "*physiologia*"، وأن **السعادة** "*makarion*" تعتمد على هذا (أي على المعرفة **بالظواهر السماوية والجوية** "*meteôra*")، وكذا على معرفة ماهية الأجرام السماوية وماهية الظواهر المماثلة التي تسهم المعرفة الدقيقة بها في تحقيق السعادة المنشودة. وعلاوة على ذلك فلا بد من الإقرار بالنسبة إلى هذه النقاط بعدم وجود **كثرة** "*pleonachôs*" من الأسباب أو الأحداث العرضية، بل حرى بنا أن نذهب إلى القول بعدم وجود شيء يوحي بالصراع أو الاضطراب يتساوق مع **الطبيعة** "*physis*" الخالدة المباركة، وأن من طبيعة العقل أن يدرك الحقيقة المطلقة لذلك".

(فقرة ٧٩)

"لكن عندما نصل إلى الموضوعات ذات المبحث الخاص، فسنجد أنه لا شيء في معرفة الشروق والغروب والانقلابات والخسوف والكسوف وسائر الظواهر المماثلة من شأنه أن يسهم في سعادتنا. ولكن أولئك الذين يعرفون على نحو وثيق هذه الظواهر بيد أنهم يجهلون ماهيتها وعللها الرئيسية، يشعرون بالقدر نفسه من الخوف الذي ينتاب أولئك الذين يجهلون هذه المعرفة الخاصة، بل لعل خوفهم يكون أشد لأن معرفتهم الناتجة عن استيعاب تلك الظواهر لا تزول بإدراك النظام الكلي للعالم، كما أن حب الاستطلاع الذي تثيره هذه المعرفة الإضافية ليس بوسعه أن يجد حلاً أو فهمًا لإخضاع هذه الظواهر لأسبابها الرئيسية. ومن ثم فلو أننا اكتشفنا أكثر من سبب واحد لتفسير **الانقلابات الشمسية** "*tropai*" **والغروب** "*dyseis*" **والشروق** "*anatolai*"

والكسوف والخسوف "*ekleipseis*" وما شابه ذلك من ظواهر- مثلما نفعل فى الأمور الجزئية الزاخرة بالتفاصيل- فلا ينبغى لنا أن نفترض أن معالجتنا لهذه المسائل بحاجة إلى الدقة والإتقان".

(فقرة ٨٠)

"مادامت هناك حاجة إلى ضمان الفوز **بالسكينة** "*atarachon*" **والسعادة** "*makarion*". وبناء على ذلك فعندما ننبرى للبحث فى أسباب الظواهر السماوية والجوية -مثلما هى الحال بالنسبة إلى كل ما هو مجهول -فحرى بنا أن نمعن النظر فى تنوع الطرائق التى تحدث من خلالها الأحداث المماثلة فى نطاق خبرتنا. فى حين أنه بالنسبة إلى أولئك الذين لا يعترفون بالفرق أو بالاختلاف، بين ما هو كائن موجود أو ما يظهر من علة واحدة، وبين ما يمكن أن يكون موجودًا نتيجة لتأثير أى علة من العلل الكثيرة، والذين يتجاهلون الحقيقة القائلة بأن الموضوعات لا ترى إلا **من بعد** أو **من مسافة** "*ek apostêmatôn*"، والذين يجهلون كذلك الشروط التى تجعل أو لا تجعل سلام النفس أو اضطرابها أمرًا مستحيلاً – فإن أولئك جميعًا يجب علينا أن نعاملهم بازدراء. ولو حدث أننا اعتقدنا أن حادثة ما يمكن أن تحدث بهذه الطريقة الخاصة أو تلك من بين طرائق متعددة، فإننا حينئذ سوف ننعم بالسكينة إذا أقررنا أن هذه الحادثة تحدث بالفعل بطرائق متعددة وبأكثر من طريقة، كما لو كنا قد عرفنا أنها تحدث وفقًا لهذه الطريقة الخاصة بعينها".

(فقرة ٨١)

"ثم لدينا من بعد ذلك نقطة واحدة لا بد من وضعها فى الاعتبار، وهى أن أشد قدر من **القلق** "*tarachos*" يحدث للنفوس البشرية؛ إنما ينشأ من خلال

الاعتقاد أن الأجرام السماوية **كائنات مباركة** "*makaria*" **غير قابلة للفناء** "*aphtharta*"، وأنها تحظى في الوقت نفسه **باختيارات** "*boulêseis*" **وأفعال** "*praxeis*" **وأسباب** "*aitiai*" **متعارضة** "*hypenantiai*" مع هذا الاعتقاد. كما أنه (أى القلق) ينشأ من خلال **توقعنا** "*prosdokan*" أو **تخوفنا** "*hypopteuein*" من **شر دائم** "*deinon aiônion*" على نحو ما – إما بسبب **الأساطير** "*mythoi*" وإما بسبب خوفنا من **عدم الإحساس** "*anaisthêsia*" في حالة الموت – كما لو كان ذلك هو الذى يفعله بنا. ونحن نرتد إلى مثل هذه الحالة لا عن طريق الاقتناع، بل عن طريق نوع من الانحراف اللا عقلانى، لدرجة أن الناس إذا لم يضعوا حدودًا **لرعبهم** "*deinon*" فسوف يعانون من **اضطراب** "*tarachê*" كثيف على نحو أكثر قدرًا من الشخص الذى تكون آراؤه في مثل هذه الأمور **بالغة الغموض** "*eikaiôs*".

(فقرة ٨٢)

"غير أن **السكينة النفسية** "*ataraxia*" تعنى **التحرر** "*apolelysthai*" من جميع هذه الاضطرابات والحفاظ على **التذكر الدائم** "*synechês mnêmê*" للحقائق الرئيسية كافة".

"ومن هنا فإن علينا أن نوجه عنايتنا إلى المشاعر الحاضرة وإلى الإدراكات الحسية، سواء كانت تتعلق بالجنس البشرى بصفة عامة أو تخص الأفراد من حيث هم أفراد، وأن ننتبه كذلك إلى **الشهادة الواضحة** "*enargeia*" المتاحة بأسرها التى يقدمها كل معيار من معايير الحقيقة. ذلك أننا عن طريق الاهتمام بها ودراستها سوف نتطرق **عن حق** "*orthôs*" إلى أسبابها، ونستبعد مصدر الاضطراب والخوف المسئول عن الظواهر

السماوية، وعن سائر الأشياء الأخرى التى تحل بنا من وقت إلى آخر وتسبب الخوف **الأقصى** "*eschatôs*" لباقى أفراد الجنس البشرى.

تلك هى، يا (عزيزى) **هيرودوتوس**، النظريات الرئيسية للفيزيقا باختصار بالغ جدًا".

(فقرة ٨٣)

"ومن ثم فإنه إذا ما تمكن المرء من فهم هذه الإفادة فهمًا دقيقًا ووعى نتيجتها وأثرها، فليس هناك فى تصورى شك فى أنه سيكون أفضل بكثير من بقية رفاقه، حتى لو لم يتطرق إلى جميع التفاصيل الدقيقة؛ وذلك لأنه سوف يوضح لنفسه كثيرًا من النقاط التى عالجتها بالتفصيل فى أعمالى الكاملة، فضلاً عن أن الموجز الذى انطبع فى ذهنه سوف يكون ذا فائدة جمة له".

"وينطبق الأمر بحذافيره إلى حد ما على أولئك الذين يعرفون التفاصيل الجزئية معرفة كافية أو معرفة كاملة، حيث إن بوسعهم- عن طريق تحليل ما يعرفون إلى مدركات أولية كهذه – أن يواصلوا أبحاثهم فى علم الفيزيقا بأسره. فى حين أن هؤلاء الذين لا يستحقون على الإطلاق أن يدرجوا فى مرتبة طلاب العلم الناضجين يمكنهم- **بطريقة صامتة** "*aneu phthongôn tropos*" وبسرعة كالتى ينطلق بها الفكر– أن يتصفحوا النظريات الرئيسية الأكثر أهمية **لسكينة** "*galênismos*" أذهانهم".

كانت تلك هى رسالة **إبيقوروس** عن علم الفيزيقا، أما رسالته المتعلقة بالظواهر السماوية والجوية فهى على النحو التالى:

(فقرة ٨٤)

"من **إبيقوروس** إلى **بيثوكليس** "*Pythoklês*"، تحية وسلامًا".

في رسالتك التي حملها إلى **كليون** واصلت الإعراب عن مشاعر المحبة التي تكنها لي والتي أُعَدُّ، أنا، جديرًا بها في مقابل ما أكنه لك من ود. ولقد حَاولْتَ – وأتصور أنك نجحت في ذلك – أن تسترجع الاعتبارات التي كنت أذكرها من أجل الحياة السعيدة. ولقد طلبت مني أن أبعث إليك وصفًا موجزًا عن **الظواهر السماوية** "*ta meteôra*" يكون من السهل عليك حفظه، وذلك لأن ما قمت بكتابته عن هذا الموضوع في مؤلفات أخرى – على حد قولك – يصعب عليك تذكره، على الرغم من أنك تحمل معك مؤلفاتي باستمرار. ولقد كان من دواعي اغتباطي أن أتلقى طلبك؛ وإني مفعم لهذا السبب بمشاعر وآمال كبيرة".

(فقرة ٨٥)

"وبناء على ذلك فها أنذا أدون لك كل ما تبقي وأحقق لك كل ما طلبت، ولسوف يجد فيها كثيرون غيرك براهين عقلية ذات فائدة، لاسيما بالنسبة إلى أولئك الذين لم يتعرفوا إلا **حديثًا** "*neôsti*" على تفاصيل الفيزيقا الحقيقية، وكذا بالنسبة إلى أولئك الذين لديهم **اهتمامات** "*ascholiai*" أكثر عمقًا من مجرد التعليم الموسوعي المألوف(١). لذلك فإنك تحسن صنعًا لو أنك تعلمتها واستوعبتها في ذاكرتك بسرعة جنبًا إلى جنب مع الملخص القصير الذي دونته في رسالتي إلى هيرودوتوس"(٢).

---

(١) التعليم الموسوعي أو الدائري "*enkyklios paideia*" هو تعليم راج خلال العصر الهيلّنستي، وكان يشتمل على منهج للمقررات العلمية مكون من: الحساب، الهندسة، الفلك والموسيقى، ومنهج آخر للمواد الأدبية مكون من: النحو، الريطوريقا والديالكتيكا (الجدل الفلسفي). [المراجع]

(٢) ويدل هذا على أن الموجز الذي وصفه **إبيقوروس** لتعالم الفيزيقا والظواهر الجوية والأخلاق في الرسائل الثلاث التي أوردها **ديوجينيس لائيرتيوس** كان موجزًا وافيًا معتمدًا منه هو نفسه. قارن أيضا الفقرة رقم ١٣٥ أدناه. [المراجع]

"واعلَمْ بادئ ذى بدء أن معرفة الظواهر السماوية – مثلها فى ذلك مثل أى شىء آخر – سواء تناولتها بمفردها أو ضمن أشياء أخرى، ليست لها غاية "*telos*" أخرى سوى **سكينة النفس** "*ataraxia*"، وسوى **الإيمان الراسخ** "*pistis bebaios*"(١).

(فقرة ٨٦)

"فلسنا نسعى إلى أن نسلب بالقوة ما يستحيل الحصول عليه، ولا إلى فهم جميع الأمور فهمًا جيدًا على حد سواء، ولا إلى جعل تناولنا دائمًا واضحًا على غرار مناقشتنا للحياة الإنسانية أو على غرار تفسيرنا لمسائل علم الفيزيقا؛ ومنها على سبيل المثال أن الوجود كله يتألف من أجسام ومن جوهر **غير محسوس** "*anaphês*"، أو أن العناصر النهائية للأشياء **لا تنقسم** "*atoma*"، أو سائر القضايا المماثلة التى تسمح بتفسير واحد لا سواه يكون ممكنًا للظواهر. ولكن هذه ليست هى الحال مع الظواهر السماوية، فهذه الظواهر – على أى حال – تسمح بوجود **أسباب متعددة** "*pleonachê*" لحدوثها كما تسمح بوجود تفسيرات متعددة لنشوئها، ولا يتناقض أى تفسير منها مع **جوهر** "*ousia*" الإحساس بها".

(فقرة ٨٧)

"لأننا ينبغى فى دراستنا للطبيعة ألا نعول على **افتراضات** "*axiômata*" **واهية** "*kena*" وقوانين تعسفية، بل علينا أن نتبع ما تحدده وتوحى به الوقائع،

---

(١) عَرَّف الإبيقوريون الفلسفة على أنها: "نشاط يضمن الحياة السعيدة عن طريق الألفاظ ومن خلال البراهين والحجج". قارن: **سيكستوس إمبيريكوس**، ضد علماء الرياضيات، الجزء الحادى عشر، فقرة ١٦٩؛ شذرات **إبيقوروس** التى نشرها الأستاذ **أوسنير** "Usener"، شذرة رقم ٢٢٢. [المراجع]

وذلك لأن حياتنا الآن لا تحتاج إلى آراء غير عقلانية زائفة، بل هى بحاجة إلى **وجود حى** "*zên*" بغير **اضطراب** "*athorybôs*". فجميع الأشياء تواصل مسيرتها **بلا انقطاع** "*aseistôs*"، لو أن جميع الظواهر فسرت عن طريق المنهج القائل **بتعددية** "*pleonachôs*" الأسباب المتطابقة مع الوقائع، بمجرد فهم المرء بإتقان لما يبدو **ظاهريًا مقبولاً** "*pithanologoumenon*" بخصوصها. ولكن عندما ننتقى أو نختار رأيًا ونرفض رأيًا آخر من بينها على الرغم من اتفاق كليهما مع الظواهر، فمن الواضح أننا نكون بهذا قد انصرفنا عن دراسة الطبيعة بصورة كلية وسقطنا فى حبائل **الأسطورة** "*mythos*". فبعض **الظواهر** "*sêmeia*" التى تقع فى نطاق خبرتنا تقدم لنا شهادة نستطيع بواسطتها تفسير ما يحدث فى السموات. أما هذه الظواهر التى سبق ذكرها فنحن نشاهد حقًا حدوثها، ولكننا لا نشاهد كيفية حدوث **الظواهر السماوية** "*meteôra*"، نظرًا لأن حدوثها يمكن أن يرجع إلى طائفة متعددة من الأسباب".

(فقرة ٨٨)

"ومع هذا فلا بد لنا من ملاحظة كل واقعة على نحو ما تظهر لنا عليه، وأن نفصل عنها– فضلاً عن ذلك – جميع الوقائع التى حدثت معها، حيث إن حدوثها لأسباب متعددة لا يتناقض مع الوقائع التى تحدث فى نطاق خبرتنا".

"**فالعالم** "*kosmos*" جزء محدد من **الكون** "*ouranos*" الذى يشتمل على **النجوم** "*astra*" **والأرض** "*gê*" وسائر الأشياء المرئية الأخرى. ولقد **انفصل** "*apotomê*" هذا العالم عن اللا متناهى ثم **تحدد** "*lêgousa*"، [أعنى أنه تحدد بحدود قد تكون **رقيقة** "*araion*" أو **سميكة** "*pyknon*"، حدود سوف يؤدى انحلالها وتفككها إلى انهيار كل ما بداخلها] داخل طبقة خارجية، سواء ذات

حركة دائرية "*en periagomenô*" أو ذات **حركة ساكنة** "*stasis*"، وأصبح **كروى الشكل** "*strongylê*" أو **مثلثًا** "*trigônon*" أو بأى صفة أو شكل آخر، فجميع هذه البدائل ممكنة، لأنها لا تتناقض مع أى من وقائع هذا العالم الذى لا يمكن رؤية **نهاية** "*lêgon*" له فى أى مكان".

(فقرة ٨٩)

"ومن الممكن إدراك أن هناك عددًا لا متناه من هذه العوالم وأمثالها، كما أنه يمكن لعالم ما **أن ينشأ** "*genesthai*" داخل عالم آخر أو **بين العوالم المتداخلة** "*metakosmios = L. intermundia*"، وأنا أعنى بهذا اللفظ **المسافة** "*diastêma*" الموجودة بين العوالم داخل **مكان** "*topos*" قوامه **خلاء كبير** "*polykenos*"، ولكن ليس – كما يزعم بعض – فى مكان شاسع **صاف** "*eilikrinês*" تمامًا وخالٍ[1]. وينشأ هذا العالم عندما تندفع طائفة من **البذور** "*spermata*" الملائمة من أحد العوالم أو من مكان خال بين العوالم أو من عوالم **متعددة** "*pleiones*"، وبعد أن يتعرض **لإضافات** "*prostheseis*" ذات قدر محدود أو لمحاور **مفصلية** "*diarthrôseis*" **وتغييرات** "*metastaseis*" تحدث له من موضع آخر، **ولفيوض من المياه** "*epardeuseis*" مقبلة من منابع مناسبة، إلى أن يقيض لها النضج والرسوخ والاستقرار، على قدر ما تسمح الأسس لبقائها وتدعيمها واستقبالها عند تزايد نموها".

---

(١) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الأول، بيت رقم ٣٣٤: "*locus intactus inane vacansque*" ومعناه: "مكان صاف وخال وأجوف". وقارن أيضًا: الجزء التاسع، فقرة ٣١ أعلاه، حيث وردت وجهة نظر **ليوقيبوس** "Leukippos" التى يرفضها **إبيقوروس** هنا. [المراجع]

(فقرة ٩٠)

"ذلك أنه لا يكفى وجود **تراكم** "*athroismos*" أو وجود **دوامة** "*dinos*" فى الخلاء، كى ينشأ منها على الأرجح عالم- كما يزعم واحد من هؤلاء الذين نلقبهم **بالفلاسفة الطبيعيين** "*physikos*"[١] – وكى يقدر له **أن ينمو** "*auxesthai*" **بالضرورة** "*kat'anankês*" إلى أن يصطدم بعالم آخر، لأن ذلك أمر يتعارض مع الوقائع. ثم إن **الشمس** "*hêlios*" **والقمر** "*selênê*" وباقى **النجوم** "*astra*" لم تنشأ بذاتها من أصل مستقل، ثم انضمت بعد ذلك فى عالمنا [فمثل هذه الأجزاء تقوم على الأقل بالحفاظ عليه]، فالواقع أنها وجدت معه منذ البدء وبدأت تتخذ شكلها، وتنمو [ويصدق الأمر نفسه على الأرض والبحر[٢]] عن طريق **التصادمات** "*proskriseis*" **والدوامات** "*dinêseis*" الخاصة، بمواد ذات جوهر بالغ الرقة والتى لها **طبيعة الريح** "*pneumatika*" أو **طبيعة النار** "*pyroeidê*" أو تجمع بينهما معًا، لأن هذا هو ما يوحى به الإحساس ذاته".

(فقرة ٩١)

"أما **حجم** "*megethos*" الشمس وباقى النجوم؛ فهو بالنسبة إلينا ضخم تمامًا كما يبدو لنا[٣] [وهذا هو ما يقرره بالفعل فى الجزء الحادى عشر من

---

(١) والمقصود به هنا الفيلسوف **ديموقريطوس**. (المترجم)

(٢) من الواضح أن هذه الجملة الموضوعة بين قوسين مربعين حاشية تفسيرية، وذلك لأن الأرض والبحر مكونان من ذرات أقل رقة من ذرات الأجرام السماوية. (المترجم)

(٣) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الخامس، أبيات ٥٦٤ – ٥٩١؛ **فيلوديموس**، عن الظواهر أو العلامات "*Peri sêmeiôn*"، الفصل العاشر، فقرة رقم ٣٥، والفصل الحادى عشر، فقرة رقم ٨؛ **شيشرون**، تعاليم الأكاديمية الأولى "*Academica Priora*"، فصل رقم ٨٢، فقرة رقم ١٢٣؛ **شيشرون**، عن غايات الأخيار والأشرار "*De Finibus Bonorum et Malorum*"، الجزء الأول، فصل رقم ٢٠. [المراجع]

كتابه "عن الفيزيقا"، حيث يقول: لأنه لو تضاءل حجمها بناء على بعد المسافة لخفت بريقها وتضاءل أكثر؛ ففى الحق إنه لا توجد مسافة أكثر تناسبًا مع ضآلة الحجم هذه من المسافة التى يبدأ بريقها عندها فى التضاؤل]. ولكنها فى حقيقة الأمر قد تبدو فى ذاتها للناظر إليها **أكبر حجمًا** "*meizon*" أو **أصغر حجمًا** "*elatton*" **بقليل** "*mikrô*"، أو فى الحجم نفسه الذى تتراءى به أمام أبصارنا. وينطبق الأمر ذاته أيضًا على **النيران** "*pyra*" التى نراها بحواسنا، انطلاقًا من خبرتنا بها عند رؤيتها **من بعد** "*ex apostêmatos*". وأى اعتراض يثار ضد هذا الجزء من النظرية يمكن دحضه **بسهولة ويسر** "*rhadiôs*"، لو انتبه المرء إلى **شواهد واضحة** "*enargêmata*"، على نحو ما أوضحت فى مؤلفى الذى يحمل عنوان "**عن الفيزيقا**".

(فقرة ٩٢)

"وأما **شروق** "*anatolai*" الشمس والقمر وبقية النجوم وأفولهما "*dyseis*"، فيمكن أن نعزوه إلى **اشتعالها** "*kata anapsin*" وإلى **انطفائها** "*sbesis*"[(١)]، شريطة أن تتحقق ظروف معينة تؤدى إلى حدوث ذلك فى كل جهة من الجهتين (أى الشرق والغرب)، وليس ثمة واقعة تشهد بغير ذلك. ويمكن حدوث هذه النتيجة من بزوغ هذه الأجرام السابق ذكرها فوق الأرض، وكذا من خلال تسبب الأرض فى أفولها واحتجابها، وليس ثمة واقعة تشهد بغير ذلك أيضًا".

---

(١) وهذا هو رأى كل من هيراقليطوس واكسينوفانيس وميترودوروس من جزيرة خيوس، ولكن سيرفيوس ينسب هذه النظرية إلى الفلاسفة الإبيقوريين. [المراجع]

"ومن المحتمل أن حركات[١] هذه الأجرام تنتج عن دوران السماء ككل، أو قد تكون السماء ساكنة والأجرام وحدها هي التي تدور، طبقا لدافع ضروري جعلها توجد وانغرس فيها منذ البدء عندما تم خلق العالم......" [٢].

(فقرة ٩٣)

"وقد يرجع سبب ذلك إلى **الحرارة** "*thermasia*" **المفرطة** "{*sphodro*}*tatê*"[٣]، التي تعزى إلى انتشار النار التي تلتهم دائمًا ما هو قريب منها[٤]. وأما **انقلابات** "*tropai*" الشمس (أي الانقلابات التي تحدد موعد بدء الفصول الأربعة) والقمر في مسار كل منهما؛ فقد تعزى إلى **ميل** "*loxôsis*" السماء الذي يحدث بالضرورة في مثل هذه الأوقات[٥]. ومن ناحية أخرى فقد تُعْزَى هذه الانقلابات بالمثل إلى **الضغط المعاكس للهواء** "*kata aeros antexôsin*"، أو قد تعزى إلى أن **مادة الوقود** "*hylê*" قد استهلكت ما بين الحين والحين في المنطقة المجاورة، أو إلى أن هناك ندرة في هذا الوقود، أو بسبب أن **الدوامة** "*dine*" كانت منذ البداية متأصلة في هذه النجوم وملازمة لها لدرجة أنها تتحرك **على نحو حلزوني** "*tin' helika*".

(١) قارن: لوكريتيوس، عن طبائع الموجودات، الجزء الخامس، البيت رقم ٥٠٩ وما يليه. [المراجع]

(٢) هنا جزء مفقود من المخطوط لا نعرف قدر حجمه. [المراجع]

(٣) الحروف الموضوعة داخل هذا النوع من الأقواس { } أضافها ناشر المخطوطة لأنها كانت ضائعة أو مفقودة. [المراجع]

(٤) عرفنا من قصيدة لوكريتيوس (عن طبائع الموجودات، الجزء الخامس، بيت رقم ٥١٩ وما يليه) أنه ربما كانت هذه العبارات قد فقدت من مخطوطة النص، التي عزت هذه الحركات إلى بحث الأجرام السماوية عن الذرات المشتعلة. [المراجع]

(٥) قارن: لوكريتيوس، عن طبائع الموجودات، الجزء الخامس، بيت رقم ٦١٤ وما بعده. [المراحع]

"وذلك لأن جميع هذه التفسيرات وأمثالها لا تتعارض مع أى شهادة واضحة، لو أن المرء- فيما يتعلق بأمثال هذه التفصيلات - تمسك بقوة بما هو ممكن أو بما هو محتمل، ولو أنه تمكن من جعل كل تفسير من هذه التفسيرات يتفق أو يتسق مع الوقائع، دون أن يهاب حيل **المنجمين** "*astrologoi*" **وألاعيبهم** "*techniteiai*" **المراوغة** "*andrapodôdeis*"[1].

(فقرة ٩٤)

"وأما بالنسبة إلى دخول القمر فى **طور المحاق** "*kenosis*" وكذا نموه حتى يصير **بدرًا مكتملاً** "*plêrôsis*"[2]، فقد يعزى هذا إلى **دوران** "*strophe*" جسم القمر أو بالمثل إلى **الهيئة** "*schêmatismos*" التى يكون عليها الهواء؛ وقد يرجع ذلك إلى **توسط أجسام** كثيفة "*kat' emprosthetêseis*". وباختصار فإن ذلك الأمر يمكن أن يحدث بطرق شتى حيث توحى الوقائع التى تقع فى نطاق خبرتنا بأن مثل هذا المظهر يمكن تفسيره. لكن ينبغى على المرء ألا يقع فى إسار رغبة ملحة تحدو به إلى الظفر بتفسير **أحادى** "*monachês*" لا سواه، وإلى رفض جميع التفسيرات الأخرى جهلاً منه بما يمكن حدوثه وبما لا يمكن حدوثه فى نطاق المعرفة البشرية، فيكون من نتيجة ذلك التشوق إلى اكتشاف ما يستحيل اكتشافه. وفضلاً عن ذلك فإن القمر ربما يستمد **نوره** "*phôs*" من ذاته أو ربما من الشمس".

---

(١) كلمة "*andrapodôdeis*" كانت تستعمل كصفة لسلوك العبيد الخانع أو المراوغ، ومن هنا استعارها الفيلسوف **إبيقوروس** ليصمَ بها آراء من دعاهم بالمنجمين الذين هم أبعد ما يكونون عن العلم الحقيقي. [المراجع]

(٢) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء الخامس، أبيات ٧٠٥ - ٧٥٠. [المراجع]

(فقرة ٩٥)

"وذلك لأننا من واقع خبرتنا نرى أجرامًا كثيرة تشع نورها من ذاتها، وأجرامًا أخرى كثيرة تشع نورًا مستمدًا من سواها، ولا توجد ظاهرة من الظواهر السماوية تتناقض مع تلك الحقيقة، لاسيما إذا ما وضع المرء في ذهنه دائمًا أن هناك **طرائق متعددة** "*pleonachos tropos*" للتفسير، وأن هناك بالمثل **افتراضات** "*hypotheseis*" **وأسبابًا** "*aitai*" كثيرة تتسم بالاتساق، بدلاً من أن يصر على ما هو عليه من تناقض ويضفي عليه أهمية **زائفة** "*mataiôs*"، حيث يقع بطريقة أو **بأخرى** "*allôs*" في إسار ضرب من ضروب التفسير الأحادي. وأما **الشكل** "*emphasis*" الشبيه **بالوجه** "*prosôpon*" الذي نرى به القمر، فقد يعزى إلى **التبادل** "*parallagê*" الذي يطرأ على أجزائه، أو إلى **توسط جسم كثيف** "*epiprosthetêsis*"، أو إلى أي **طرائق** "*tropoi*" أخرى قد نرى أنها تتوافق مع الوقائع".

(فقرة ٩٦)

"وذلك لأنه فيما يتعلق بجميع الظواهر السماوية لا ينبغي لنا التخلي عن مثل هذا **البحث والاستقصاء** "*ichneusis*"، فلو أن المرء ناضل من أجل الظفر بالشهادات الواضحة فإنه لن يتمكن أبدًا من الحصول على **طمأنينة النفس** "*ataraxia*" الحقيقية. وأما **كسوف الشمس وخسوف** "*ekleipseis*" القمر فهما قد يعزيان إلى **انطفاء** "*sbesis*" نوريهما، وذلك على نحو ما يمكن أن نلاحظه في نطاق خبرتنا؛ أو أنهما قد يعزيان إلى توسط جسم كثيف آخر، سواء كان الأرض أو جسمًا آخر شبيهًا بها ولكنه **غير مرئي** "*aoraton*".

"وهكذا فحري بنا أن نضع في اعتبارنا التفسيرات التي يتفق أحدهما مع الآخر، وأن نتذكر أن وقوع أحداث "*synkyrêseis*" بعينها في الوقت نفسه

ليس أمرًا مستحيلاً. [ولقد قال هذه الأفكار ذاتها فى الجزء الثانى عشر من كتابه "**عن الفيزيقا**"، ثم أضاف إلى ذلك أن الشمس يحدث لها **كسوف** "*ekleipein*" عندما يلقى القمر **بظله عليها** "*episkotousê*"، وأن القمر يحدث له خسوف عن طريق **ظل** "*skiasma*" الأرض. ومن ناحية أخرى فإن الكسوف قد يحدث بسبب **انحسار القمر** "*anachôrêsis*".

(فقرة ٩٧)

"ولقد ذكر **ديوجينيس الإبيقورى** هذا فى الجزء الأول من كتابه المسمى **المقتطفات** "*Epilekta*". وعلاوة على ذلك فإن لنا أن نفسر **انتظام** "*taxis*" **دوران** "*periodos*" هذين الكوكبين فى فلكيهما بالطريقة نفسها، على نحو ما تحدث بعض الظواهر المألوفة التى تقع فى نطاق خبرتنا. وحرى بنا ألا نقحم **الطبيعة الإلهية** "*theia physis*" فى تفسير ذلك **تحت** أى **ظرف من الظروف** "*mêdamê*"، وأن نبقيها حرة **بعيدة عن أى مهمة** "*aleitourgêtos*" مفسدة **لسعادتها** "*makariôtês*" الكاملة. فنحن إذا لم نفعل ذلك فإن دراستنا كلها للظواهر السماوية ستكون **عبثًا لا طائل من ورائه** "*mataia*"، كما سبق بالفعل أن برهنا على حدوث ذلك فى حالة بعض الأشخاص الذين لم يتيسر لهم وضع أيديهم على المنهج الممكن، ولكنهم انزلقوا إلى **حماقة** "*mataion*" جعلتهم يفترضون أن هذه الأحداث تقع بطريقة واحدة لا سواها، وحدت بهم إلى استبعاد جميع التفسيرات الأخرى الممكنة. وكان من نتيجة ذلك أنهم قسروا أنفسهم قسرًا على عناء ولوج عالم لا يمكن فهمه، فغدوا عاجزين عن اكتساب وجهة نظر شاملة عن الوقائع التى لا بد من اعتبارها **مفاتيح هادية** "*sêmeia*" لبقية الظواهر".

(فقرة ٩٨)

"وربما يرجع **اختلاف** "*parallattonta*" **طول** "*mêkê*" الليل والنهار إلى **سرعة** "*tacheia*" حركة الشمس، وأيضًا إلى **بطء** "*bradeia*" حركتها في السماء فوق الأرض، وذلك نظرًا للاختلافات فى طول المسافات التى تقطعها الشمس عبر فضاءات متفاوتة المساحة، ونظرًا لعبورها هذه الفضاءات **بسرعة أكبر** "*tachyon*" أو **أبطأ** "*bradyteron*"، على نحو ما يحدث أحيانًا فى نطاق خبرتنا؛ ولا بد أن يتفق تفسيرنا للظواهر السماوية مع هذه الوقائع. فى حين أن أولئك الذين يعتنقون تفسيرًا واحدًا لا سواه إنما يناضلون عبثًا ضد الوقائع، وينزلقون إلى الخطأ الصراح بالنسبة إلى الطريقة التى يمكن بها للإنسان أن يحصل على المعرفة".

"وأما **العلامات** "*episêmasiai*" الموجودة فى السماء والتى يمكن للمرء أن يستدل منها على (تنبؤات الطقس)، فقد تعزى إلى **محض اتفاق** "*kata synkyrêseis*" بين **الفصول** "*kairoi*"، كما هى الحال فى **العلامات** أو **الإشارات** "*emphaneseis*" بين **الحيوانات** "*zôa*" التى تعيش بين ظهرانينا على الأرض، أو ربما تعزى إلى **التبدلات** "*heteroiôseis*" أو إلى **التغييرات** "*metabolai*" التى تحدث فى الهواء. ذلك أن أيًا من هذين التفسيرين لا يتناقض مع الوقائع، وليس من السهل أن نعرف فى أى حالة من الحالات تعود النتيجة إلى هذا السبب أو ذاك".

(فقرة ٩٩)

"وأما **السحب** "*nephelai*" فقد **تتكون وتتراكم** "*synistasthai*" إما بفعل **تكاثف الهواء** "*pilêseis aeros*" تحت **ضغط** "*synôsis*" **الرياح** "*pneumata*"، وإما عن طريق **تشابك** "*periplokai*" الذرات **مع بعضها بعض** "*allelôuchai*"

حيث تكون مناسبة لإحداث هذه النتيجة من التداخل والتشابك، أو بسبب تكاثف التبخرات **والتيارات** "*rheumata*" الصادرة عن الأرض **والمياه** "*hydata*". وهناك طرائق متعددة أخرى ليس من المستحيل فيها أن تتجمع كتل هذه الأجسام وأمثالها لتشكل قوام السحب. ومن الممكن أن تنتج عن هذه السحب **أمطار** "*hydata*"، إما بسبب الضغط المتزايد وإما بسبب ما يطرأ عليها من تغييرات".

(فقرة ١٠٠)

"وربما تحدث هذه الأمطار بسبب **نفثات** "*rheumata*" من الرطوبة المتصاعدة[١] من مناطق مناسبة عبر الهواء، بينما يرجع **طوفان المطر الأشد عنفًا** "*biaiotera epardeusis*" إلى تراكمات معينة مناسبة لمثل هذا **الانهمار** "*ekpempseis*". وأما **الرعود** "*brontai*" فقد تعزى إلى دوران الرياح داخل **الأماكن المجوفة** "*koilômata*" في السحب، على غرار ما يحدث داخل **الأوعية** "*angeia*" التي نستخدمها؛ أو قد تُعزى إلى **الدوي الهائل** "*bombos*" الذي يحدث داخل السحب **بسبب النار المستعرة** "*para pyros pepneumatômenou*"[٢]، أو ربما تعزى إلى **تمزق** "*rhêxeis*" السحب **وتهتكها** "*diastaseis*"، أو قد تعود إلى **احتكاك** "*paratripseis*" السحب وانشطارها بعد تحولها إلى **مادة صلبة** "*pêxis*" **شبيهة بالجليد** "*krystalloeidê*" أو الثلج. وكما هي الحال في هذا البحث بأسره، فإن الوقائع في هذه النقطة الجزئية تتطلب إيجاد **مجموعة كبيرة** "*pleonachôs*" من التفسيرات".

---

(١) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء السادس، بيت رقم ٥١٩. [المراجع]
(٢) قارن: **لوكريتيوس**، عن طبائع الموجودات، الجزء السادس، أبيات ٢٧١ – ٢٨٤. [المراجع]

(فقرة ١٠١)

"وأما **البروق** "*asrtrapai*" فهى تحدث بدورها بطرائق متعددة، وذلك لأنه عند **احتكاك** "*paratripsis*" السحب **واصطدامها** "*synkrousis*"، فإن تجمع الذرات وتشكلها الذى هو السبب فى تولد النار هو المسئول عن إحداث البرق. وربما يعزى ذلك إلى **الوميض** "*ekripismos*" المنبعث من السحب بسبب الرياح وبسبب **الجزئيات** "*sômata*" المصاحبة لها والقادرة على إحداث هذا **البريق** "*lampêdôn*"، وقد يعزى إلى **ضغط** "*ekpiasmos*" السحب على بعضها عند **احتكاكها** "*thlipsis*" بعضها مع بعض آخر وتكاثفها، سواء بفعل صادر منها أو بفعل الرياح. ومن ناحية أخرى فإن **الضوء** "*phôs*" المنبعث من النجوم قد ينحبس داخل السحب، ثم من بعد ذلك يندفع عن طريق حركة السحب وحركة الرياح إلى أن يقدر له **الانفلات** "*diekpipton*" من ربقة هذه السحب، أو ربما يعود ذلك إلى قيام السحب بتصفية الضوء المنبعث من النسيج بالغ الرقة [وهى التصفية التى تشتعل على أثرها السحب وتستعر فيها النار فتحدث الرعود]، فتحدث حركة هذا الضوء (البرق). أو ربما يعزى ذلك إلى **الاحتراق الشامل** "*ekpyrôsis*" الذى تحدثه الرياح بفعل عنف حركتها والكثافة البالغة **لانضغاطها** "*kateilêsis*".

(فقرة ١٠٢)

"أو ربما يعزى ذلك إلى أنه عند تمزق السحب إربًا بفعل الرياح، فإن الذرات التى تولد النار **يطاح بها بعيدًا** "*ekptôsis*"، وهذه بدورها تتسبب فى **ظهور** "*phantasma*" البرق. ومن اليسير أن نرى أن حدوث البرق يمكن أن يتم بطرائق أخرى كثيرة، مادمنا نتمسك دومًا بالوقائع ونشكل وجهة نظر محتملة ومماثلة لها. والبرق يسبق الرعد عندما تتشكل السحب على النحو

السابق ذكره، وعندما يطاح بالشكل الذى يحدث البرق فى اللحظة ذاتها التى تسقط فيها الرياح على الغمام؛ وعند **دوران** "*aneiloumenon*" الرياح بعد ذلك فإنها تنتج **دوى** "*bombos*" الرعد. أما إذا حدث البرق متزامنًا مع الرعد، فإن البرق يتحرك صوبنا **بسرعة** "*tachos*" أكبر من الرعد الذى **يتأخر** "*hysterein*" حدوثه".

(فقرة ١٠٣)

"تمامًا مثل الأشخاص الذين يكيلون **الضربات** "*plêgai*" لبعضهم عندما نراهم **من بعد** "*ex apostêmatos*"(١). وأما **الصواعق** "*keraunoi*" فتحدث عند تجمع الرياح بصورة متكررة، وعند **انضغاطها** "*kateilêsis*" واحتراقها الشامل العنيف، أو ربما تعزى إلى تمزق جزء منها إربًا والإطاحة به بعنف أشد نحو المناطق السفلية. ويحدث هذا التمزق أو التهتك بسبب أن انضغاط السحب يجعل المناطق المجاورة أشد كثافة؛ أو ربما يرجع سبب الصاعقة – مثله فى ذلك مثل سبب الرعد – إلى الإطاحة بعيدًا بالنار التى انضغطت وانحبست. وعندما تتكتل هذه النار وتتكاثف فإنها تصبح أشد لهبًا بفعل الرياح فتؤدى إلى تمزق السحب، وتغدو عاجزة عن **التقهقر** "*hypochôrein*" إلى المناطق المجاورة لأنها تكون مضغوطة دومًا مع بعضها على نحو أشد. [على الأرجح بسبب **جبل شاهق** "*oros hypsêlon*" حيث تسقط الصواعق فى الغالب الأعم"].

(فقرة ١٠٤)

"وهناك طرائق أخرى متعددة من الممكن أن تحدث بها الصواعق؛ والشرط الوحيد فى هذا الصدد هو استبعاد **الأسطورة** "*mythos*"؛ ولسوف يتم

(١) ولقد لاحظ أحد الباحثين أنه عند رؤيتنا من بعد لضربات المطرقة وهى تنهال على كتلة من الحديد؛ فإنه يمر جزء ضئيل من الوقت بين رؤيتنا لها وبين سماع صوت ارتطامها بالحديد. من تعليقات الترجمة الإنجليزية، ص ٦٣١. (المترجم)

استبعاد الأسطورة لو أن المرء وضع الحقائق نصب عينيه بطريقة مناسبة، واستنبط منها الاستدلالات التي تساعده في تفسير ما هو غامض مبهم. وأما **الأعاصير** "*prêstêres*" فتعزى إلى هبوط سحابة على شكل عمود، مدفوعة إلى المناطق السفلية بفعل ريح هوجاء عاتية ومحمولة بعاصفة دوارة، بينما تتيح الرياح الخارجية في الوقت نفسه لهذه السحابة **دفعة جانبية** *"eis to plagion ôthountos"*. وربما يعزى الإعصار أيضًا إلى تغير هبوب الرياح **وانحرافها** "*peristasis*" صوب **مركز الدائرة** "*eis kyklon*" مثل تيار من الهواء آت من أعلى يساعد في دفع هذه السحابة إلى الحركة، أو ربما يرجع ذلك إلى حدوث **دوامة** "*rhysis*" قوية من الهواء غدت عاجزة عن الانتشار جانبًا نظرًا لتكثف الهواء حولها".

(فقرة ١٠٥)

"وعندما يهبط هذا الإعصار إلى الأرض فإنه يحدث ما يسمى **بالزوابع** "*strobiloi*"، طبقًا للطرائق المختلفة التي أوجدتها بفعل قوة الريح وحركته؛ وعندما يهبط هذا الإعصار إلى البحر فإنه يسبب **الدوامات** "*dinoi*" المائية. وأما **الزلازل** "*seismoi*" فتعزى إلى الرياح المحبوسة في باطن الأرض وإلى تشتتها وتسربها بين الكتل الصغيرة من الأرض، وإلى حركتها المتواصلة التي تسبب **اهتزاز** "*kradansis*" الأرض ورجفتها. وهذه الرياح تدخل في باطن الأرض إما من خارجها وإما من انهيار **الطبقات الأرضية** "*edaphê*" على **المغارات الجوفية** "*antroeideis topoi*" الموجودة تحت الأرض، فيتحول الهواء المضغوط في هذه المغارات إلى رياح. أو ربما يعزى وقوع هذه الزلازل إلى **انتشار** "*diadosis*" الحركة الناجمة عن انهيار كتلة كبيرة من الطبقات الأرضية، وإلى كبح جماحها عند اصطدامها بكتل من الأرض أشد كثافة منها".

(فقرة ١٠٦)

"وهناك أسباب كثيرة أخرى يمكن أن تحدث بناء عليها تلك الهزات الأرضية. وأما **الرياح** "*pneumata*" فهى تحدث أو تهب من وقت لآخر عندما تشق **مادة غريبة** "*allophyliai*" طريقها بشكل متواصل وتدريجى فى الهواء، وكذلك بسبب تجمع كميات ضخمة من المياه؛ أما باقى أنواع الرياح فتحدث عندما **تتسرب** "*pesonta*" كمية قليلة من الهواء داخل **التجاويف الأرضية** "*koilômata*" الكثيرة، فيترتب على هذا تشتتها وتفرقها. وأما **البرد** "*chalaza*" فيحدث بسبب **التجمد** "*pêxis*" الشديد والتحول الكامل وما يتبع ذلك من تشتت، ثم سقوط على شكل قطرات لجزيئات معينة **تشبه الهواء** "*pneumatôdê*". وقد يرجع السبب فى حدوثه أيضًا إلى تجمد طفيف لجزيئات معينة أشبه ما تكون **بالرطوبة** "*hydatoeidê*"، وإلى تجاورها مع جزيئات معينة **شبيهة بالهواء** "*pneumatôdê*"، تجبرها قسرًا فى الوقت نفسه على **التكتل والتوحد** "*synôsis*"، وتؤدى بها إلى **الانفجار** "*diarêxis*"، ومن ثم تصبح **مجمدة** "*pêgnymena*" فيما يتعلق بأجزائها ومن حيث **كتلتها** "*athrootês*".

(فقرة ١٠٧)

"وليس من المستبعد أن يعود **الشكل الدائرى** "*periphereia*" لحبات البرد إلى **ذوبان** "*apotêkomena*" **أطرافها** "*akra*" من جميع الجوانب، وكذا إلى واقعة أن الجزيئات كما سبق القول- سواء كانت شبيهة بالرطوبة أو شبيهة بالهواء- تحيط بها **بانتظام** "*homalôs*" من جميع الجهات - ومن كل صوب وحدب عندما تتجمد".

"وأما **الثلج** "*chiôn*" فقد يعزى إلى نشوء مطر رقيق وانبعاثه بين السحب، وذلك بسبب كون **المسام** "*poroi*" فيها متماثلة، وكذا بسبب الضغط العنيف المتواصل للرياح على السحب التى تكون فى حالة ملائمة، ومن ثم فإن هذا المطر يتجمد وهو فى طريقه للهبوط، بسبب حدوث تغيير حاد إلى البرودة فى المناطق الواقعة أسفل السحب. أو ربما يرجع السبب فى حدوثه إلى تجمد فى السحب يؤدى إلى كثافة منتظمة، قد يحدث على أثرها انهمار الثلج من بين السحب، التى تحتوى على عناصر مائية تتكتل وتتجاور مع بعضها لدرجة الالتصاق. وعلى أثر ذلك فإن هذه السحب تنتج نوعًا من الضغط وتسبب انهمار البرد، ويحدث هذا عادة أثناء **فصل الربيع** "*ear*".

(فقرة ١٠٨)

"وعند حدوث احتكاك متبادل بين السحب المتجمدة فإن هذا يسبب وجود أكوام من الثلج قد تتم الإطاحة بها. وهناك طرائق أخرى كثيرة يمكن للثلج أن يحدث من خلالها. وأما **الندى** "*drosos*" فيتكون عندما تلتقى مثل هذه الجزيئات القادرة على إحداث هذا النوع من **الرطوبة** "*hygrasia*" وتتقابل مع بعضها فى الهواء؛ ومن ناحية أخرى فإن الندى ينتج على أثر تصاعد هذه الجزيئات (أى بخار الماء) إما من **المناطق الرطبة** "*noteroi topoi*" وإما **الزاخرة بالمياه** "*hydata*"، وهى تلك المناطق التى يتشكل فيها الندى على وجه الخصوص، ويلى ذلك اندماجها معًا كى توجد الرطوبة (التى تجعلها أثقل) فتهبط إلى المناطق السفلية، مثلما هى الحال فى كثير من الحالات التى نلاحظ حدوثها ونراها رؤى العين".

(فقرة ١٠٩)

"وأما **الصقيع** "*pachnê*" فيتكون بطريقة **لا تختلف** "*ou diapherontôs*" عن الطريقة التى يتكون بها الندى، وذلك عندما تصبح جزيئات معينة– لها طبيعة مماثلة للطبيعة السابقة– أكثر كثافة أو **تجمدًا** "*pêxis*" بسبب الهواء **البارد** "*psychros*" المحيط بها. أما **الجليد** "*krystallos*" فيتكون عن طريق **إقصاء** "*ekthlipsis*" الذرات المستديرة الشكل عن الماء، وعن طريق اتحاد الذرات غير متوازية الأضلاع وذات الزوايا الحادة الموجودة فى الماء. وقد يتكون الجليد أيضًا عن طريق **التحام** "*proskrisis*" مثل هذه الذرات من الخارج مع الماء، فتؤدى إلى تجميده بسبب انضغاطها مع بعضها بعض، وذلك بعد إقصاء عدد بعينه من الذرات المستديرة".

"وأما **قوس قزح** "*iris*" فيتكون عندما تسطع الشمس بنورها على **الهواء الزاخر بجزيئات الماء** "*hydatoeidês*"، أو عن طريق **امتزاج** "*symphysis*" خاص ينشأ بين النور والهواء تتولد عنه جميع الكيفيات المتميزة لهذه **الألوان** "*chrômata*"، أو لأن بعض هذه الألوان ينتمى إلى نوع واحد. وعن طريق انعكاس هذا الضوء، فإن الهواء المحيط الذى يكتنفه من كل جانب، يكتسب هذه الألوان التى نراها عندما تسطع الشمس على أجزائها".

(فقرة ١١٠)

"ويرجع الشكل المستدير الذى يتخذه قوس قزح إلى أن **المسافة** "*diastêma*" الفاصلة بين كل جزء من أجزائه تبدو لأبصارنا دائمًا مسافة متساوية، أو إلى أن الذرات الموجودة فى الهواء أو فى السحب والمستمدة من الشمس قد اتحدت وتشكلت على هذا النحو، حيث يؤدى امتزاجها وتراكمها إلى أن تظهر لنا فى هذا الشكل الدائرى".

"وأما **الهالة** "*halôs*" المحيطة بالقمر فتنشأ بسبب انتشار الهواء من كل جانب فى اتجاه القمر، أو لأن الهواء يدفع من أعلى بطريقة متساوية **تيارات** "*rheumata*" مقبلة من القمر، إلى أن يقدر لها أن تطبع **دائرة** "*kyklos*" على كتلة من السحب دون أن تفصلها تمامًا. وربما يرجع ظهور الهالة إلى أنها ترفع الهواء المحيط بالقمر بطريقة متناسقة من جميع الجوانب، إلى أن يبلغ القطر الذى يدور حوله، وتشكل بذلك **دائرة كثيفة** "*pachymeres*".

(فقرة ١١١)

"ويحدث ذلك فى أجزاء معينة، إما لأن تيارًا قد شق طريقه بقوة من الخارج، أو لأن **الحرارة** "*thermasia*" قد حصلت لنفسها على ممرات مناسبة لكى تسمح بحدوث ذلك. وأما **المذنبات** "*komêtai*" فتنشأ إما لأن النار قد استعرت فى أماكن معينة خلال فترات محددة فى الفضاء لو أن الظروف كانت مواتية، وإما بسبب حدوث حركة فوقنا من نوع خاص فى السماء ظهرت على أثرها مثل هذه النجوم، وإما لأن هذه النجوم نفسها قد تحركت فى **اندفاع** "*hormêsai*" تحت ظروف معينة، إلى أن وصلت إلى منطقة قريبة منا وغدت ظاهرة أمامنا. أما **اختفاء** "*aphanisis*" هذه المذنبات فيرجع إلى أسباب هى على النقيض من هذه الأسباب المذكورة".

(فقرة ١١٢)

"فهناك نجوم بعينها **تدور** "*strephesthai*" دون أفول فى المكان نفسه باستمرار، ليس للسبب الذى يزعمه بعض، وذلك نظرًا لبقاء هذا الجزء من الكون فى حالة من الثبات والاستقرار فى حين أن باقى الأجزاء تدور. وقد يرجع هذا أيضًا إلى وجود **دوامة دائرية** "*dinê enkyklos*" من الهواء تحيط

بهذا الجزء، وتمنع هذه النجوم من **التجوال** "*peripolein*" بعيدًا عن مدى البصر مثل سائر النجوم الأخرى. أو قد يرجع هذا إلى عدم وجود **المادة** "*hylê*" اللازمة للاحتراق فى هذه المنطقة، ووجود كمية وفيرة منها فى المكان الذى ترى منه ويستبين وجودها. وهناك طرائق أخرى متعددة يمكن أن تحدث بها هذه الظاهرة، على نحو ما يمكن للمرء أن يراها لو أنه قادر على الاستدلال منها طبقًا للوقائع القائمة. وأما **تجوال** "*planasthai*" بعض النجوم السيارة – إن صح أن هذا التجوال هو حركتها الفعلية – وكذا الحركة **المنتظمة** "*homalôs*" لنجوم أخرى معينة".

(فقرة ١١٣)

"فيمكن تفسيرها بأن هذه النجوم تتحرك أصلاً على شكل دائرة وبأنها مرغمة على هذه الحركة الدائرية، بحيث يصبح بعضها محمولاً من قبل دوامة بواسطة الحركة الدائرية المنتظمة نفسها، وبعضها الآخر من قبل دوامة ذات حركة دائرية مختلفة يغشاها الاضطراب. ولكن قد يرجع وجودها أيضًا إلى أنه طبقًا لتنوع المناطق التى تعبرها هذه النجوم توجد مسالك هوائية منتظمة فى بعض الأماكن، تدفعها قدمًا إلى الأمام فى اتجاه واحد وتقوم **بإشعالها** "*ekkaousai*" بانتظام، بينما بالنسبة إلى غيرها فإن هذه المسالك تكون **مضطربة وغير منتظمة** "*anomalies*"، فتسبب الحركات المتغيرة التى تتم مشاهدتها. وإن إرجاع هذه الظواهر وأمثالها إلى علة واحدة عندما توحى الوقائع بعلل كثيرة؛ لهو مسلك يدل على **الخبل والجنون** "*manikon*" وينبئ عن التناقض والاضطراب، ومع ذلك فهو مسلك يحدث من قبل أشياع **علم التنجيم** "*astrologia*" وأنصاره الذين

يتسمون بالتهور والتسرع، والذين يتصورون وجود علل لا طائل من ورائها للأفلاك والنجوم، فضلاً عن أنهم يصرون على إثقال كاهل الطبيعة الإلهية بمهام ثقيلة مملة".

(فقرة ١١٤)

"أما فيما يتعلق ببعض النجوم التي تتركها نجوم أخرى خلفها كما **يتراءى لنا** "*theôreisthai*"، فإنه يمكن إرجاع ذلك إلى أنها تدور في المدار نفسه ببطء أكثر من النجوم الأخرى، أو إلى أنها تتحرك في الاتجاه المعاكس بسبب إعاقتها من قبل الحركة الدوامة ذاتها، أو بسبب أن بعضها ينتقل عبر فضاء أوسع وأن بعضها الآخر ينتقل عبر فضاء أصغر أثناء دورانها في المدار ذاته. بيد أن رد مثل هذه الظواهر إلى تفسير واحد لا سواه لهو مسلك خليق بأولئك الذين يطمحون إلى **إذهال** "*terateuesthai*" الجماهير بما هو غريب وعجيب. أما الشهب أو النجوم الساقطة – كما تسمى – فيمكن أن تعزى في بعض الحالات إلى **الاحتكاك** "*paratripsis*" المتبادل بين النجوم نفسها، كما يمكن أن تعزى في حالات أخرى إلى طرد أجزاء معينة عند حدوث ذلك الامتزاج بين النار والهواء الذي سبق لنا ذكره عند مناقشة حدوث البروق".

(فقرة ١١٥)

"أو ربما تعزى إلى **تجمع** "*synodos*" الذرات المولدة للنيران التي يسفر التقاؤها عن إحداث هذه النتيجة، كما تسفر حركتها التالية عن حملها إلى الاتجاه الذي دفعت إليه في البداية. وقد تعزى إلى تجميع الرياح لكتل كثيفة **شبيهة بالضباب** "*homichloeidê*"، وحيث إنها محبوسة فإنها تشتعل ثم تنفجر

فى كل ما هو حولها، ثم من بعد ذلك تحمل إلى ذلك المكان الذى تدفعه حركتها القوية صوبه. وهناك طرائق أخرى كثيرة يمكن من خلالها أن تحدث بها هذه الظاهرة أو يتم تفسيرها **بدون اللجوء إلى الأساطير** "*amythêtoi*".

"أما عن **الظواهر الجوية** "*episêmasiai*" (أحوال الطقس) التى يمكن التنبؤ بها أحياناً من خلال سلوك حيوانات بعينها، فإن ذلك يعد **من قبيل المصادفة الوقتية** "*kata synkyrêma*"(١)، وذلك لأن الحيوانات لا تقدم لنا سبباً ضرورياً يفسر لنا سر هبوب **العاصفة** "*cheimôn*"، كما أنه ليست هناك **طبيعة إلهية** "*theia physis*" تنبرى لملاحظة خروج هذه الحيوانات، ثم من بعد ذلك تقوم بتحقيق هذه **العلامات** أو **الإشارات** "*episêmasiai*" التى أصدرتها الحيوانات".

(فقرة ١١٦)

"ثم إن مثل هذه **الحماقة** "*môria*" لا تتملك **المخلوق العادى** "*tychon zoon*"، لو أنه كان **على قدر ضئيل من الاستنارة** "*mikron chariesteron*"، فما بالك بالكائن الإلهى الذى ينعم بالسعادة المطلقة!".

"وحرى بك، يا بيثوكليس، أن تتذكر هذا كله وأن تعيه فى ذاكرتك، لأنك عندئذ سوف تتنصل من الخرافات والأساطير وتتحرر منها، وسوف يكون بوسعك التبصر فى **الأمثلة المشابهة** "*homogenê*" المرتبطة بهذا الصدد. ولكن فضلاً عن هذا كله عليك أن تبذل قصارى جهدك لدراسة المبادئ الأولى للأشياء وللعالم اللا متناهى وللموضوعات التى من هذا

(١) قارن فيما سبق فقرة ٨٩ أعلاه، والموضوع نفسه يعالج هنا من جديد. ويعتقد الأستاذ أوسنير "Usener" الذى ينسب إليه تصنيف هذه الرسالة بأسرها، أن الفقرتين ذاتيهما أخذتا من الجزء نفسه من كتاب **إبيقوروس** "عن الطبيعة". من تعليقات الترجمة الإنجليزية، ص ٦٤٠. (المترجم)

القبيل، وعليك بالمثل أن تتأمل المعايير والمشاعر والغاية التى من أجلها نقوم بالاختيار من بينها. وذلك نظرًا لأن دراسة هذه الموضوعات وأمثالها معًا سوف تساعدك بسهولة فى فهم العلل الخاصة بالظواهر الجزئية وإدراكها. أما أولئك الذين لا يميلون كل الميل إلى هذا بوجه خاص، بزعم أنهم لم ينبروا للاهتمام الواجب بدراسة هذه الموضوعات، فلن يتاح لهم الإلمام بهذه الميادين ولن يتمكنوا من إدراك الغاية من ورائها".

(فقرة ١١٧)

- كانت تلك هى آراؤه عن الظواهر السماوية.

أما فيما يتعلق **بسلوكيات الحياة** "*biôtika*" وبما ينبغى علينا **اختياره** "*haireisthai*" وما ينبغى علينا **تحاشيه** "*ekpheugein*"، فقد كتب **إبيقوروس** ما يلى[١]، ولكن ينبغى علينا قبل أن نقتبس عباراته بحذافيرها- على أى حال- أن نتطرق إلى آراء **إبيقوروس** نفسه وإلى آراء مدرسته عن الشخص الحكيم.

توجد ثلاثة دوافع رئيسة **للأفعال المؤذية** "*blabai*" بين البشر، وهى: **الكراهية** "*misos*"، **والحسد** "*phthonos*"، **والاحتقار** "*kataphronêsis*"، وهى دوافع بوسع الرجل الحكيم أن يتغلب عليها **بالعقل** "*logismos*". وفضلاً عن ذلك فإن من يقدر له بلوغ الحكمة **مرة واحدة** "*hapax*"، فلن يتخذ لنفسه أبدًا **العادة** "*diathesis*" المضادة لها، ولا حتى فى مظهرها الخارجى لو كان هذا فى مقدوره، إذ إنه سوف يكون بالأحرى أسرع فى تأثره بالانفعالات من

(١) فيما بين رسالة **إبيقوروس** إلى تلميذه **بيثوكليس** ورسالته إلى تلميذه **مينوبكيوس** (وهى التى ستذكر بعد قليل) ترد عدة مقتطفات (الفقرات ١١٧ - ١٢٠) تتعلق بالرجل الحكيم وفقًا لتصور **إبيقوروس** مُضافًا إليها عدد من المبادئ الأخلاقية (الفقرتان: ١٢٠ - ١٢١). (المترجم)

سواه، ولن يقف ذلك حجر عثرة أمام حكمته. ولكن ليس كل تكوين بدنى ولا كل جنس عرقى يسمح للشخص بأن يغدو حكيمًا.

(فقرة ١١٨)

فحتى لو كان الحكيم **فى كرب وشدة** "*an streblôthê*" فسوف يكون **سعيدًا** "*eudaimôn*"، كما أنه هو وحده الذى سوف يشعر **بالامتنان** "*charis*" تجاه أصدقائه، حاضرين وغائبين على حد سواء، وهو يعبر عن هذا الامتنان بالقول وبالفعل. لكنه عندما يكون فى حالة **كرب وشدة** "*strebloutai*" – على أى حال – فإنه يطلق العنان لنفسه فى **الأنين** "*myzei*" **والانتحاب** "*oimôzei*". أما فيما يتعلق **بالمرأة** "*gynê*"؛ فلا يجب على الحكيم مباشرتها فى الحالات التى تحرمها القوانين، وفقًا لما يقوله **ديوجينيس** فى ملخصه عن "**تظريات إبيقوروس الأخلاقية**"؛ وحرى به ألا يعاقب خدمه، بل إنه سوف يرأف بهم وسيمنح عفوه ومكافأته لمن كان ذا خلق حسن منهم.(ومن المعلوم أن الإبيقوريين لا يسمحون للحكيم بأن **يقع فى العشق** "*erasthêsesthai*"، ولا بأن يشغل باله بأمور **الطقوس الجنائزية** "*taphê*"؛ كما أن **العشق** "*erôs*" بالنسبة إليهم لا يحدث عن طريق **إلهام إلهى** "*theopemptos*"، وفقًا لما يقول **ديوجينيس** فى الجزء الثانى عشر (من كتابه المذكور أعلاه). كذلك فإن الحكيم لا يلقى بخطب منمقة ذات كلام معسول (أى لا يمارس الريطوريقا)؛ ثم إنهم يقولون إن الإنسان لا يمكن أبدًا أن يصبح **الأفضل** "*onêsai*" بسبب انغماسه فى **المعاشرة الجنسية** "*synousia*"، ومن الخير والمحبب أيضًا ألا يكون ظالمًا لو أنه لم يفعل ذلك.

(فقرة ١١٩)

ومن ناحية أخرى فإن الحكيم لا ينبغى له أن يتزوج وينجب الأبناء، طبقًا لما يقوله **إبيقوروس** نفسه في كتابه **المشكلات أو المعضلات** *"Diaporiai"* وكذا في كتابه **"عن الفيزيقا"**. ولكن الحكيم قد يتزوج في بعض الأحيان نظرًا لوجود ظروف خاصة في حياته، فهناك بعض الأشخاص الذين ينحرفون عن أهدافهم. ويقول **إبيقوروس** في كتابه **منتدى الشراب** أو المأدبة *"Symposion"*: إن الحكيم **لا يهذى ولا يهرف** *"lêrêsein"* إذا أفرط في شرب الخمر. كذلك فإن الحكيم **لا ينخرط في أمور السياسة** *"politeusesthai"*، كما جاء في الجزء الأول من كتاب **إبيقوروس "عن سير الحياة"**.

ولا ينبغى على الحكيم أن يكون طاغية، ولا أن يكون مسلكه **كلبيًا** *"kynіein"*، كما ورد في الجزء الثانى من كتابه **"عن سير الحياة"**، ولا ينبغى أن يكون فقيرًا يستجدى الصدقات. وحتى لو قدر له أن **يفقد بصره** *"pêrôtheis tas opseis"* فإنه لن **ينسحب** *"exaxein"* من الحياة[١]، على نحو ما يقوله **إبيقوروس** في الكتاب ذاته الذى سبق ذكره.

(فقرة ١٢٠)

كذلك فإن الحكيم سوف يشعر أيضًا **بالحزن** *"lypêthêsesthai"*، على نحو ما يذكره **ديوجينيس** في الجزء الخامس من كتابه المسمى **فقرات مختارة** *"Epilekta"*. كذلك فإن الحكيم يمكنه أن **يرفع قضية أمام المحكمة**

---

(١) المقصود أنه لن ينتحر كما أوصت الرواقية. راجع فيما سبق الجزء السابع، فقرة ١١٣٠ أعلاه. من تعليقات الترجمة الإنجليزية. (المترجم)

"*dikasesthai*"، كما أنه يمكن أن يترك للناس مؤلفات مكتوبة ولكنه لن يكتب **نشيد مديح أو تقريظ** "*panêgyrein*". كذلك فإن الحكيم يمكنه أن يتدبر أمـــر ممتلكاته وأن يهتم بالمستقبل، ثم إنه محب لأرضه ووطنه. كذلك فإنه ميـــال للتسلح ضد الحظ ولا يخذل صديقًا أبدًا. ثــم إنـــه مهــتم **بـــسمعته الطيبـــة** "*eudoxia*" إلى حد كبير وذلك حتى لا يزدريه أحد. كذلك فإنه **يجد قرة عينه** "*euphranthêsesthai*" أكثر من سواه في الاحتفالات والمهرجانـــات التـــي تقيمها الدولة.

كذلك فإن الحكيم يفي بالنذور ويقيم التماثيل، وسواء كان موسرًا أم لا فإن هذا الأمر **لا يعيقه** "*adiaphorôs*". كذلك فإن الحكيم هو وحـــده القـــادر على أن يتحدث بطريقة صائبة عن الموسيقى وعن الشعر؛ دون أن يقوم هو نفسه بنظم القصائد، وليس هناك شخص حكيم بوسعه أن يتـــصرف بحكمـــة أفـــضل مـــن حكـــيم آخـــر. وفـــي مقـــدور الحكـــيم أن **يقتنـــي المـــال** "*chrêmatieisthai*"، ويحوزه ولكن بحكمته فقط، وذلـــك إذا كـــان **فقيـــرًا ذا مـــسغبة** "*aporêsas*". كذلك فإنه يمكن أن يتقرب إلى **الحـــاكم** "*monarchos*" ولكن في الوقت المناسب، كما أنه سوف يشعر بالامتنان تجـــاه أي شـــخص **يصحح له خطأه** "*epi tô diorthômati*". كما أن بوسعه أن يؤسس **مدرســـة** "*scholê*" ولكن عليه ألا يجعـــل القـــوم **يتكـــالبون** "*ochlagôgêsai*" عليـــه ويتزاحمون حوله. وبوسعه أيضًا أن يقدم محاضرات عامة إلـــى الجمهـــور ولكن بشرط أن يطلب منه ذلـــك. وبوســـعه كـــذلك أن يكـــون **دوجماطيًـــا** "*dogmatiein*" ولكن ليس **شكاكًا** "*aporêsein*". وحري بالحكيم أن يكون **هـــو نفسه** "*homoion*"، وألا يبدو على غير طبيعته حتى أثناء النوم، وحري بـــه كذلك أن يموت أحيانًا من أجـــــل صديقه (إذا اقتضى الأمر ذلك).

وتذهب المدرسة إلى أن **الآثام** "*hamartêmata*" ليست متساوية، أو إلى أن الصحة بالنسبة إلى بعض خير وبالنسبة إلى بعض آخر غير **ذات أهمية** "*adiaphoros*". كما يذهبون إلى أن **الشجاعة** "*andreia*" ليست هبة فطرية ولكنها أمر يتحقق من خلال حسابات المنفعة، وإلى أن عقد أواصر **الصداقة** "*philia*" يتم بناء على احتياجاتنا، ولكن لا بد – مع ذلك – أن يقوم واحد من الأصدقاء بعمل المبادرات الأولى (كما نقوم ببذر البذور فى التربة)، ولكن يتم الحفاظ على الصداقة من خلال التشارك فى المتع وتحقيق ملذات الحياة.

(فقرة ١٢١)

وهناك نوعان من **السعادة** "*eudaimonia*" يمكن تصورهما؛ أحدهما هو السعادة القصوى التى ينعم بها الإله، وهى سعادة لا يمكن أن تزداد ولا تنقص؛ أما النوع الآخر فهو يسمح **بزيادة** "*prosthêkê*" الملذات والمتع **وبنقصانها** "*aphairesis*". وعلينا الآن أن ننتقل إلى رسالته الثالثة.

"من **إبيقوروس إلى مينويكيوس** ***Menoikeus*** تحية وسلامًا.

(فقرة ١٢٢)

"لا تدع أحدا يتوانى فى البحث عن الحكمة وهو فى ريعان شبابه، ولا تدعه يمل أو يسأم من البحث عنها وهو فى شيخوخته، وذلك لأنه ليست هناك سن معينة **مبكرة أكثر من اللازم** "*aôros*" ولا سن أخرى **متأخرة أكثر من اللازم** "*parôros*" لاكتساب صحة النفس. فمن يقول إن دراسة الفلسفة لم تحن بعد أو أنها أشبه بمن يقول إن السعادة لم يحن بعد أوانها، أو أن وقتها قد فات ومضى أو ولى وانقضى. وبناء على ذلك فإن كلاً من الشاب والشيخ عليهما

البحث عن الحكمة؛ الأول لكي يظل شابًا– كلما زحفت عليه الشيخوخة – بالنسبة لما نعم به من خيرات بفضل ما مر عليه من أحداث في الماضي؛ والثاني لكي يمضي إلى شيخوخته – وهو في ريعان الشباب – غير هياب ولا وجل من الأمور التي سوف تحدث له في المستقبل. ومن ثم فإن علينا أن ندرب أنفسنا على الأمور التي تحقق لنا السعادة، نظرًا لأنه عند وجود السعادة فسوف نحظى بكل شيء، وعند غيابها فإن كل أفعالنا تكون موجهة صوب تحقيقها والظفر بها".

(فقرة ١٢٣)

"فلتقم إذن بعمل تلك المسائل التي أعلنتها لك باستمرار ودرب نفسك على دراستها واعتبر أنها عناصر الحياة الخيرة. وعليك أولاً أن تؤمن بأن الله موجود **حي** "*zoos*" **خالد** "*aphtharton*" **وسعيد** "*makarion*"، طبقًا للفكرة التي يمليها الحس المشترك عن الله، فإذا آمنت بذلك فعليك ألا تجهر بشيء يتعارض مع خلوده أو لا يتفق مع سعادته، بل حري بك أن تمجد جميع صفاته التي تؤكد خلوده وتحافظ على سعادته. وذلك لأن الآلهة موجودة ومعرفتهم **بادية للعيان** "*enargês*"، ولكنهم ليسوا في صفاتهم كما يؤمن العامة من الناس، فالناس لا يواظبون على الحفاظ على التصورات التي يشكلونها عنهم. **والكافر** "*asebês*" ليس هو الشخص الذي **ينكر** "*anairôn*" وجود الآلهة التي يعبدها العامة، بل هو الشخص الذي يذهب إلى أن الآلهة هي على الصورة التي يتصورها العامة عنهم".

(فقرة ١٢٤)

"وذلك لأن أقوال العامة من الناس عن الآلهة ليست تصورات "*prolêpseis*" سليمة بل هي **افتراضات** "*hypolêpseis*" كاذبة؛ ومن هنا فإن

الآلهة تعاقب الأشرار **بأعظم** "*megistai*" **ألوان الضرر** "*blabai*" وتكافئ الأخيار بأعظم **أنواع النعم** "*ôpeleiai*". فالحق إن الأرباب يفضلون دومًا فضائلهم الخاصة الخيرة، ويبتهجون بالناس قدر ابتهاجهم بأنفسهم، ولكنهم يرفضون كل ما هو **مخالف** "*allotrion*" لطبعهم ويزوَرّون عنه".

"فعود نفسك إذن على الإيمان بأن الموت ليس بذى خطر بالنسبة إلينا، حيث إن الخير والشر بأسرهما يتضمنان الإحساس؛ أما الموت فينعدم فيه الإحساس. ومن هنا فإن المعرفة الصحيحة التى تنادى بأن الموت ليس بذى خطر بالنسبة إلينا هى التى تجعلنا نستمتع بحياتنا الفانية، لا بأن نضيف إلى أعمارنا زمنًا غير محدود بل عن طريق نبذ فكرة الشغف بالخلود وطرحها جانبًا".

(فقرة ١٢٥)

"فليس هناك **رعب** "*deinon*" فى الحياة بالنسبة لمن فهم حقًا أنه لا رعب يصيبه إذا توقفت حياته. والأحمق إذا هو من يقول إنه يخشى الموت أو يهابه، لا لأن الموت يؤلم عند قدومه؛ بل لأن انتظار وقوعه هو الذى يؤلم؛ فما لا يسبب لنا إزعاجًا عند وجوده يسبب لنا ألمًا لا أساس له ولا معنى عند توقعه. لذلك فإن الموت– وهو **أبشع** "*phrikôdestaton*" الشرور جميعًا – ليس بذى خطر بالنسبة إلينا، حيث إن الموت لا يوجد أثناء حياتنا وعندما يحل الموت بنا لا يكون لنا وجود. فالموت ليس بذى خطر سواء بالنسبة إلى الأحياء أو بالنسبة إلى الأموات، فهو بالنسبة إلى الأحياء غير موجود وبالنسبة إلى الأموات فهم الذين صاروا غير موجودين. والعامة من الناس ينفرون من الموت فى معظم الأحيان على اعتبار أنه أعظم الشرور، وهم أحيانًا أخرى يعتبرون الموت **راحة** "*anapausis*" من شرور الحياة.

(فقرة ١٢٦)

"أما الحكيم فلا يزدرى **الحياة** "*to zên*" ولا يخشى **المـــوت** "*to mê zên*"[١]، وذلك لأن التفكير فى الحياة لا ينطوى على إساءة بالنسبة إليه، كما أن عـــدم استمرار الحياة لا يمثل شرًا بالنسبة إليه. ومثلما يختار عامة الناس **طعـــامهم** "*sition*" من بين ما هو **ألذ وأشهى** "*hêdiston*" وليس فقط الكم الأوفر منـــه، فإن الحكيم يسعى للاستمتاع بما هو أمتع وأبهج وليس فقط بما يـــدوم وقتًـــا أطول. فمن ينصح الشاب بأن ينعم بالحياة ويحث الشيخ على أن يختم حياته على نحو طيب إنما هو شخص غير ساذج، ليس فقط لأن الحيـــاة **مـــشتهاة ومرغوبة** "*aspaston*"، بل وأيضًا لأن الممارسة ذاتها تعلمنا أن نحيا حيـــاة طيبة وأن نموت ميتة طيبة. وأسوأ من ذلك الذى يقول إنه كان من الأفـــضل ألا يولد المرء وإنه:

"**إذا ولد فحرى به أن يعبر بوابات هاديس بأقصى سرعة ممكنة**"[٢].

(فقرة ١٢٧)

"فلو أن قائل هذا كان يؤمن حقًا بما قاله فلم لم يرحل هو نفسه عـــن الحيـــاة؟ وذلك لأن هذا كان أمرًا ميسورًا له وفى مقدوره لو أنه كان مقتنعًا بذلك تمام الاقتناع، أما إذا كان حديثه مجرد **مزاح** "*môkômenos*" فهو مزاح ســـخيف ولغو فارغ **لا طائل من ورائه** "*mataios*"، لأن من يسمعونه لا يؤمنون بـــه. وعلينا كذلك أن نتذكر أن المستقبل لا هو ملك لنا بالكامل ولا هو غير ملـــك

---

(١) ومفاد ذلك أن الشخص الحكيم لا يهفو إلى التمتع بطول العمر، وإنما يرغب فـــى الاســـتمتاع برغد العيش. [المراجع]

(٢) هذا البيت موجود فى الشذرات الباقية من ديـــوان الـــشاعر الغنـــائى الأشـــهر **ثيـــوجنيس** "Theognis"، انظر الشذرتين ٤٢٥ ، ٤٢٧. كما يتردد صداه عنـــد **ســـوفوكليس** وشـــعراء آخرين. [المراجع]

لنا بالكامل، ومن ثم فحرى بنا– على أى حال – ألا نعول عليه كأمر مؤكد الحدوث تمامًا، وألا نفقد الأمل أو نكون على يقين من عدم حدوثه تمامًا".

"ولا بد لنا بالمثل أن نمعن النظر فى أن بعض رغباتنا **طبيعى** "*physikai*" وفى أن بعضه الآخر **لا أساس له** "*kenai*"، وفى أن طائفة من الرغبات الطبيعية **ضرورية** "*anankai*" بمثل ما هى طبيعية، وفى أن طائفة أخرى منها طبيعية فقط. وعلينا أن نتأمل كذلك فى أن بعض الرغبات الضرورية ضرورى لتحقيق سعادتنا، وفى أن بعضه الآخر ضرورى لتخليص الجسد **من الألم والاضطراب** "*aochlêsia*"، وفى أن بعضه الثالث ضرورى من أجل استمرار الحياة".

(فقرة ١٢٨)

"وإن من لديه تصور واضح وفهم مؤكد لهذه الأمور سوف يوجه كل اختيار "*hairesis*" وكل **رفض** "*phygê*" نحو تحقيق صحة الجسد **وطمأنينة النفس** "*ataraxia psyches*"، على اعتبار أن تلك هى **غاية** "*telos*" **الحياة السعيدة** "*makariôs zên*". وذلك لأن الغاية من أفعالنا كافة هى **غياب الألم** "*mê algômen*" **وغياب الخوف** "*mê tarbômen*" عنا. وعندما يقدر لنا تحقيق ذلك كله **ذات مرة** "*hapax*" فإن كل **عاصفة** "*cheimôn*" للنفس سوف تتبدد، حيث إن الكائن الحى آنذاك لن يكون بحاجة إلى أن يجد فى البحث عن **شىء ينقصه** "*endeon ti*" أو إلى أن يسعى للبحث عن شىء آخر **يحقق به** "*symplêrôthêsetai*" خير النفس والجسم معًا. ثم إننا حينما نتألم بسبب غياب وجود اللذة فإننا عندئذ فقط نشعر بالحاجة إلى تحقق اللذة، أما عندما لا نحس بالألم فمعنى ذلك أن اللذة لم تعد غائبة وأننا لا نحتاج إلى وجودها. وبناء على ذلك فإننا نسمى اللذة **البداية** "*archê*" **والنهاية** "*telos*" للحياة السعيدة".

(فقرة ١٢٩)

"وهذه اللذة هـــى الخيـــر الأول **ذو الـــصلة الوثيقـــة** "*syngenikon*" بطبيعتنا، وهى نقطة الانطلاق لكل اختيار ولكـــل رفـــض، ونحـــن نعـــدها المرجعية التى نحتكم إليها بقدر ما نجعل المشاعر هى قاعدة الحكم على كل أمر خير. ولما كانـــت اللـــذة هـــى الخيـــر الأول **المتأصـــل فـــى فطرتنـــا** "*symphyton*"، فإننا بناء على هذا السبب لا نختار أى لذة كانت، ولكننا **نغض النظر** "*hyperbainomen*" فى بعض الأحيان عن لذات كثيرة بسبب أن **عنتًا وعناء** "*dyscheres*" **أعظم** "*pleion*" سوف يتولد عنها. بل إننا (فى كثير من الأحيان) نعتبر أن كثيرًا من **الآلام** "*algêdones*" **أفـــضل** "*kreittones*" مـــن اللذات ذاتها، عندما يفضى بنا خضوعنا لهذه الآلام لوقت طويل إلـــى لـــذة **أعظم** "*meizôn*". وبناء على ذلك فإذا كانت كل لذة خيرًا بسبب أنها بطبيعتها قريبة منا **ومألوفة** "*oikeia*" لنا، فليست كل لذة **جديرة بالاختيـــار** "*hairetê*"، بمثل ما أن كل **ألم** "*algedôn*" شر، ولكن ليس كل ألم بطبيعته **تعافه النفس** "*pheuktê*".

(فقرة ١٣٠)

"ولكن المسألة – على أى حال – تنحصر فى ضرورة وضع **المعيـــار** "*symmetrêsis*" وإجراء المقارنة، وكذا فى **النظر** "*blepsis*" إلى ما هو مفيـــد عند الحكم على هذه الأمور جميعًا. وذلك لأننا نحكم فى بعض الأحيان على الخير بأنه شر وفى أحيان أخرى – **على العكس مـــن ذلـــك** "*tampalin*" – نحكم على الشر بأنه خير. ثم إننا نعتبر أن **الاكتفاء الذاتى** "*autarakeia*" أو الاستقلال الظاهرى خير كبير، مع أنه ليس كذلك فى جميع الحالات، (فالخير العظيم) لا يكمن فى قلة الاستخدام بل فى **قناعتنا واكتفائنـــا** "*arkômetha*" بالقليل حينما لا نملك الكثير، وكذا فى أن نقتنع **فى الحقيقة وواقـــع الأمـــر**

"*gnêsiôs*" بأن من يحظون ويتمتعون بالترف **الفائق في عذوبته** "*hêdista*" هم أولئك الذين لا يحتاجون منه إلا إلى **أقل القليل** "*hêkista*"، وبأن كل ما هو طبيعي **يسهل الحصول عليه** "*euporiston*"، وبأن ما هو غير طبيعي يصعب **الظفر به** "*dysporiston*". ذلك أن **الطعام** "*chyloi*" **البسيط المتقشف** "*litoi*" يحقق من اللذة أضعاف ما تحققه **الوجبة** "*diaita*" **الفاخرة** "*polytelês*"، مادام سوف يقضي في ساعة ما على ألم **الجوع** "*endeia*" الممض.

(فقرة ١٣١)

"كما أن **كسرة خبز** "*maza*" **وجرعة ماء** "*hydôr*" تحدثان اللذة **القصوى** "*akrotatê*"، لو أن **شخصًا جائعًا** "*endeôn*" ظامئًا سد بهما رمقه وأروى ظمأه. وبناء على ذلك فإن **الاعتياد** "*to synethizein*" على الوجبات البسيطة غير الفاخرة كفيل بتزويدنا بكل ما تحتاج إليه الصحة الجيدة، حيث إنه يجعل الإنسان قادرًا على تلبية حاجاته **الضرورية** "*anankaia*" دونما **ضنك أو قلق** "*aoknos*"، كما أنه كفيل بإعدادنا لحالة نفسية **أفضل** "*kreitton*"، لو أننا كنا بين الحين والآخر على شفا تكبد نفقات باهظة، وكفيل بأن يجعلنا **لا نهاب** "*aphoboi*" صروف الحظ وتقلباته".

"وإذن فحينما نقول إن اللذة هدف وغاية، فإننا لا نعني بذلك اللذات المؤدية إلى الفسق والمجون أو اللذات المتعلقة بالمتع والشهوات، كما اعتقد بعض، سواء **بسبب جهلهم** "*agnoountes*" ، أو بسبب تصورهم المسبق **لعدم موافقتهم** "*ouch homologountes*"، أو بسبب فهمهم الخاطيء المنطوي على التحامل. ولكننا نعني باللذة غياب الألم عن الجسم وغياب القلق عن النفس".

(فقرة ١٣٢)

"ذلك أن **الحياة الهانئة** "*hêdys bios*" لا تتمثل فـي الـشراب "*potoi*" المتواصل، ولا فى **الخلاعة والمجون** "*kômoi*"، ولا فى عشق النساء وإتيان الغلمان شهوة، ولا فى التهام الأسماك الفاخرة وغيرها من أطايب الطعـام، وإنما تتمثل فى **العقل** "*logismos*" **اليقظ المتوثب** "*nyphôn*" الـراجح الـذى يبحث دومًا عن أسباب كل اختيار وكل رفض، والذى ينبذ أو يستبعد الآراء والمعتقدات التى تتمخض عنها معظم **الاضطرابات** "*thorybot*" التى تحـدث للنفس. وبداية جميـع هـذه المعتقـدات وأعظمهـا خيـرًا هـى **الفطنـة** "*phronêsis*"[(١)]، ومن هنا فإن الفطنة تعد أثمن حتى من الفلسفة نفسها، فمنها **تنبع** "*pephykasi*" جميع الفضائل الأخرى، حيث إنها تعلمنا أننا لا نـستطيع أن نحيا حياة **هانئة** "*hêdeôs*" دون فطنة ولا شـرف ولا عدالـة، وأننـا لا نستطيع أن نحيا حياة الفطنة والشرف والعدالة دون أن تكون حيـاة هانئـة مستساغة. وذلك نظرًا لأن الفضائل مرتبطة بهذه الحيـاة الرغـدة الهانئـة **ومتأصلة فيها** "*sympephykasi*"، ولأن الحياة الرغدة الهانئة لا يمكن فصلها عن هذه الفضائل".

(فقرة ١٣٣)

"فمن هو إذن الشخص الذى يكون فى حكمك أفضل مـن مثـل هـذا الرجل الذى يؤمن إيمانًا **مقدسًا** "*hosia*" بكـل ما يتعلـق بالأربـاب، والذى

---

(١) الفطنة "*phronêsis*" مصطلح عسير التعريب: فهو يترجم أحيانًا بالحكمة، وأحيانًا بالحيطـة أو الاحتياط، وهى تتضمن اليقظة والتحرز وحسن التدبير والحذر. والحيطة هى إحدى الفـضائل الرئيسية الأربع؛ وهى فى الغالب الأعم تعنى الحكمة العملية التى تقال فـى مقابـل الحكمـة النظرية أى الفلسفة. (المترجم)

لا يفرق "*aphobôs*" إطلاقًا من الموت، والذى كان بوسعه التفكر مليًا فى الغاية التى حددتها الطبيعة، والذى أمكنه أن يدرك مدى سهولة الحدود التى يمكن أن تصل إليها **الطيبات** "*to agatha*" لكى تتحقق، وأن دوام الشرور وكثافة الآلام قصير الأمد (بمعنى أن الباطل زهوق)؟ ثم إن هذا (الرجل الحكيم) **يضحك ملء شدقيه ويسخر** "*diagelôn*" من **القدر** "*heimarmenê*" الذى يعده بعض **سيدًا** "*despotis*" على جميع الموجودات، ويؤكد بالأحرى أن هناك طائفة من الأشياء تحدث **بالضرورة** "*kat' anankên*" ، وأن هناك طائفة أخرى منها تحدث **بالصدفة** "*apo tychês*" ، فى حين أن طائفة ثالثة منها تحدث **بسبب أفعالنا نحن** "*par' hêmas*" . وذلك لأنه يرى أن الضرورة **مجردة من المسئولية** "*anypeuthynos*" ، وأن الصدفة أو الحظ **قُلّب ومتغيرة** "*astatos*"، وأن أفعالنا حرة **لا شيء يتحكم فيها** "*adespoton*" ، وأن من **الطبيعى** "*pephyken*" أن تكون هذه الأفعال هى التى **تستوجب** "*parakoloutheín*" **القدح** "*mempton*" أو **عكسه** "*enantion*" (أى المدح)".

(فقرة ١٣٤)

" [وحيث إنه من الأفضل لنا فى واقع الأمر أن نتقبل الأساطير المتعلقة بالآلهة من أن نخضع لربقة القدر الذى ينادى به الفلاسفة الطبيعيون، لأن من الخير أن يراود الأمل المرء فى الإفلات من هذه الربقة عن طريق تبجيل الأرباب، بدلاً من الضرورة الصارمة التى ينادى بها الطبيعيون]. ثم إن هذا الرجل الحكيم لا يجعل من الصدفة إلهًا كما يعتقد العامة من الناس [وذلك لأن أفعال الإله **تخلو من الفوضى والاضطراب** "*ataktôs*"]، كما أنه لا يجعل منها سببًا أو علة ولو كان سببًا **غير مؤكد** "*abebaio*"، وذلك لأن هذا الرجل الحكيم يتصور أن الصدفة لا يصدر عنها خير أو شر يتم توزيعه

على البشر ليحقق لهم الحياة **السعيدة** "*makariôs*"، على الرغم من أنها (أى الصدفة) هى التى تزودنا بالبدايات الأولى للخير الأعظم والشر الأعظم".

(فقرة ١٣٥)

"كما أن هذا الرجل الحكيم يؤمن بأن **سوء حظ** "*atychein*" الشخص الحكيم "*eulogistôs*" **أفضل** "*kreitton*" من **حسن حظ** "*eutychein*" **الشخص الأحمق** "*alogistôs*" ورفاهيته، لأن من الأفضل ألا يعزى نجاح **الحكم الصائب** "*kalôs krithen*" ودقته إلى هذه (الصدفة)".

"وبناء على ذلك فإن لك أن تدرب نفسك على هذه المبادئ وعلى المبادئ المماثلة لها ليل نهار، وأن تتفكر فى ذلك بينك وبين نفسك أو مع نظرائك وأقرانك، وحينئذ لن تشعر أبدًا **بأى اضطراب** "*diatarachthêsê*" أو قلق، سواء كنت فى حالة يقظة "*hypar*" أو فى حالة **حلم** "*onar*"، بل إنك سوف تحيا كإله بين البشر، وذلك لأنه لا وجه للشبه بين الإنسان الذى يعيش وسط الفانين وبين الإنسان الذى يحيا وسط الأخيار الخالدين".

– ويرفض **إبيقوروس** فى مكان آخر **العرافة أو الكهانة** "*mantikê*" **بأسرها**[(١)] **، وذلك وفقًا لما ورد فى الموجز المختصر** "*mikra epitome*" حيث يقول: "**ليست هناك وسيلة للتكهن أو التنبؤ بالمستقبل، ولو أنها وجدت فلا بد لنا من النظر إلى ما يحدث طبقًا لها على أنه أمر لا يعنينا**".

---

(١) هذه الملحوظة المختصرة عن الكهانة – فيما يبدو – مقحمة بطريقة خرقاء غير ملائمة على خاتمة الرسالة، وكذا على إشارة المفسر أو الشارح إلى أعمال **إبيقوروس** الأخرى التى تتعرض للأخلاق. ويقترح الأستاذ الناشر **أوسنير** "Usener" أنها قد تكون تعليقًا أو شرحًا تفسيريا "*scholium*" مدونا على الرسالة. [المراجع]

– تلك كانت آراؤه عن السلوك فى الحياة، ولقد حاضر عنها **باستفاضة أشد** "*epi pleiô*" **فى مواضع أخرى** "*allachothi*".

(فقرة ١٣٦)

ويختلف **إبيقوروس** عن القورينائيين "Kyrênaïkoi"[١] فيما يتعلق بمبدأ اللذة[٢]؛ فهم لا يدرجون تحت مصطلح اللذة "اللذة" التى هى **فى حالة سكون** "*katastêmatikê*"، بل فقط تلك التى تكون فى حالة **حركة** "*kinêsis*". أما **إبيقوروس** فيسمح بكليهما معًا، وهو يسمح أيضًا بلذة الروح ولذة الجسم على نحو ما يقرر ذلك فى كتابه "**عن الاختيار والرفض** "*Peri haireseôs kai phygês*"، وكذا فى كتابه "**عن الغاية الأخلاقية**"، وأيضًا فى الجزء الأول من كتابه "**عن الحياة الإنسانية**"، وكذلك فى رسالته إلى أصدقائه الفلاسفة فى ميتيلينى. وكما ورد **بالمثل** "*homoiôs*" عند كل من **ديوجينيس** فى كتابه **فقرات مختارة** "*Epilekta*"، **وميترودوروس** فى كتابه **طيموقراطيس** "*Timokratês*". وكانت كلماته فى هذا الصدد بالنص كما يلى: "**وهكذا تكون اللذة إذا ما تصورناها سواء على أنها تعتمد على الحركة أو تعتمد على السكون**".

أما كلمات **إبيقوروس** فى كتابه "**عن الاختيار**" فهى على النحو التالى: "**الطمأنينة الفكرية** "*ataraxia*" **وغياب الألم** "*aponia*" **هى لذات تنطوى على**

---

(١) القورينائية مدرسة فلسفية من المدارس السقراطية، وتنسب إلى صاحب نظرية اللذة التى تقول: إن السعادة فى الحياة تقوم على اللذة؛ وكان ينشد اللذة الحسية ويقدمها على اللذات الروحية والعقلية، ويعتبرها خيرًا، فالإنسان بطبيعته يهدف إلى تجنب الألم وطلب اللذة. (المترجم)

(٢) ترد بعد ذلك مقتطفات تعالج الفرق بين الأخلاق عند الإبيقورية والقورينائية. من تعليقات الترجمة الإنجليزية، ص٦٦١. (المترجم)

حالة من السكون، أما الفرح *"chara"* والابتهاج *"euphrosynê"*، فيعتبران من الحالات التي ينظر إليهما على أنهما معتمدتان على الحركة والنشاط *"energeia"*.

(فقرة ١٣٧)

ثم إن **إبيقوروس** من بعد ذلك يختلف عن القورينائيين من حيث إنهم يذهبون إلى أن آلام *"algêdones"* الجسد أسوأ من آلام النفس، وإلى أن **مرتكبي الآثام** *"hamartanontes"* يعاقبون حقًا بالعقاب البدني، في حين أن **إبيقوروس** يذهب إلى أن آلام النفس هي (الأسوأ). وعلى أي حال؛ فإن **الجسد** *"sarx"* **يكابد المشقة** *"cheimazein"* الخاصة بالحاضر وحده، في حين أن النفس تكابد المعاناة في كل من الماضي والحاضر والمستقبل. وهكذا فإنه يذهب إلى أن لذات النفس أعظم من لذات الجسد. وكبرهان على أن اللذة هي الغاية يقدم لنا واقعة مفادها أن **الكائنات الحية** *"zôa"* بمجرد ولادتها تجد قرة أعينها في اللذة، وتتجنب الألم ما وسعت إلى ذلك سبيلا، وتلك مسألة تحض عليها الطبيعة بمعزل عن العقل. وبناء على ذلك فإننا لو **استندنا** *"pheugomen"* إلى **مشاعرنا الخاصة** *"autopathôs"* فإننا ننفر من الألم، لدرجة أن هيراكليس = هرقل حينما **نهشه الألم بنابه** *"katabibrôskomenos"* بسبب **الرداء** *"chitôn"* المسموم [1]، صاح بصوت مرتفع قائلا[1]:

---

(١) جاء في الأسطورة اليونانية أن القنطور الشهير **نيسوس** "Nessos" أعطى زوجة هرقل قميصا مسموما مخضبا بدمه وقال لها: إن أنت أقنعت زوجك بارتدائه فسوف يتعلق بك إلى الأبد. وقبلت الزوجة الصغيرة هذه الهدية لسذاجتها وأرسلت إلى زوجها القميص المسموم مع عبد صغير وكلمات رقيقة مؤثرة، واستلم هرقل بفرح هذه الهدية المشئومة، لكنه ما إن ارتدى هذا القميص حتى أحس بمفعول السم الزعاف يسري في عروقه وينتشر في جسده؛ وحاول عبثا أن يتخلص منه فقد التصق بجلده. عندئذ أطلق صرخات مخيفة هي التي يشير إليها =

"عقر ونهش وصراخ وعويل، والصخور تئن وتتأوه حولى،
ومعها نتوءات لوكريس الجبلية وقمم يوبويا الصخرية"[٢].

(فقرة ١٣٨)

كذلك فإننا نختار الفضائل على أساس اللذة وليس للفضائل ذاتها، تمامًا مثلما نتناول **الدواء** "*iatrikê*" من أجل **الصحة** "*hygeia*"، وذلك على نحو ما يذكر **ديوجينيس** فى الجزء العشرين من كتابه المسمى "**فقرات مختارة** *Epilekta*"، حيث يضيف إليها أيضًا **التربية** "*agôgê*" **والترويح** "*diagôgê*". ويصف **إبيقوروس** الفضيلة بأنها شرط لا غنى عنه "*sine qua non*" للذة، أى شرط لا تنفصل عنه "*achoristo*" اللذة ولا تتحقق بدونه"؛ وهذه هى الحال فى كل أمر آخر، مثل **الطعام** "*brôta*" على سبيل المثال.

والآن وقد شارفنا على النهاية فدعنى أختتم كتابى كله - كما يقال فى مثل هذه الأحوال - بمثل ما أختتم سيرة حياة الفيلسوف باقتباس **الحكم الرئيسة** "*kyriai doxai*"[٣] أو الأقوال الأساسية التى قالها، فأضع بذلك خاتمة

= الشاعر ولعن زوجته الخائنة. طالع القصة بالتفصيل فى كتابنا "معجم ديانات وأساطير العالم"، المجلد الثانى، ص ص١٣٤ - ١٣٥، مكتبة مدبولى بالقاهرة، عام ١٩٩٦. (المترجم)

(١) هذان البيتان مأخوذان من مسرحية **سوفوكليس** المسماة التراخينيات "*Trachiniai*"، وهما رقما ٧٨٧ - ٧٨٨، مع استبدال كلمة "*daknôn*"، بمعنى (ينهش، يعض) بكلمة "*boôn*" بمعنى (يصرخ). [المراجع]

(٢) يوبويا "Euboea" أكبر الجزر اليونانية فى بحر إيجة بعد جزيرة كريت، وكانت المدينة الرئيسية فيها هى مدينة خالكيس "Chalkis" . قارن كتابنا "معجم ديانات وأساطير العالم"، المجلد الأول، ص٣٥٩، مكتبة مدبولى بالقاهرة، عام ١٩٩٦. (المترجم)

(٣) تتألف هذه المجموعة من أربعين حكمة وهى فى غاية الأهمية للإيمان بالعقيدة الإبيقورية، وكانت شهيرة فى العالم القديم، وهى عبارة عن ملخصات من مؤلفات **إبيقوروس** الضخمة. ويمكن أن يكون قد جمعها واحد من تلاميذه المخلصين. ومن ناحية أخرى فإن **إبيقوروس** قد أكد بشدة (الفقرتان ٣٥ و ٣٦) ملخصات نظريته التى ينبغى أن تكون فى الذاكرة، حتى إن=

للكتاب بأسره "*pan syngramma*" وأضع نهاية "*telos*" له ليتفق مع مبدأ **السعادة** "*eudaimonia*". وهذه الحكم الرئيسية على النحو التالي:

(فقرة ١٣٩)

١- الكائن الأزلي السعيد لا يسبب المتاعب لنفسه ولا لأي كائن آخر، وذلك لأنه متحرر من **دوافع الغضب** "*orgai*" **والتحيز** "*charites*" أو المحاباة؛ حيث إن كل دافع من هذه الدوافع ينطوي على الضعف. [وهو يقول في مكان آخر: إنه يمكن تمييز الآلهة عن طريق العقل وحده، حيث إن بعضها متميز **من حيث العدد** "*kat 'arithmon*"، في حين أن بعضها الآخر ينتج باطراد من التدفق المستمر لصور مماثلة موجهة إلى النقطة ذاتها وعلى هيئة بشرية].

٢- الموت ليس بذي خطر بالنسبة إلينا، وذلك لأن الجسم عندما ينحل إلى عناصره يفقد الإحساس، وما لا يحس لا ينبغي أن تكون له قيمة بالنسبة إلينا(١).

= حماسه لتوجيه دراسة تلاميذه توجيها شخصيًا قد دفعه إلى أن يزودهم بمثل هذا الموجز الذي لا غنى عنه لتعاليمه الحكمية. من تعليقات الترجمة الإنجليزية، ص ص٦٦٢ – ٦٦٣. (المترجم)

(١) وردت عبارة مأثورة عند **ديوجينيس** من أويناندا (وهو من أتباع المدرسة الإبيقورية) الذي قام الأستاذ **شيلتون** "Chilton" بنشر شذرات من أعماله عام ١٩٧١، وهذه العبارة تقول: "لا خوف من الإله.. لا إحساس بعد الوفاة.. الخير يمكن اكتسابه والشر يمكن اجتنابه". وهي على النحو التالي باليونانية:

"*aphobon ho theos..... anaisthêton ho thanatos..... to agathon euktêton..... to deinon euekkarterêton*".

انظر المرجع التالي:

C.W. Chilton. Diogenes of Oenanda: the Fragments. Oxford (1971). pp. 100. [المراجع].

٣- تحقق اللذة ووصولها إلى حدها الأقصى يكمن فى إزالة جميع صنوف الألم، فمادامت اللذة قائمة وموجودة بلا انقطاع فلن يكون هناك ألم، سواء فى الجسم أو فى النفس أو فى كليهما معًا.

(فقرة ١٤٠)

٤- الألم المتواصل لا يستمر طويلاً فى الجسد، بل على العكس من ذلك فإن أقصى صنوف الألم لا تدوم سوى **أقل القليل من الوقت** "elachistos chronos" ؛ بل إن الدرجة القصوى من الألم التى تفوق درجة اللذة فى الجسد لا تستمر فى مجموعها أكثر من عدة أيام. أما الأمراض المزمنة فتسمح للجسد بالشعور باللذة بدرجة أكثر من شعوره بالألم.

٥- من المحال أن تحيا حياة هانئة دون أن تحيا بفطنة ونزاهة وعدل، ومن المحال أن تحيا بفطنة ونزاهة وعدل دون أن تحيا حياة هانئة. ومن يفقد صفة من هاتين الصفتين، كأن يكون عاجزًا مثلاً عن أن يحيا بفطنة على الرغم من أنه يحيا بنزاهة وعدل، فمن المحال عليه أن يحيا حياة هانئة بغير هذه الصفة.

(فقرة ١٤١)

٦- من أجل أن تحصل على الأمان ولا تهاب الناس الآخرين، فإن أى وسيلة تؤدى بك إلى تحقيق هذه الغاية وتمكنك من الحصول عليها، إنما هى وسيلة نبيلة طبيعية [من وسائل الحكم والسلطة][١].

(١) اعتبر الأستاذ أوسنير "Usener" – ناشر النص – العبارة الواردة بين قوسين مربعين، وهى باليونانية "*archês kai basileias*"، عبارة عن حاشية تفسيرية للجملة التالية من النص. [المراجع]

٧- انبرى نفر من الناس للسعى إلى أن يصبحوا **مشهورين وذوى صيت ذائع** "endoxoi" "periblеptoi"، ظانين بذلك أنهم سوف يكونون **فى مأمن** "asphaleia" من الخطر من جانب رفاقهم من البشر. ولو صح ذلك لكانت حياة هؤلاء الناس **آمنة** "asphalês" حقًا ولاكتسبوا خيرًا طبيعيًا. ولكن لو كانت حياتهم غير آمنة "ouk asphalês" لما حققوا الغاية التى يسعون إليها أصلاً مدفوعين إلى ذلك بميلهم الطبيعى.

٨- ليست هناك لذة فى حد ذاتها شرًا، ولكن بعض ما يسبب لذات بعينها هو الذى ينطوى فى كثير من الحالات **على كدر ومضايقات** "ochlêseis" أكثر بكثير من اللذات نفسها.

(فقرة ١٤٢)

٩- لو أن كل لذة كانت **قابلة للتراكم** "katepyknouto"، ولو أن ذلك كان يتم إما عن طريق **التراكم** "athroisma" بأسره وإما عن طريق الجزيئات الرئيسية فى الطبيعة البشرية، لما كان هناك أى **فرق** "diepheron" بين اللذات بعضها عن بعض آخر (كما هى الحال فى الواقع).

١٠- لو كانت **مسببات** "poiêtika" اللذات لدى **الأشخاص الخليعين الفاسقين** "asôtoi" تحررهم فعلاً من مخاوف **الذهن** "dianoia" – وأعنى بها المخاوف المنبعثة من الظواهر السماوية والجوية، والخوف من الموت والخوف من الآلام– وفضلاً عن ذلك فلو أنها كانت تُعلم هؤلاء الأشخاص الفاسقين الحد من **رغباتهم**

"epithymiai"، لما **جاز لنا أن ننتقد** "emempsametha" أى مثلبة لدى هؤلاء الأشخاص ولا أن نجد فيهم عيبًا، لأنهم آنذاك يكونون زاخرين باللذات التى تفيض وتنساب **من كل جانب** "pantachothen"، ولأنهم يكونون مبرأين ومتحررين من كل ألم سواء فى الجسم أو فى النفس، أى متحررين من كل شر.

١١- لو أننا لم نكن ننزعج "ênôchloun" أبدًا من **مظاهر الذعر** "hypopsiai" الناشئة عن الظواهر السماوية والجوية، ولو أننا لم نكن نضطرب وجلاً من خطر الموت، ولا نتضايق من الحدود المرجوة للآلام وللرغبات، لما كنا بحاجة إلى دراسة الفيزيقا.

(فقرة ١٤٣)

١٢- كان محالاً على المرء إقصاء خوفه من الأمور **ذات الأهمية القصوى** "kyriôtata"، لو أنه عجز عن **معرفة** "kateidôs" طبيعة **الكون كله** "sympan" وعاش فى **ريب وشك** "hypopteuomenos" مما تنبئه به الأساطير. ومن ثم فإنه دون دراسة الفيزيقا فلا سبيل إلى الاستمتاع باللذات **الصافية** "akeraioi".

١٣- ليست هناك **فائدة** "ophelos" ترجى من التحصن بالأمان فى مواجهة رفاقنا من البشر، مادامت الأمور التى تحدث **أعلانا** "anôthen" فى السماء، والتى تجرى تحت الأرض، وتلك التى تحدث فى الكون اللا محدود **على وجه العموم** "haplôs"، تبث فينا **الرعب** "hypopta".

١٤- عندما يتم تحقق قدر من التحصن بالأمن المعقول من جهة رفاقنا من البشر، بسبب ما نحظى به من قوة وثراء كافيين للارتكاز عليهما[١] ، فإنه عندئذ تنشأ حالة من الأمن **أشد أصالة** "eilikrinestatê" بكثير مما يحدث، لو أننا انسحبنا من الجمهور الغفير وعشنا حياة **هادئة** "hêsychia".

(فقرة ١٤٤)

١٥- **ثروة** "ploutos" الطبيعة **محدودة** "hôristai"، ولكنها **سهلة المنال** "euporistos"، ولكن ثروة **الخيالات الجوفاء** "kenai doxai" تتبدد في اللا نهائية.

١٦- قليلاً ما يتدخل الحظ مع الشخص الحكيم، وذلك لأن **العقل** "logismos" هو الذى **وَجَّهَ** "diôkêke" اهتماماته الكبرى الأساسية، ويوجهها وسيظل يوجهها طوال سنين حياته.

١٧- **الرجل العادل** "dikaios" هو الذى ينعم **بأعظم قدر من الطمأنينة الفكرية** "atarakotatos"، أما **الرجل الظالم** "adikos" فهو الذى يغص حلقه بأكبر قدر من القلق والاضطراب.

١٨- لا تسمح لذة الجسد **بأى قدر من الزيادة** "epauxetai"، ما أن يزول عن الإنسان ألم **الاحتياج** "endeia"، ولكنها تسمح بعد ذلك **بالتنوع** "poikilletai". أما **حد** "peras" لذة العقل فيمكن بلوغه-

(١) وهناك قراءة أخرى هى *exoriskê* (بدلا من *exercistikê*) يناصرها ناشرون للمخطوطة، من أمثال **مايب** "Meib"، **وكوخالسكى** "Kochalsky"، **وأبيلت** "Apelt" (قارن فقرة رقم ١٥٤ أدناه)، ومن ثم فإن المعنى – وفقا لهذه القراءة الأخرى – يصبح "قوة كافية لدرء هذا الإحساس". [المراجع]

على أى حال – عندما يتحقق اختيار الأشــياء ذاتهــا و**الأشــياء المماثلة** "homogenê" لها، التى تسبب للعقــل أعظــم صــنوف الخوف وأشدها.

(فقرة ١٤٥)

١٩- **الزمن اللا متناهى** "apeiros chronos" وكذا الــزمن **المتنــاهى** "peperasmenos" يحققان كلاهما قسطًا **متساويًا** "isê" من اللذة، لو أننا قسنا **حدود** "perata" تلك اللذة بمقاييس العقل.

٢٠- لا يتلقى الجسد بوصفه لا محدودًا سوى لذات محــدودة، وكــى يتزود بها فإنه يحتاج إلى زمان لا محدود. أمــا **الــذهن** "dianoia" – فحينما يدرك حدود الجسد وغايته وحينما يتحرر مــن مخــاوف الزمن المستقبل – فإنه يظفر بحياة **تامة وكاملــة** "pantelês" ولا يعود بحاجة إلى زمن محدود. ومع ذلك فالذهن لا ينفر من اللــذة ولا يعزف عنها، وحتى عندما تجبرنا الظروف علــى مغــادرة الحياة (الدنيا)؛ فإن الذهن لا يحس أنه قد حرم الاستمتاع بأفضل ما تقدمه الحياة.

(فقرة ١٤٦)

٢١- إن من يفهم جيدًا حدود الحياة؛ يعرف أن من **الميسور الحصول على** "euporiston" ما يكفى لإزالة الألم عند **الحاجــة** "endeia"، ولجعل الحياة بأسرها تامة وكاملة. ومن ثم فإنه لا يكون بحاجــة حينئذ إلى الأشياء التى لا يمكــن الاســتحواذ عليهــا إلا بالكــد والمشقة.

٢٢- حرى بنا أن نضع فى اعتبارنا كغاية كل ما هو موجود بالفعل، وكذا كل شهادة واضحة للحس نحيل إليها آراءنا، فدون ذلك فإن كل شيء سوف **يزخر** "mesta" **بالشك** "akrisia" وسوف يعمه **الاضطراب** "tarachê".

٢٣- لو أنك قاتلت ضد جميع حواسك، فلن تحوز أبدًا معيارًا ترجع إليه ولا وسيلة **تحكم بها** "krinês"، لتتبين ما إذا كانت الأحكام التى تفوهت بها كاذبة (أم لا).

(فقرة ١٤٧)

٢٤- لو أنك نبذت تمامًا إحساسًا بعينه دون أن تتوقف لتميز ما يتعلق بذلك الذى ينتظر الإثبات بين مادة **الرأى** (أو **الظن**) "doxazomenon" وبين ما هو موجود وقائم بالفعل - سواء فى **الإحساس** "aesthesis" أو فى **المشاعر** "pathê" أو فى أى من تمثلات الذهن - فإنك سوف تفضى بالبقية الباقية من إحساساتك إلى الخلط والاضطراب، عن طريق اعتقادك الذى لا أساس له؛ ومن ثم فإنك بذلك ترفض معيار الحقيقة بأسره. أما إذا تسرعت- فى آرائك وأفكارك القائمة على الظن - أعنى إذا تسرعت فى تأكيد كل ما ينتظر منها الإثبات وكل ما لا ينتظر البرهنة عليه، فإنك لن تفلت من الانزلاق إلى الخطأ، حيث إنك سوف تصر على بقاء **الالتباس** "amphisbêtêsis" الكامل، كلما كان الأمر يتطلب **الحكم أو التمييز** "krisis" بين رأى صواب ورأى خاطئ.

(فقرة ١٤٨)

٢٥- لو أنك لم توجه- فى كل مناسبة - كل فعل من أفعالك نحو الغاية التى تفرضها الطبيعة، ولكنك بدلاً من ذلك انحرفت - سواء فى

حالة رفضك أو اختيارك – نحو غاية أخرى، فإن **أفعالك** "praxeis" لن تكون **متسقة** "akoulouthoi" مع **أقوالك** "logoi".

٢٦- إن جميع **الرغبات** "epithymiai" التى لا تفضى إلى الألم عندما تظل بلا إشباع، إنما هى رغبات غير ضرورية ويمكن التخلص من التوق إليها بسهولة، إذا كان الشىء المرغوب فيه عسير التحقق، أو إذا كان من المحتمل أن تسبب الرغبات لنا ضررًا عند وضعها موضع التنفيذ.

٢٧- اكتساب الأصدقاء هو الأعظم بين الوسائل التى تحققها لنا **الحكمة** "Sophia" للظفر بالسعادة طوال سنين حياتنا.

٢٨- إن الاقتناع ذاته هو الذى يلهمنا الجَلَدَ والشجاعة، فى أنه لا شىء مما نخشاه يدوم إلى الأبد أو يستمر **فترة زمنية طويلة** "polychronion"، كما أنه هو أيضًا الذى يمكننا من أن نرى أنه لا شىء فى ظروف حياتنا المحدودة يعزز أمننا أو يدعمه مثل عقد أواصر الصداقة.

(فقرة ١٤٩)

٢٩- من رغباتنا طائفة طبيعية وضرورية، وطائفة أخرى طبيعية ولكنها غير ضرورية، وطائفة ثالثة لا هى طبيعية ولا ضرورية، ولكنها ناتجة عن **وهم** "doxa" **زائف لا جدوى منه** "kena". [ويعتبر **إبيقوروس** أن الرغبات الطبيعية والضرورية هى تلك التى تريح من الألم وتذهبه، مثل تناول الشراب عند الإحساس بالظمأ؛ وهو يعنى بالرغبات الطبيعية غير الضرورية تلك التى

تتنوع فيها اللذة وتختلف فحسب دون أن تزيل الألم أو تمحـوه، مثل ألوان **الطعام الفاخر** "polytelê sitia" ؛ أما الرغبات التي لا هي طبيعية ولا ضرورية فيعنى بها تلك التي يطمح المرء فيها إلى التيجان والعروش وإقامة التماثيل ونحوها].

٣٠- وفي حالة هذه الرغبات الطبيعية التي لا تنطوى على إحساس بالألم عند عدم تحقيقها، على الرغم من أن موضوعاتها تُنشَد بشدة، فإنها تعود بدورها إلى رأى باطل، وعندما لا يتم التخلص منها لا يكون ذلك بسبب طبيعتها ذاتها، بل بسبب رأى الإنسان الزائف.

(فقرة ١٥٠)

٣١- العدالة الطبيعية هى **رمز** "symbolon" أو تعبير عن المنفعة، وذلك لمنع الإنسان من إيذاء الآخرين أو لمنع غيره من إيذائه.

٣٢- الكائنات الحية أو الحيوانات غير القادرة على عقد اتفاقات مع بعضها بعض، مفادها ألا تؤذى سواها وألا يؤذيها غيرها، ليست لديها عدالة ولا ظلم. وبالمثل فإن الشعوب التي هى غير قادرة على عقد اتفاقات، أو التي لا ترغب في إبرام اتفاقات مع بعضها بعض للغاية نفسها، إنما هى شعوب وأمم لا عدالة فيها ولا ظلم.

٣٣- ليست هناك أبدًا عدالة مطلقة أو عدل فى ذاته، وإنما هناك فقط اتفاق لعلاقة متبادلة في أى مكان كان وفى أى زمان كان، مفاده ألا يلحق أحد ضررًا بسواه وألا يلحقه هو أذى من جانب الآخرين.

(فقرة ١٥١)

٣٤- **الظلم** "adikia" ليس شرًا فى ذاته، بل يكمن الشر فى عواقبه ونتائجه، مثال ذلك **الخوف** "phobos" الناشئ من أن يكون هؤلاء القائمون على معاقبة المذنبين هم أنفسهم ظالمون.

٣٥- من المحال أن يكون الإنسان، الذى ينتهك **سرًا** "lathra" أى بند من بنود الاتفاق الاجتماعى، على ثقة من أنه سوف يظل دون أن **يفتضح أمره** "lêsei"، حتى لو ظل **مختبئًا** "lanthanê" عن الأنظار **عشرة آلاف مرة** "myriakis". ذلك أنه سوف يظل حتى نهاية حياته غير واثق من أن أحدًا لن يكشف أمره.

٣٦-العدالة من منظور عام هى ذاتها (أى أنها واحدة) بالنسبة إلى الجميع، وذلك لأنها عبارة عن **شىء مفيد** "sympheron" فى العلاقات الاجتماعية المتبادلة؛ ولكن بالنسبة إلى تطبيقاتها فى الحالات الجزئية الخاصة فى بلد ما أو فى ظروف بعينها أيًا كانت، فإن العدالة ذاتها تختلف باختلاف هذه الظروف.

(فقرة ١٥٢)

٣٧- من بين الأمور التى تعد عادلة فى نظر قانون العرف أو فى نظر القوانين المتعارف عليها، هى تلك الأمور التى تشهد الاحتياجات المتبادلة على أنها نافعة ومفيدة؛ ومن ثم فإنها تُخْتَم بخاتم العدالة، سواء كانت واحدة بالنسبة إلى الجميع أو لم تكن كذلك. ولكن فى حالة ما إذا سن قانون ثبت أنه لا يخدم مصالح الجميع ولا يحققها، فإن هذا القانون لا يمكن أن يتصف أبدًا

بصفة العدالة، ومن ثم فإنه لا يكون عادلاً. وحتى في حالة اختلاف المنفعة التى ينص عليها القانون، بمعنى أن هذه المنفعة كانت تتوافق فقط فترة من الزمن مع المفهوم السابق على الرغم من أنها لا تتوافق فى الوقت الحالى مع القانون، فإن هذه المنفعة لم تكن أقل عدلاً فى تلك الفترة، مادمنا لم نعد نغتر بمثل هذه العبارات الجوفاء، بل ننظر إلى الوقائع ذاتها ونركز عليها.

(فقرة ١٥٣)

٣٨- عندما يتم الحكم على قوانين العرف والمواضعة- دون أدنى تغيير فى الظروف المتعلقة بنتائجها - بأنها لم تعد موافقة أو متطابقة مع مفهوم العدل، فإن مثل هذه القوانين تكون فى واقع الأمر غير عادلة. فحيثما تتوقف القوانين عن أن تكون مفيدة نتيجة لتغير الظروف والأوضاع، فإن القوانين التى كانت فى وقت ما عادلة عندما كانت مفيدة أو نافعة فى العلاقات المتبادلة بين المواطنين، قد غدت غير عادلة عندما أصبحت غير مفيدة.

(فقرة ١٥٤)

٣٩- إن من يعرف **على أفضل نحو** "arista" كيف يتعامل مع خوفه من خصومه الخارجيين، هو الذى يعرف كيف يضم فى أسرة واحدة جميع المخلوقات التى تمكن من التعامل معها؛ أما المخلوقات التى عجز عن التعامل معها، فإنه على أقل تقدير لم يعامل أفرادها بوصفهم **غرباء** "allophyla". وحيثما وجد ذلك مستحيلاً فإنه يتجنب كل **معاشرة** "anepimciktos" معهم، كما أنه

يقصيهم عنه "exôrisato" قدر إمكانه، مادام ذلك كان **مفيدًا** أو **ملائمًا له** "lysitelê".

٤٠- أما أولئك الذين بوسعهم أن يحققوا لأنفسهم وسيلة للأمان مع جيرانهم؛ فيظفرون بذلك بأشد أنواع الأمان وأقواها، إنما هم يحيون حياة **هانئة للغاية** "hedista"، كل منهم في المجتمع الذي يعيش فيه. ثم إنهم يتمتعون بأقصى درجة من **الألفة والحميمة** "oikeiotês"، حتى إنه عندما ينقضي أجل أحد منهم قبل الأوان، فإن من **يظلون على قيد الحياة** "apolabontes" **بعدهم، لا ينوحون** "ouk ôdyranto" لموته، حتى لو كان ذلك على سبيل الرثاء أو المواساة.

المؤلف فى سطور:

ديوجينيس اللاترتى

يرد اسم "ديوجينيس **لائيرتيوس**" فى بعض المخطوطات القديمة بهذا الشكل وبعض آخر يكتبه "**لائيرتيوس** ديوجينيس"، وأحيانًا "ديوجينيس" فقط.

ويعتقد البعض - استنادًا إلى المخطوطات التى تكتبه "لائيرتيوس" "Laertios" أن هذا الاسم كان كنية من أصل هوميرى، ولقد أخذنا بالاسم الأكثر شيوعًا فى اللغة العربية، وهو **لائيرتيوس**"، ويقولون إنه نسبة إلى مدينة "لائيرتى" الواقعة فى قيليقيا (كليكيا) "Cilicia".

أما بالنسبة إلى حياته فقد اختلفت الآراء أيضًا؛ فيقال إنه عاش فى القرن الأول الميلادى وقيل بل الثانى، والأرجح أنه الثالث، وذهب البعض إلى أن "ديوجينيس **لائيرتيوس**" عاش خلال القرن السادس الميلادى، وأنه ألف كتابًا عن حياة الفلاسفة ومذاهبهم، لكن يكاد الباحثون يجمعون على أنه عاش فى النصف الأول من القرن الثالث الميلادى.

المترجم فى سطور:

إمام عبد الفتاح إمام

أستاذ الفلسفة الحديثة (حاليًا أستاذ غير متفرغ فـــى جـــامعتى عـــين شمس والمنصورة) تخصص فى فلسفة هيجل فى بداية حياته الأكاديميـــة، وانتقل منها إلى أعلام الفلسفة الحديثة، خصوصًا الذين تميزوا بإنجـــازاتهم التى أسهمت فى تغيير المشهد الفلسفى العالمى، ومن أهم مؤلفاته:

- المدخل إلى الفلسفة.
- مدخل إلى الميتافيزيقا.
- سلسلة الفيلسوف والمرأة.
- كيركيجارد.
- الطاغية.
- توماس هوبز: فيلسوف العقلانية.

ومن أهم ترجماته ضمن المشروع القومى للترجمة:

- معنى الجمال، وحكاية إيسوب، ومعجم مصطلحات هيجل.

كما أشرف- فى إطار المشروع القومى للترجمـــة- علـــى ترجمـــة سلسلة "أقدم لك"، وشارك فى ترجمة بعض منها.

المراجع فى سطور:

محمد حمدى إبراهيم

ولد فى محافظة المنوفية سنة ١٩٤٠م

تخرج فى قسم الدراسات اليونانية اللاتينية- كلية الآداب- جامعة القاهرة – سنة ١٩٦٢م.

حصل على الدكتوراه فى الأدب اليونانى من كلية الفلسفة جامعة أثينا فى اليونان سنة ١٩٧٢م.

تقلد الكثير من المناصب منها عميد كلية الآداب جامعة القاهرة، ونائب رئيس جامعة القاهرة لشئون الدراسات العليا والبحوث.

عمل مدة عشر سنوات مستشارًا لرئيس جامعة القاهرة للتعليم المفتوح، وهو الآن أستاذ متفرغ بقسم الدراسات اليونانية كلية الآداب – جامعة القاهرة.

له العديد من الترجمات منها:

مختارات من الشعر اليونانى الحديث، نموذجًا تطبيقيًا لتقنيات الترجمة الأدبية إلى العربية.

له أكثر من سبعين بحثًا وكتابًا منها:

- ميثاق الأخلاق الجامعية (بحث).
- قسطنطين كفافيسس: قصائد.
- دراسة فى جنة الشوك لطه حسين، مجلة كلية الآداب.

- نظرية الدراما الإغريقية.
- الأدب السكندرى.

حصل على العديد من الجوائز منها:

- جائزة الدولة التشجيعية فى الترجمة.
- جائزة جامعة القاهرة التقديرية فى العلوم الإنسانيةعام ٢٠٠١.
- جائزة الدولة التقديرية فى الآداب عام ٢٠٠٥.
- جائزة جامعة القاهرة للتميز العلمى عام ٢٠٠٧.

التصحيح اللغوى : كـــريمـــان البـــدرى

الإشـــراف الفنى : محســـــن مصطفـــى